مجلة
معهد المخطوطات العربية

علمية نصف سنوية محكَّمة ، تُعني بالتعريف بالمخطوطات العربية ، وفهرستها ، ونشر النصوص المحققة ، والدراسات القائمة عليها ، والمتابعات النقدية الموضوعية لها .

* الأفكار الواردة لاتعبر بالضرورة عن رأي المنظمة والمعهد ، وترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية ، ولاعلاقة له بمكانة الكاتب.

* يسمح بالنقل عن المجلة بشرط الإشارة ، وقواعد النشر وثمن النسخة في آخر المجلة .

المجلد ٣٦ - الجزآن ١ ، ٢ - جمادى الآخرة ، ذو الحجة ١٤١٢هـ/ يناير ، يوليو ١٩٩٢م

معهد المخطوطات العربية

القاهـرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة معهد المخطوطات العربية / معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) – مج ٣٦ ، الجزآن الأول والثاني ، جمادى الآخرة ، ذو الحجة ١٤١٢هـ / يناير ، يوليو ١٩٩٢م .
ط / ١٩٩٣ / ٠٥ / ٠٠٣

ردمـد ٩ ٢٢٠ - ١١١٠
I.S.S. 1110 - 2209

مجلة
معهد المخطوطات العربية

الفهـــرس

ضـــوء

التراث غريب ..
غريب عن أهله
وغريب بينهم !!

استهان به بعض أهله ، وبذلوه رخيصاً لمن شاء ، فتلقفت معظمه أيدٍ غريبة ، عرفت قيمته . وكانت هذه غربة .

الجزء الباقي لم يُخْدم كما يجب ، فقد نشرت كتب كثيرة دون فهارس تكشف ما فيها ، فظلت مجهولة .. وكانت هذه غربة أخرى .

* * *

ومن الغربة الثانية نبدأ :

تراثنا تراث موسوعي ، في كتب اللغة تجد أخباراً وتاريخاً ، وفي كتب التاريخ تجد لغة وشعرًا ، وفي كتب البلدان تتناثر أسماء الرجال . وفي كتب الأدب طب وحيوان ومواقيت وفلك !

من أجل هذا كانت دعوة المجلة لفهرسة كتب التراث المطبوعة . وكانت الفاتحة في المجلد السابق (٣٥) بفهارس الشواهد في رسالة الملائكة للمعري .
والتقط الخيط د . عبد الفتاح سليم فصنع فهارس شاملة لكتاب الفروق اللغوية ، لأبي هلال العسكري .

* * *

الغربة الأولى جرح كبير غائر .
وحكاية هذه الجرح تلمسه قصة مخطوطة « فضائل البيت المقدس » التي ظلت مخطوطتها الوحيدة قابعة في مكتبة جامع الجزار في عكّا . وامتدت يد غريبة لتسطو عليها ، وتنقلها إلى الجامعة العبرية !. ثم امتدت يد غريبة أخرى فحقّقتها ودرستها ، وفي ثنايا ذلك بثت أغراضها وأهواءها ، فبعدت مسافاتٍ عن الحيدة العلمية .

* * *

على صفحات المجلة أيضا بحث قيم يقدم طريقة جديدة في تأصيل النسخ الخطية وتصنيف أجيالها . ومثل هذه الطريقة كفيلة بوضع أساس علمي لاختيار النسخة الأم والنسخ التالية لها في الأهمية ، قبل الشروع في التحقيق . ولا يخفى أن المقاييس الحالية لاتزال تعتمد على ملاحظات خارجية لا تصدق في كثير من الأحيان .

رئيس التحرير

فضائل البيت المُقَدَّس
لأبي بكر الواسِطي

عصام محمد الشنطي*

مخطوطة فريدة ، ونفيسة ، كانت تقبع في مكتبة جامع أحمد باشا الجزار ، في مدينة عكا ؛ الواقعة على الشاطىء الشمالي الفلسطيني .وهي الآن أسيرة في الجامعة العبرية !

وعلى الرغم من أن هذه المخطوطة قد صدرت مطبوعة محققة عن الجامعة المذكورة بالقدس على يد إسحاق حسون ، فإننا رأينا نشر هذا العرض لأن المطبوعة صعبة المنال ، وفيها سقطات ، وعليها مآخذ .

وليس العرض مجرد تعريف ، بل هو غوصٌ في المادة العلمية ، وتنقية لها من الشوائب ، ورصد لما وقع فيه المحقق ؛ ساعد على ذلك أن الباحث كان قد قطع مرحلة كبيرة في إعدادها للنشر .

« المجلة »

---

* المدير الثاني السابق في معهد المخطوطات العربية .

لعلّ : أول مَن نبَّه إلىٰ هذه المخطوطة ، في وقت مبكر ، هو عبد الله مُخْلِص[1] ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، في مقالته التي نشرها عام ١٩٣٠م في مجلة المجمع[2] .

وقد أشار فيها إلىٰ نفاستها ، وإلىٰ مؤلِّفها أبي بكر محمد بن أحمد الواسطي ، وأنها محفوظةٌ في مكتبة جامع أحمد باشا الجَزَّار في مدينة عَكَّا ، الواقعة علىٰ الشاطىء من شمال فلسطين . وهي نسخة وحيدة ، ليس لها ثانية في خزائن المخطوطات العربية في العالم .

ويبدو ، من أثر هذا التنبيه ، أن اهتمت دار الكتب المصرية بهذه المخطوطة ، وما صاحبها من رسائل في المجموع ، فحملها الشيخ محمد عبد الحافظ التيجاني عام ١٩٣٢م من مستقرها في عَكَّا إلىٰ القاهرة ، حيث صوَّرتها الدار صورة فوتوغرافية[3] ، ومن ثمَّ ردّ الأصل إلىٰ موضعه في فلسطين .

وحين نشر أحمد سامح الخالدي ، في مدينة يافا ، عام ١٣٦٥هـ[4] ، الفصلَ الأخير من كتاب مثير الغرام « بفضائل » (إلىٰ زيارة) القدس والشام ، لأبي محمود شهاب الدين أحمد بن محمد بن سرور المقدسي ، المتوفىٰ ٧٦٥هـ ، أشار في مقدمة هذه النشرة[5] إلىٰ كتاب الواسطي ، وبيَّن أن لديه نسخة معتبرة من هذا الكتاب القيِّم ، وأنه في سبيل نشرها في القريب . ولم يذع الخالدي تفصيلًا عن النسخة التي بين يديه . والراجح أنه يَعني نسخة جامع أحمد باشا الجَزَّار ، التي أشرنا إليها قبل قليل .

---

(١) ترجمته في الأعلام ، ٤/ ١٣٤ .

(٢) المجلد ١٠ ص ٥٧٧ بعنوان : مجموع نادر .

(٣) محفوظة فيها برقم ٧٨١ مجاميع .

(٤) سنة ١٩٤٦م .

(٥) ص ٤ .

وكان الدكتور إسحاق موسىٰ الحسيني ، رحمه الله ، بفَرْط وفائه لوطنه فلسطين ، ولمدينته القدس خاصة ، قد اعتنىٰ بهذه المخطوطة ، ونجح – وهو في القاهرة – بأن يحصل علىٰ صورة من هذه المخطوطة الأصلية ، القابعة في عَكًّا . وكانت هذه المدينة مع غيرها من المدن العربية الأخرىٰ ، قد وقعت ، منذ عام ١٩٤٨م ، في الأسر الإسرائيلي . وحصل كذلك علىٰ صورة من هذه المخطوطة من معهد المخطوطات العربية ، في القاهرة . وكان المعهد قد صوَّر هذه المخطوطة[١] عن الصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، منذ عام ١٩٣٢م . ومن ثَمَّ زوَّدني الدكتور الحسيني متفضِّلًا ، بالصورتين معًا ، حاثًّا إياي علىٰ تحقيقها ودراستها وفاءً لهذه المدينة العظيمة ، وكشفًا لمدىٰ محبة العرب والمسلمين لها ، ولما لحق مثل هذه المؤلَّفات من إسرائيليات ، ومن أقاصيص شعبية زائفة . وكان العزم معقودًا علىٰ أن تقوم « هيئة القدس العلمية » في القاهرة بنشرها بعد الفراغ منها[٢] .

وأخذتُ أعمل في هذه المخطوطة ، ونسختُ نحو نصفها (إلىٰ منتصف ورقة ٤٦ب) ، وحللتُ كثيرًا من مشكلاتها ، وجمعتُ مـادةً وفيرة ؛ من شأنها أن تُنير موضوع المخطوطة . وكنت اقترحتُ بعد حين ، وبعد التشاور مع الدكتور الحسيني ، علىٰ قسم التراث العربي ، التابع للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، عقب اتصاله بي بمناسبة إنشائه ، أن يتولىٰ نشر هذا المصنَّف بعد إتمامي إياه ، فوافق علىٰ ذلك[٣] . وأغذذتُ السَّيْرَ في العمل إلىٰ أن فجأني ما وصل إلىٰ مسامعي أن المخطوطة قد صدرت محققةً عن الجامعة العِبْرِية بالقدس .

وحاولتُ منذ ذلك الحين الحصول علىٰ نسخة من هذا العمل ، أو علىٰ صورةٍ منه ، علىٰ أقلّ تقدير ، لقلة انتشاره ، وصعوبة الحصول عليه في أرجاء الوطن العربي . وكان الهدفُ رؤيةَ ما صنع الباحث في المخطوطة من تحقيق ودرس . واستطاعت

---

(١) محفوظة فيه برقم ٧٥١ تاريخ . انظر فهرس المخطوطات المصوَّرة ، ص ١١٣ .

(٢) فضائل بيت المقدس ، مقالة ، ص ٣٠٣ .

(٣) خطاباه رقم ٧٩٠ وتاريخ ٢٦/ ٣/ ١٩٧٩م ، ورقم ١١١٢ وتاريخ ٢٣/ ٤/ ١٩٧٩م .

الدكتورة هادية الدَّجاني، وهي في كندا، أن تزودني، مشكورة، بصورة من بضع صفحات من الكتاب المنشور ، وهي الصفحات الأخيرة منه (ص ١١٧ - ١٢٣) المحتوية علىٰ مصادر المحقق ومراجعه لتحقيق النص والتقديم . ولمّا لم يفِ ذلك بالغرض المطلوب ، كتبتُ إلىٰ الدكتور كامل جميل العسلي في عَمَّان ، وهو الباحث المعتني بتراث مدينة القدس خاصة ، ليمكنني من نسخة من الكتاب المنشور ، أو صورة منه . فصدق ظني ، ولم يخب رجائي ، ومكنني من نسخته ، فصوّرتُ العمل كاملًا[1] ، وأعدتُ إليه نسخته ، وأنا ألهج بالشكر والعرفان .

ويعود هذا العمل إلىٰ أن مئير ي . قسطر Meir J. Kister ، الأستاذ بالجامعة العِبْرِية ، قد نبّه تلميذه إسحاق حَسُّون Isaac Hasson إلىٰ المخطوطة ، ووضعها تحت تصرّفه ، فعمل علىٰ تحقيقها بإشراف أستاذه وتوجيهه ، وقدّم لها ، ونال بهذا العمل ، عام ١٩٦٩م ، درجة الماجستير من قسم اللغة العربية وآدابها ، في معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية بالجامعة العِبْرِية . وظل هذا العمل مجهولًا لدينا عشرة أعوام ، إلىٰ أن صدر - بعد أن أضيف إليه بعض المراجع والملاحظات - عن هذه الجامعة مطبوعًا عام ١٩٧٩م[2] . وجاءت المقدمة ، ثم النص ، والفهارس ، والمصادر والمراجع ، في ١٦٢ صفحة من القَطْع المتوسط ، أُلحق بها ٢٩ صفحة للمقدمة باللغة الفرنسية .

(١)

وصف المخطوطة :

لم تكن المخطوطة الفريدة « فضائل البيت المُقَدَّس » للواسطي ، وحيدةً بين دفتي غلافها ، بل كانت ضمن مجموع نادر من المخطوطات المتنوعة . وقد وصف عبد الله

---

(١) في يوم الثلاثاء ، الثامن من شهر نوفمبر (تشرين ثانٍ) عام ١٩٨٣م .

(٢) انظر فضائل البيت المقدس ، ص [٣٨] .

مُخْلِص هذا المجموع في المقالة التي نشرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، عام ١٩٣٠م ، علىٰ نحو ما ذكرنا في صدر هذه المقالة . واهتم بهذا المجموع المستشرق جيمز أ. بِلَمِي James A. Bellamy ، محقق كتاب مكارم الأخلاق ، لابن أبي الدنيا، المتوفىٰ ٢٨١هـ، الذي نشره عام ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م . وكان بِلَمِي قد سافر، إلىٰ مدينة عَكَّا الأسيرة ، عام ١٩٦٣م ، أو بعده بقليل ، بعد أن قابل في القاهرة الشيخ محمد عبد الحافظ التيجاني ، ونصحه بضرورة رؤية المجموع بنفسه ، غير مكتفٍ بصورة دار الكتب المصرية المصوَّرة منذ عام ١٩٣٢م . وأقام بِلَمِي في عَكَّا يومين ، مكّنه فيهما أحمد إدْلِبي ، أمين اللجنة الإسلامية في المدينة ، من تفحّص المجموع ، وتسجيل ملاحظاته عليه. وبعد زيارته لعكا ببضع سنين، وقبل عام ١٩٧٠م، وهو تاريخ كتابته مقدمة « مكارم الأخلاق » الذي حققه ونشره ، زُوِّد بِلَمِي بصورة كاملة عن أصل هذا المجموع . ويغلب علىٰ ظني أن هذا المستشرق هو الذي زوَّد الدكتور الحسيني بصورة الأصل من مخطوطة فضائل البيت المُقَدَّس للواسطي . وجاء وصف بِلَمِي لهذا المجموع ، في مقدمتين عقدهما لكتاب مكارم الأخلاق ، الأولىٰ بالعربية ، والثانية – في شيء من التفصيل – بالإنجليزية .

يحتوي هذا المجموع علىٰ أربعة عشر كتابًا ورسالة مخطوطة ، آخر تسعة منها من تأليف ابن أبي الدنيا، منها كتاب مكارم الأخلاق، وهي النسخة التي اعتمد عليها بِلَمِي في تحقيق الكتاب ونشره ، وهذا هو سرّ اهتمام بِلَمِي بهذا المجموع أساسًا .

نَسخ هذا المجموع كلَّه ناسخ واحد ، يُدعىٰ أبا المحاسن الحسين بن موسىٰ بن الحسين الخوئي[1] . وهو غير معروف ، ولم أعثر له علىٰ ترجمة في المظانّ . ولم يُنسَخ هذا المجموع في فترة زمنية واحدة ، أو متقاربة ، بل تباعدت بمقدار بضع سنين . وأبكر تاريخ مدوَّن علىٰ أغلب هذا المجموع هو سنة ٥٨٣هـ ، وأحدث تاريخ سنة ٥٨٩هـ .

---

(١) لعله الخُوَيِّي ، منسوبًا إلىٰ موضع خُوَيّ ؛ أو الخَوِيِّي ، منسوبًا إلىٰ موضع خَوِيّ . انظر معجم ما استعجم ، ٢/ ٥٢٠ ؛ ومعجم البلدان ، ٢/ ٤٠٨ – ٤٠٩ .

أما خط الناسخ فهو نسخي دقيق ، قليل النَّقط ، وغير مشكول . وبعد شيء من الدربة والإلف يمكن قراءته في غير صعوبة . وقياس أوراق هذا المجموع ، عَرْضًا وطولًا ، ١٢ × ٢١سم . وفي فهرس معهد المخطوطات العربية — نقلًا عن فهرس دار الكتب المصرية — ١٣ × ٢٢سم . والفارق بينهما آتٍ — في الغالب — من قياس الأوراق ذاتها في الحالة الأولى ، وقياسها مع غلاف المجموع في الحالة الثانية . وتحتوي الصفحة في المجموع كله على ٢١ سطرًا ، لاتشذّ عن هذا النظام مخطوطة الفضائل للواسطي ، التي يبلغ عدد سطور صفحاتها ٢١ كذلك .

لقد لَحق بعضَ مخطوطات هذا المجموع اضطرابٌ في ترتيب أوراقها، جاءت من خطأ مُجَلِّد المجموع في أوائل هذا القرن ؛ على الأرجح . ولعلّ من حسن الطالع أنه لم يلحق بمخطوطة الواسطي اضطراب ما في ترتيب أوراقها ، فهي منسوقة التتابع . و تعرضتْ بعض سطور المجموع إلى طمس من أثر رطوبة ، إلّا أن مخطوطة الواسطي سَلمت منها ، ولم يعتورها طمسٌ ولا نقص . أما أكل الأَرَضة الذي تعرض له المجموع ، فهو قليل ، لم يصل إلى سطوره المكتوبة .

وجاءت مخطوطة فضائل البيت المُقَدَّس ، موضوع هذه المقالة ، الرابعة في ترتيبها من بين المجموع . وابتدأ ترقيمها في أعلى الأوراق ، وهو الترقيم الأقدم ، من ورقة ٣٧ إلى ورقة ٦١ . أما ترقيمها الأحدث ، وهو في أسفل الصفحات ، فأبتدأ من صفحة ٦٦ إلى صفحة ١١٤ . وبهذا أتمت المخطوطة ٢٥ ورقة ، أو ٤٩ صفحة .

وسبق هذه المخطوطة في المجموع ، وهي الثالثة فيه ، كتاب « فضائل الشام وفضل دمشق » ، لأبي الحسن علي بن محمد بن شجاع الرَّبَعي المالكي ، المتوفى ٤٤٤هـ ، الذي حققه الدكتور صلاح الدين المُنَجِّد ، ونشره في دمشق عام ١٩٥٠م عن نسخة أخرى ، دون أن يطّلع على هذه النسخة .

وتلا مخطوطة الواسطي ، من الفضائل أيضًا ، وهي الخامسة في المجموع ، كتاب « فضائل مصر » لعمر بن محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي ، من رجال القرن

الرابع الهجري ، وهي ناقصة . أما بقية المخطوطات في المجموع ، فالتسع الأخيرة منها لابن أبي الدنيا ، علىٰ نحو ما ذكرنا سابقًا ، ومخطوطتان أخريان (الأولىٰ والثانية) لايهمنا ذكرهما هنا .

ولم يُذكر في آخر مخطوطة الواسطي - كما هي عادة النُسَّاخ - سنة نَسخها . ولكننا نستطيع القول إنها نسخت سنة ٥٨٣هـ ، أو بعد ذلك بقليل ، لأنّ مخطوطة الرَّبَعي « فضائل الشام وفضل دمشق » الواقعة في المجموع قبل مخطوطة الواسطي مباشرة ، فَرَغَ الناسخُ من نَسخها ، في دمشق ، في اليوم الرابع والعشرين من شهر المحرَّم ، سنة ٥٨٣هـ ؛ ولأن المجموع كله كُتب بخط واحد ، ونُسخ مابين سنتي ٥٨٣ و ٥٨٩هـ .

وقد خُتِمَت مخطوطة الواسطي ، في أولها ، في أسفل صفحة العنوان ، بخاتم كتب فيه العبارة التالية : « وقف مكتبة المدرسة الأحمدية في جامع أحمد باشا الجَزَّار في عَكَّا المجدَّدة » . وفي داخل إطار الخاتم ، في آخر هذه العبارة ، كُتبت سنة الوقف . وهي غير مقروءَة في المصوَّرتين لديّ . ويبدو أنها غير واضحة المعالم في النسخة الأصل المحفوظة في عَكَّا ، والتي اطّلع عليها المستشرق بِلَمِي بنفسه ، ولم يستطع قراءَتها أيضًا[(١)] . أما المحقق إسحاق حَسُّون فقد قرأها سنة ١٣٢٣ ، متشككًا في صحة قراءَته بوضع علامة استفهام عقب هذه القراءَة[(٢)] .

وواضح أن هذه المخطوطة ، بل المجموع كله ، قد اعتُدِيَ عليه قُبيل اشتغال إسحاق حَسُّون بها . فقد نقلت من مكانها الشرعي الذي حفظت فيه سنين طويلة إلىٰ الجامعة العِبْرِية . لقد قال إسحاق حَسُّون في مقدمة نشرته إنّ أستاذه مئير ي. قسطر « وضعها تحت تصرفي »[(٣)] ، ولم يقل إنه مُكّن من مصوَّرتها .

---

(١) انظر مكارم الأخلاق ، المقدمة بالإنجليزية ، ص ٨ .

(٢) انظر فضائل البيت المقدس ، ص [٣٧] .

(٣) انظر فضائل البيت المقدس ، ص [٣٨] .

وقد تشكك الدكتور جميل كامل العسلي ، في وقت مبكر (عام ١٩٨١م) ، في بقاء المخطوطة في مكانها في مدينة عَكّا ، وأشار إلىٰ احتمال انتقالها . يقول[١] : « المخطوطة الوحيدة التي عثر عليها من كتاب فضائل البيت المُقَدَّس للواسطي ، هي المخطوطة الموجودة –أو كانت موجودة ؟– في جامع أحمد باشا الجَزّار في مدينة عَكّا » .

وطبيعي ، و الحال هذا ، ألّا يذكرها المفهرس محمود علي عطا الله من بين مخطوطات المكتبة الأحمدية في عَكّا ، وهي الملحقة بجامع أحمد باشا الجَزّار ، في فهرسه الذي نشره مجمع اللغة العربية الأُردني ، في عَمّان ، عام ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م . وقد وصف المفهرس فيه ثمانين مخطوطة محفوظة في هذه المكتبة ، ليست منها مخطوطة الواسطي ، ولا مخطوطات المجموع كله . ويعود تاريخ أقدم مخطوطة وُصفت في هذا الفهرس إلىٰ سنة ٧٣٣هـ . أما المجموع كله فيعود تاريخ نساخته إلىٰ عام ٥٨٣هـ ، أو بعد ذلك ببضع سنين . وقد أشار المفهرس في مقدمة فهرسه المذكور التي تحمل تاريخ أول أغسطس من عام ١٩٨٣م ، إشارة خفية إلىٰ أن بعضًا من مخطوطات المكتبة قد فقد لسبب أو لآخر . وجاءت عبارته علىٰ النحو التالي[٢] : « ومما تجدر الإشارة إليه ، أن المخطوطات التي تمَّ التعرف عليها وكشفها ، لا تشكل المكتبة الحقيقة التي عرفت أيام الجَزّار ، بل إنَّ ما تَمَّ التعرف إليه لا يشكل سوىٰ النزر اليسير ، لأن قسمًا من هذه المخطوطات فقد لسببٍ أو لآخر » .

ونعلم أن المستشرق بِلَمِي قد اطّلع عليها في مكانها بعَكّا سنة ١٩٦٣م ، أو بعدها بقليل ، وأنه بعد بضع سنين أُرْسلت إليه صورة المجموع كله ، دون أَنْ يفصِّل كيف تمَّ ذلك . ذكر هذا في مقدمته التي حررها عام ١٩٧٠م . ونعلم أيضًا أن إسحاق حَسُّون نال درجة الماجستير بتحقيقها والتقديم لها عام ١٩٦٩م . ومعنىٰ هذا أن

---

(١) مخطوطات فضائل بيت المقدس – دراسة وبيبليوغرافيا ، ص ٢٩ .

(٢) صفحة ج من مقدمة الفهرس .

المخطوطة قد نُقلت من مكتبتها في عَكّا الأسيرة إلىٰ الجامعة العِبْرية قبل ذلك بعام أو عامين، علىٰ وجه التقريب . وأن مئير ي. قسطر، أستاذ إسحاق حَسُّون، هو الذي صور المجموع كله ، بعد نقله ، وزوَّد به المستشرق بِلَمِي . وهذا السطو علىٰ المخطوطات العربيـة بالقوة ، هو سبب من أسباب تغريب التراث العربي وبعثرة مخطوطاته في غير العالم العربي والإسلامي .

(٢)

المؤلِّف :

هو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطي المقدسي[١] . ولم يصل إلينا عنه إلّا القليل، الذي لا يطفئ ظمأً، ولا يَشفي غليلًا . فالسَّمْعَاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد ابن منصور التميمي ، المتوفىٰ ٥٦٢هـ ، صاحب كتاب « الأنساب »[٢] ذَكر المؤلِّفَ عَرَضًا عند ذكر أخيه أبي حفص عمر الواسطي ، نزيل بيت المقدس .

أما القاضي مجير الدين العُلَيْمي الحنبلي ، المتوفىٰ ٩٢٧هـ ، صاحب كتاب « الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل »[٣] ، فهو يترجم لكثير من المقدسيين ، ولكنه لا يجد للواسطي ترجمة في المصادر يرويها لنا في كتابه ، سوىٰ أنه عدّه من خطباء المسجد الأقصىٰ الشافعيين في بيت المقدس .

وبإزاء هذا الغموض حول المؤلِّف ، نجد من المُحدَثين مَن جانبهم الصواب ، كالمستشرق الروسي إغناطيوس كراتشكو فسكي[٤] ، المتوفىٰ ١٩٥١م ، الذي قرر أن الواسطي قد وضع كتابه حوالي عام ٥٠٠هـ . ونعدّ قول كراتشكو فسكي هذا من الوهم ، لأن الواسطي لم تصل حياته ، بكل تأكيد ، إلىٰ هذه السنة ، للأسباب التي سنذكرها بعد قليل ، ولأنه من شيوخ ابن عقيل ، المتوفىٰ سنة ٥١٣هـ[٥] .

---

(١) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ١/ ١٤٨ .
(٢) ورقة ٥٧٦ب .
(٣) ٢/ ٤٨٢ .
(٤) تاريخ الأدب الجغرافي ، القسم ٢/ ٥٠٩ .
(٥) مكانة القدس عند المسلمين ، ص ٢٣ .

ويقع في الوهم أيضًا الدكتور إسحاق موسىٰ الحسيني[1] ، الذي يجدّ في أن يعثر علىٰ ترجمة للواسطي ، فلا يقع علىٰ شيء من ذلك . ولكنه يجتهد فيرجّح أن والد المؤلّف أحمد بن محمد الواسطي ، هو الذي ترجم له تاج الدين السُّبكي ، المتوفىٰ ٧٧١هـ ، في طبقات الشافعية الكبرىٰ[2] ، وهو الذي كان مع ابن الموفق – الخليفة العباسي المعتضد بالله – في الوقعة التي جرت بينه وبين خمارويه بن أحمد بن طولون ، التي تسمىٰ « وقعة الطواحين » بنواحي الرَّمْلَة ، وأنه كان كاتبًا له . ويستمر الدكتور الحسيني في الاستنتاج فيقول إنه من المحتمل أن الابن (وهو المؤلّف) انتقل إلىٰ بيت المقدس حيث تولىٰ فيها الخطابة ، وحدّث بكتابه في بيته سنة ٤١٠هـ .

ويلاحظ الدكتور كامل جميل العسلي[3] بُعد هذا الافتراض والاستنتاج ، لأن وقعة الطواحين جرت حوالي سنة ٢٨٠هـ ، ومن الصعب أن نخلص إلىٰ أن أحمد الواسطي الذي اشترك فيها يمكن أن يكون أبا للمؤلف الذي وُلد بعد المعركة بما لا يقل عن مئة عام .

ولا يفيدنا كثيرًا ما وصل إلينا من نسبة المؤلّف إلىٰ واسط ، وأنه هو ، أو أجداده ، كانت موطنه الأصلي ، فلا يستقيم الافتراض أنه منسوب إلىٰ مدينة واسط العراق ، رغم شهرتها ، وهي التي بناها الحجّاج بن يوسف الثقفي في عهد الأمويين ، وفرغ من بنائها عام ٨٦هـ . نقول ذلك لأن ياقوت الحموي في « معجم البلدان » روىٰ لنا في مادة واسط[4] أكثر من خمسة عشر موضعًا في العراق وغير العراق يحمل هذا الاسم ، وأن كثيرًا من هذه المواضع قد نُسِب إليها علماء غير هذا المؤلّف[5] .

---

(١) فضائل بيت المقدس ، مقالة ، ص ٣٠٤ .

(٢) ٣/ ١٩٧ .

(٣) مخطوطات فضائل بيت المقدس – دراسة وبيبليوغرافيا ، ص ٢٨ .

(٤) ٥/ ٣٤٧ – ٣٥٣ .

(٥) وانظر اللباب في تهذيب الأنساب ، ٣/ ٢٥٧ .

وحسبنا من حياة الواسطي ، فوق ما عرفنا ، علىٰ قلّته ، ما تكشفه لنا مخطوطة الفضائل التي نحن بصددها . ففي أولها أنه قرأ الكتاب في منزله ببيت المقدس عام ٤١٠هـ[1] . وحين نفترض أنه كان آنذاك قد بلغ مبلغ الرجال ، وبلغ من العلم أن وضع كتابه هذا ، يصبح من المقبول أن نفترض أيضا أنه وُلد في أوائل الربع الأخير من القرن الرابع الهجري ، وأنه كان حين حدَّث الكتاب في منزله في الثلاثين من عمره ، يقل ، أو يزيد ، قليلًا .

ويكشف لنا الكتاب أنه كان علىٰ اهتمام بالحديث النبوي ، وأن الأحاديث النبوية التي أوردها ، وكذلك جميع الأخبار الأخرىٰ ، رواها بأسانيدها كاملة دون حذف أو اختصار ، متّبعًا في ذلك طرق المحدِّثين . ومن هذه الأسانيد عرفنا شيوخه ، كما عرفنا من بعضها شيوخ أخيه أبي حفص عمر ، الأمر الذي يُفضي إلىٰ أن أخاه هذا كان علىٰ اهتمام وعناية بالحديث النبوي أيضًا . وعرفنا كذلك بعض مَن نقل عنه الفضائل ، سواء كانت النقول فصولًا كاملة ، أو أحاديث وأخبارًا متفرّقة .

(٣)

مباحث الكتاب ومصادرها :

تعود أهمية هذا الكتاب إلىٰ أنه أقدم كتاب مستقل ، وصل إلينا ، تختصّ مباحثه بأكلمها في فضائل البيت المقدس . هذه المدينة التي أسماها المؤلف بهذا الاسم الذي غلب عليها بعدالفتح الإسلامي لها ، هو واسم بيت المَقْدِس .

وقد وصل إلينا قبل الواسطي أكثر من كتاب طَرَق موضوع فضائل هذه المدينة ، ولكن هذه المباحث لم تُفرد في كتاب مستقل يحمل هذا العنوان ، أو قريبًا منه . ولا شك أن الواسطي قد أفاد مما سبقه من هذه المؤلَّفات التي أتت علىٰ هذا الموضوع علىٰ نحوٍ ما . فآبن قُتَيْبَة الدِّيْنَوَرِي ، المتوفىٰ ٢٧٦هـ ، يختار في كتابه « عيون

---

(١) فضائل البيت المقدس ، ص ٣ .

الأخبار »[1] من التوراة والإنجيل والزَّبُور . ويذكر كيف كان الشجر يكلّمَ سليمان النبي في محرابه . ويروي عن وَهْب بن مُنَبِّه مناجاة عُزَير ربَّه فيما يتعلق ببيت المقدس ، وما أوحىٰ الله إلىٰ داود النبي في الزَّبُور .

ويتأثر ابن عبد ربّه الأندلسي ، المتوفىٰ ٣٢٨هـ ، في كتابه « العِقْد الفريد »[2] ، بآبن قُتَيْبَة ، ويتوسع في أخباره عن بيت المقدس ، ويروي خبرًا مفاده أنه كُتب علىٰ جدار من جُدُر المدينة بيتان من الشعر بالذهب . ويصف مسجد بيت المقدس ، ومافيه من آثار الأنبياء ، وطوله وعرضه وعدد قناديله ، وعدد خشبه وأبوابه ومحاريبه . ومما ذَكر من الأخبار أنه كان طول صخرة بيت المقدس في السماء اثني عشر ميلًا ، وكان أهل أرِيحاء يستظلون بظلها ، وأهل عَمَواس مثل ذلك . وكان عليها ياقوتة حمراء تضيء لأهل البلقاء ، وتغزل النساءُ في ضوئها . ويَذكر وادي جهنم الذي يقع شرقيّ بيت المقدس ، ومحراب مريم ابنة عمران التي كانت الملائكة تأتيها فيه بفاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، وفضل البلاطة السوداء التي تسامي الصخرة لأنها علىٰ بابٍ من أبواب الجنة . ويَذكر من « فضائل بيت المقدس » زفاف الكعبة بحاجِّها إلىٰ بيت المقدس ، ويقال لها : مرحبًا بالزائرة والمزورة ؛ وزفاف الحجر الأسود إلىٰ بيت المقدس ، والحجر يومئذٍ أعظم من جبل أبي قُبيس .

ومن هؤلاء أيضًا ممَّن سبقوا الواسطي في التأليف ، الحسن بن أحمد المهلبي – وهو من رجال الحديث – المتوفىٰ عام ٣٨٠هـ ، وهي سنة قريبة من ولادة الواسطي ، علىٰ نحو ما قدّرنا ذلك في موضعه من هذه المقالة . فقد ألّف المهلبي هذا كتابَ « المسالك والممالك العزيزي » ، وعقد فيه فصلًا بعنوان « صفة بيت المقدس »[3] ، تحدث فيه عن مكانة هذه المدينة . وكانت مادته الجغرافية هي الطابع

---

(١) انظر ١/ ١٥٠ ، ٢/ ٧٦ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٧٢ .
(٢) انظر ٣/ ٣٥ ، ٦/ ٢٦٣ – ٢٦٥ .
(٣) ص ٤٣ – ٥٥ .

العام لهذا الفصل . ولكنه حين يصف بيتِ المقدس قبل الإسلام يعتمد علىٰ أهل الكتاب من اليهود ، ومن النصارىٰ . وَيذكر المهلبي وادي جهنم الواقع شرقي المسجد . ويروي من الأخبار الغريبة أن المصلّين كانوا يصلّون في المسجد متلاصقين ، فإذا سجدوا وجدوا بين كل اثنين منهم أربع أذرع ، كأن الأرض تتسع بسجودهم .

وقد قصدتُ أن أذكر بعض هذه المباحث ، ليتضح أن كثيرًا من مباحث الواسطي وأخباره كانت متداولة في كتب قد سبقته علىٰ أنها من فضائل بيت المقدس .

لقد قسَّم الواسطي مادة كتابه إلىٰ أبواب بلغت أربعة وثلاثيـن بابًا . كل باب يحمل عنوانًا لمادته . وهي أبواب متفاوته طولًا وقصرًا . ويحسّ قارئها بوضوح أنها غير محكمة الترتيب ، فلا هي مرتبة وفق مصادرها المختلفة ، أو وفق ترتيب زمني تاريخي ، يلتزم فيها من أقدم العصور إلىٰ العصر الإسلامي المبكر ، فاللاحق له . ثم إن الباب نفسه لا تنطوي أحاديثه وأخباره كلها تحت عنوان الباب . فنجد بعضها أولىٰ أن يُذكر في باب آخر . ولعلّ هذا هو سبب توزّع بعض الأحاديث والأخبار ذات الموضوع الواحد علىٰ أكثر من باب ، ومثل هذا الاضطراب شائع في الكتاب ، لا نحتاج إلىٰ ضرب الأمثلة لندلِّل عليه .

كما نجد بعض الأحاديث والأخبار التي افتتح الواسطي بها كتابه ، لم يطلق عليها اسم باب تنطوي تحته ، وهي أحاديث وأخبار تتعلق « بشدّ الرِّحَال » ، وبناء داود وسليمان الهيكل ، وفضل الصلاة في المسجد الأقصىٰ ، وفضل محراب داود ، والسباحة في عين سلوان لأنها من الجنة[1] . يضاف إلىٰ ذلك أننا نجد في تضاعيف الكتاب ثلاثة عنوانات لا تنطوي مادتها تحت باب من أبواب الكتاب المعدودة . وهذه العنوانات هي : حديث الدجال ، وحديث قيصر ، وذكر فتح بيت المقدس علىٰ الصلح[2] .

(١) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٣ - ١٣ .
(٢) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ .

ولعلّ خلّو الكتاب من مقدمة تشرح منهجه ومصادره ودواعي تأليفه وأهدافه ، علىٰ نحو ما نجد في بعض كتب فضائل بيت المقدس اللاحقة ؛ وكلّ هذا الذي ذكرناه آنفًا ، يشهد علىٰ ما نزعمه من عدم إحكام تبويب مادة الكتاب . والحق أن هذا هو شأن كلّ مصنَّف له فضل السبق ، لا يتوفر فيه نضج التأليف والتصنيف .

علىٰ أن هذا الكتاب بفضل سبقه ، يُعَدّ في ذاته مصدرًا من أهم المصادر التي نقل عنه كثير ممن ألف في فضائل بيت المقدس ، بعد عهد المؤلّف في مطلع القرن الخامس الهجري . وبعض هؤلاء النقلة أشاروا إليه إشارة صريحة ، وبعضهم لم يفعل ذلك ، رغم وضوح هذا النقل . وليس من همّنا هنا أن نذكر مَن أفاد من هذا المصنَّف لكثرة عددهم .

ويتصل بهذه الفائدة أن الواسطي لم يفته أن يذكر في كتابه أسماءَ الصحابة الذين سكنوا بيت المقدس والتابعين ، وماتوا بها ، ومَن أعقب منهم وقبورهم بها[1] . ولاشك أن مثل هذا الاستيفاء المقتضَب هو النواة فيما فصّل فيه مَن ألّف في فضائل بيت المقدس من اللاحقين ، وترجم لهم ؛ كما ترجم للعلماء والصلحاء المتّقين الذين زاروا المدينة ، أو أقاموا فيها ، ودفنوا في ثراها .

وبإزاء عدم شيوع هذا الكتاب مطبوعًا في الوطن العربي والإسلامي ، فإنه لابدّ من الإطالة بذكر أبواب الكتاب ، ليقف القارئ علىٰ جوّه ، وعلىٰ حدود مباحثه ، الأمر الذي سيعين علىٰ استبيان مصادره حين نأتي علىٰ ذكرها بعد قليل .

وأبواب الكتاب علىٰ نحو ما وردت فيه ، هي : باب وادي جهنَّم . باب أيّ مسجد وُضع أولًا . باب مَنْ أتىٰ بيت المقدس . باب الحسنات تضاعف في بيت المقدس . باب فضل بيت المقدس والصلاة فيه . باب ما رُوي عن ذي الأصابع وخبره . باب حديث طاطري وما حمل من بيت المقدس . باب فضل مسجد بيت المقدس ، باب كانت اليهود تسرج مصابيح بيت المقدس . باب فضل

---

(١) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٦٤ — ٦٥ .

عين سلوان وزمزم . باب قول عمر (ض) أين نضع المسجد . باب مَنْ مات في بيت المقدس . باب طور زيتا . باب في المحراب . باب أنَّ النبي ﷺ صلَّى إلىٰ بيت المقدس . باب فتح بيت المقدس . باب عمران بيت المقدس . باب ذكر الجبال . باب مَنْ أَهَلّ من بيت المقدس . باب بيت المقدس كأس من ذهب . باب في بيت لحم وفضل الصلاة فيه . باب فضل الصخرة والماء الذي يخرج من أصلها . باب معراج الصخرة . باب فضل الصلاة في الصخرة وخبر السلسلة . باب قبر آدم عليه السلام . باب فضل الصخرة ليلة الرجفة . باب بناء عبد الملك بن مروان الصخرة . باب يُنادي المُنادي مِنْ مَكانٍ قَريبٍ . باب يَوْمَ يُنادي المُنادي مِنْ مَكانٍ قَريبٍ . باب في فضل البلاطة السوداء . باب مسكن الخضر (ص) . باب لا تقوم الساعة حتىٰ تزفّ الكعبة إلىٰ الصخرة . باب حديث الورقات . باب من حديث الإسراء الذي أسري بنبيّه محمد ﷺ من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ .

ويمكن أن نردّ هذه الأبواب جميعًا ، بل مادة الكتاب كلها ، إلىٰ مصادر إسلامية وغير إسلامية ، لا تخرج عنها ، وهي :

١ - ***القرآن الكريم*** : وردت في الكتاب آيات قرآنية ذات علاقة ببيت المقدس . بعضها جاءت الإشارة فيها إلىٰ هذه المدينة صريحة لا مجال للاجتهاد فيها . وبعضها جاءت علىٰ رأي تفسير من التفاسير . ومن هذه الآيات الصريحة مايتعلق بحادث الإسراء بالرسول من مكة إلىٰ القدس ، ثم معراجه من القدس إلىٰ السماء . تقول الآية الكريمة : ﴿ سُبْحانَ الذي أَسرىٰ بعبدِهِ ليلًا من المسجد الحرام إلىٰ المسجدِ الأقصىٰ * الذي باركنا حَوْلَه ﴾[1] . وهو حدث إسلامي بحت ، وتكريم لاشك فيه لبيت المقدس ، في وقت مبكر من ظهور الإسلام . وقد بلغ هذا الحدث عند المسلمين مبلغًا عظيمًا . وليس من قَبيل الصدفة أن يختم الواسطي كتابه[2] هذا بباب الإسراء بنبيّه من المسجد الحرام إلىٰ المسجد الأقصىٰ ، وكأنه يؤكد قدسية بيت المقدس عند المسلمين ، فهي مدينة الإسراء والمعراج ، وهذا حسبهم .

---

(١) سورة الإسراء ، الآية ١ .

(٢) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٩٤ - ١٠٢ .

أما الآيات التي فسّرها المفسرون علىٰ أن المقصود بها بيت المقدس ، أو ما يتعلق بها ، فكثيرة . ونكتفي هنا بذكر الآية الكريمة المتصلة بمشاهد يوم القيامة : ﴿ يومَ يُنادى المُنادى مِنْ مكانٍ قَريبٍ ﴾[1] . عن ابن عباس ، وعن قتادة ، وعن غيرهما ، أنهم قالوا : من صخرة بيت المقدس[2] . ولا يفوتنا أن نذكر أنه لحق بعضَ هذه التفاسير بعضُ « الإسرائيليات » ورواياتها ، وبخاصة أننا نعلم أن وَهْب بن مُنَبِّه ، أبا الإسرائيليات – علىٰ نحو ما سنذكره بعد قليل – قد صحب ابن عباس ولازمه ثلاث عشرة سنة[3] .

٢ – *الأحاديث النبوية* : يعدّ هذا المصدر من المصادر الأساسية للكتاب ، لكثرة ما ورد فيه منها . وهي متفاوتة في صحتها ، ودرجة قبولها . وأوثقها مما لا خلاف فيه ، بل أجمع أهل العلم علىٰ صحته ، وثبت في الصحيحين ، وورد في كتب الصحاح الستة ، حديث « شدّ الرِّحَال » الذي رواه الواسطي في كتابه ، بطرق مختلفة . وأول هذه الروايات ما افتتح به كتابه[4] عن الزُّهْري ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هُرَيرة ، قال رسول الله ﷺ : « لا تُشَدُّ الرِّحَال إلّا إلىٰ ثلاثة مساجد : مسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصىٰ » .

وفيما عدا ذلك نجد من الأحاديث النبوية مما رواه الواسطي ، بمقياس قواعد كتب « مُصطَلَح الحديث » و « الجَرْح والتعديل » ما هو : صحيح ، أو حسن ، أو غريب ، أو ضعيف تالف[5] ، أو واهٍ جدًا ومنكر[6] ، أو موضوع مكذوب[7] .

---

(١) سورة ق ، الآية ٤١ .
(٢) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٨٨ – ٨٩ .
(٣) الأعلام ٨/ ١٢٦ .
(٤) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٤ .
(٥) انظر في هذا فضائل البيت المقدس ، ص ١٨ – ٢٠ .
(٦) انظر في هذا فضائل البيت المقدس ، ص ١٦ ، ٢٤ – ٢٥ ، ٣٠ .
(٧) انظر في هذا فضائل البيت المقدس ، ص ٧٢ .

ويمكن أن نردّ هذه الأحاديث غير المقبولة إلىٰ أسباب عدّة ، أولها الإسرائيليات ، وعمل القصاص .

وليس أدلّ علىٰ عمل القصاص في الحديث النبوي ، ممّا رواه الواسطي في كتابه[1] ، بسندٍ كامل ينتهي بعُبَادَة بن الصَّامِت الذي قال : قال رسول الله ﷺ : «الصخرة صخرة بيت المقدس علىٰ نخلة، والنخلة علىٰ نهر من أنهار الجنة، وتحت النخلة آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، تنظمان سموط أهل الجنة إلىٰ يوم القيامة » . ولا يمرّ هذا الحديث برجاله مرّ الكرام ، فإسناده عندهم مظلم ، ونصه كذب ظاهر ، وهو من عمل القصاص في فضل بعض أماكن من المسجد ، لا تثبت عند الخواص . ومثله حديث نبوي آخر عن أبي هُرَيْرَة عن النبي ﷺ قال[2] : « الأنهار كلها والسحاب والبحار والرياح من تحت صخرة بيت المقدس » . فهو عند المحدّثين حديث مرفوع لا يثبت منه شيء .

وواضح أن رجال الحديث تساهلوا في رواية الأحاديث الضعيفة ، إذا لم تكن ذات علاقة بالعقيدة وأحكام الدين والسنن والفرائض والشريعة وما يتعلق بالحلال والحرام . ومما تساهلوا فيه إذا كانت الأحاديث في فضائل الأعمال ، والمستَحبَّات منها ، وبالتالي ما يتعلق بفضائل أماكن مقدسة كبيت المقدس . فحديث : « بَيْتُ المقدسِ أرضُ المحشر والمنشر » ورد في بعض كتب الحديث ، ولكنه لم ينته فيه إلىٰ حكم[3] . ونعدّ هذا نوعًا من التساهل في الحديث النبوي ، مادام في فضائل أماكن مقدسة ، مثل بيت المقدس ، مع أن مصدر هذا الحديث واضح وهو « التوراة » ، وأنه يُروىٰ عن كعب الأحبار[4] .

---

(١) فضائل البيت المقدس ، ص ٦٧/ ٦٨ .
(٢) فضائل البيت المقدس ، ص ٦٩ .
(٣) مختصر المقاصد الحسنة ، ص ٨١ ، وفي مقدمته ص ٣٠ .
(٤) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٧١ ، ٧٣ .

ولاشك أن الواسطي كان يدرك تصنيف هذه الأحاديث النبوية ودرجة قبولها ، علىٰ وجه الدقة ، ولكنه ترخّص في رواية الأحاديث طالما أنها في تمجيد بيت المقدس وتمييزه . ويبدو أنه لم يكتفِ بهذا الترخص في رواية الأحاديث النبوية الواهية ، بل زاد فيها أشياءَ ينكرها العقل ، ولا يجيزها العلم . إذ نجد بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، المتوفىٰ ٧٩٤هـ ، وهو واضع كتاب « إعلام الساجد بأحكام المساجد » يطعن في كتابه[١] في رواية حديث نبوي نقله عن الواسطي في كتابه الفضائل ، وقال إنه « زاد فيه أشياءَ منكرة » .

علىٰ أن افتتاح الواسطي كتابه بحديث « شدّ الرِّحَال » المجمَع عليه ، واختتامه بالآية القرآنية « الإسراء » ، علىٰ نحو ما ذكرنا ، يحملان معنى إسلاميًا كبيرًا فيما يتعلق بقدسية هذه المدينة . ثم إن ترتيب الأماكن في الحديث النبوي برواية الزُّهْري التي ذكرناها ، تضع هذه القدسية عند المسلمين في مكانها الصحيح ، بعد قدسية المسجد الحرام ، ومسجد الرسول .

٣ - ***الأحداث التاريخية في عهود الإسلام*** : الأحداث المذكورة في الكتاب من هذا القبيل كثيرة ، ذلك لأن الإسلام ميَّز هذه المدينة تمييزًا خاصًا . ومنها رسالة الرسول ﷺ لقيصر التي حملها دِحْيَة بن خليفة الكلبي[٢] . وتسلّم الخليفة عمر بن الخطاب المدينةَ بعهد تاريخي معروف ، عندما فتحها العرب المسلمون صلحًا[٣] . وبناء الأمويين المسجد وقبة الصخرة[٤] . وإسراج اليهود بيت المقدس حتىٰ أيام عمر ابن عبد العزيز الذي استبدل بهم عبيدًا اشتراهم من أموال الخُمْس[٥] . وبناء قبة الصخرة بعد تهدمها في الزلازل[٦] .

---

(١) ص ٢٨٨ . وانظر فضائل البيت المقدس ص ١٣ .
(٢) فضائل البيت المقدس ، ص ٦٤ .
(٣) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٦٦ - ٦٧ ، ٧٨ .
(٤) فضائل البيت المقدس ، ص ٨١ - ٨٣ .
(٥) فضائل البيت المقدس ، ص ٤٣ - ٤٤ .
(٦) فضائل البيت المقدس ، ص ٨٣ - ٨٤ .

٤ - **الإسرائيليات** : وهي روايات دخلت الإسلام من مصادر يهودية من التوراة والتلمود والزَّبُور ؛ بالإضافة إلىٰ أخبار لقمان . وأشهر مَن رواها وأشاعها أبو إسحاق كَعْب الأحبار ، المتوفىٰ ٣٢هـ ؛ ووَهْب بن مُنَبِّه ، المتوفىٰ ١١٤هـ ؛ وكانا يهوديين فأسلما . كان الأول[١] من كبار علماء يهود اليمن في الجاهلية ، وأسلم في زمن أبي بكر ، وقدم المدينة في عهد عمر ، فأخذ عنه الصحابة وغيرهم كثيرًا من أخبار الأمم الغابرة . أما وَهْب بن مُنَبِّه[٢] فإليه ترجع أكثر الإسرائيليات المنتشرة في المؤلَّفات العربية . وكان هذا يستمد بعض أخباره من النصارىٰ . وأخباره ممزوجة بالقصص والأساطير .

وقد توجهتْ هذه الروايات نحو تفسير بعض آيات القرآن الكريم ، علىٰ نحو ما بيّنا في موضعه من هذه المقالة . كما توجهتْ إلىٰ وضع بعض الأحاديث النبوية . نلقىٰ في كتاب الواسطي[٣] خبرًا عن صفوان بن عمرو أنه قال : مكتوب في التوراة : « بيت المقدس كأس من ذهب مملوءة عقارب » . ونلقىٰ كذلك في كتب الحديث النبوي رواية قريبة من قول صفوان ، وهي أن الرسول الكريم قال : « بيتُ المقدس طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مملوءٌ عقارب » . ويُعلِّق علىٰ الحديث أنه « يُذكر عن التوراة »[٤] . ونرىٰ هنا كيف اختلطت الأخبار بالأحاديث النبوية فيما يتعلق بفضائل بيت المقدس ، والمصدر فيهما واحد ، وهو « التوراة » .

وتتوجه الإسرائيليات كذلك في رواياتها المشحونة بالأساطير نحو أحداثٍ في فضائل بيت المقدس ، تعود - في الغالب - إلىٰ أزمان قديمة ، قبل ظهور الإسلام ؛ كشراء أرض الهيكل وبنائه علىٰ يد داود وسليمان[٥] ، أو خرابه[٦] ، أو عصا

---

(١) الأعلام ، ٥/ ٢٢٨ .
(٢) الأعلام ، ٨/ ١٢٥ .
(٣) فضائل البيت المقدس ، ص ٥٩ .
(٤) مختصر المقاصد الحسنة ، ص ٨١ .
(٥) فضائل البيت المقدس ، ص ٨ - ١١ ، ١٧ ، ٢٠ .
(٦) فضائل البيت المقدس ، ص ٣٨ - ٣٩ .

موسىٰ ورؤيته الأرض المقدسة من مكان بعيد[1] ، وبعض فضائل بيت المقدس عمومًا[2] . ويكفي أن ننقل للقارىء من هذه الأخبار الخبر التالي الوارد في الكتاب[3] ، لندلّل علىٰ ما نزعمه : « لمَّا فرغ سليمان بن داود عليهما السلام من بناء بيت المقدس ، أنبت الله عزّ وجلّ شجرتين عند باب الرحمة ، إحداهما تنبت الذهب ، والأخرىٰ تنبت الفضة ، فكان كلّ يوم ينتزع من كلّ واحدة مئتَي رطل ذهبًا وفضة ، ففرش المسجد بلاطة ذهب ، وبلاطة فضة » .

٥ - ***القَصَص الشَّعْبِي*** : واضح أن الواسطي قد روىٰ من هذه القِصَص ما كان معروفًا لدىٰ الناس في أيامه ، أو قبلهم . وهي تعتمد ، في غالبها ، علىٰ الأساطير والخرافات القديمة والخيال والغرائب والعجائب ، وليس فيها شيء من الحقيقة والواقع .

ويبدو أن الهدف من هذه القِصص كان في الأصل الوعظ والتسلية ، ثم تجاوزت المألوف وأصبحت تقصد إثارة المستمعين من المسلمين المحبِّين لهذه المدينة ، واستمالة أهوائهم . وربما نجد بعض هذه القِصص له صلة بالإسرائيليات ، نَمَت بوحي منها . ولعلّ هذه الصلة هي التي تجعل الفصل بين بعض هذه القصص الشعبية والإسرائيليات ، في مثل هذه الحالات ، صعبًا .

ومن المصادر التي سبقت الواسطي أو عاصرته واحتوت كثيرًا من هذه الأساطير والقصص ، كتب الملاحم والفِتَن ، وكذلك قصص الأنبياء ، وما يتعلق بالأمم الغابرة . وقد شجع علىٰ إشاعتها اعتراف الإسلام بجميع الأنبياء، وعدم مخالفة هذه القِصص للكتاب والسُّنَّة . ومن هذه الكتب كتاب أبي حسن علي الكسائيّ ، المتوفىٰ ١٨٩هـ ، وعنوانه « قصص الأنبياء » ، وكتاب أبي إسحاق الثعالبي (الثعلبي) النيسابوري ، أحمد بن محمد بن إبراهيم ، المتوفىٰ ٤٢٨هـ ، واسمه « قصص الأنبياء » أيضًا . وكان لا يوثق بالثعالبي هذا ، وقصصه باطلة .

---

(١) فضائل البيت المقدس ، ص ٢٧ .

(٢) فضائل البيت المقدس ، ص ٤٠ ، ٤٦ ، ٦٠ - ٦١ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦ .

(٣) فضائل البيت المقدس ، ص ٣٦ - ٣٧ .

ويدخل في هذا الباب من عمل القصاص ، ما ورد في كتاب الواسطي من أن عينَ سلوان في بيت المقدس جزءٌ من الجنة ، ومَن يأتي إليها لابدّ أن يسبح فيها[1] . وأن كلَّ ماء عذب يخرج من أصل الصخرة ، ويخرج من تحتها أربعة أنهار من الجنة[2] . وأن رأس آدم عن يمين الصخرة، ورجلاه على ثمانية عشر ميلًا[3] . وأن صخرة بيت المقدس من صخور الجنة[4] . وأن البلاطة السوداء القريبة من الصخرة تقع على باب من أبواب الجنة، والصلاة والدعاء عليها مستجاب[5] . وأن قبة الصخرة اقتُلعت من مكانها ليلة الرجفة ، ثم تمَّ إعادتها على حالها بفعل الملائكة[6] . وأن الساعة لا تقوم إلّا يوم زفاف الكعبة إلى الصخرة[7] . وأن أحدهم – وسُمي آسمه – دخل جُبًّا في بيت المقدس ، فأفضى به إلى الجنة ، وعاد ومعه ورقات منها لم يتغيّر لونها[8] .

وتتكاثر في الكتاب الروايات اليهودية عن الصخرة ، كعين الزيت التي كانت تنزل عليها من السماء فتدور في القناديل فتملؤها من غير أن تُمَسّ[9] . على أن من أعجب الأمثلة التي وردت في الكتاب[10] على وضع القصاص المتأثر بالإسرائيليات ، ماذكره الواسطي دون أن ينكره ، أن ارتفاع الصخرة كان أيام سليمان بن داود اثنتي عشرة ذراعًا ، وكان عليها قبة من العود الطيِّب الرائحة ، وارتفاع هذه القبة ثمانية عشر ميلًا . وفوق القبة غزال من ذهب في عينيه درّة حمراء تقعد نساء أهل البلقاء يغزلن على ضوئها بالليل ، وهي على ثلاثة أيام منها . وكان أهل

(١) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ١٣ ، ٤٤ .
(٢) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٦٨ .
(٣) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٧٧ .
(٤) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٧٨ .
(٥) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٩٠ .
(٦) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٧٩ – ٨١ .
(٧) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٩٢ – ٩٣ .
(٨) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٩٣ – ٩٤ .
(٩) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٨٥ .
(١٠) انظر فضائل البيت المقدس، ص ٨٤ ، وهامش ص ٨٥ .

عمواس يستظلون بظلّ القبة إذا طلعت الشمس ، وإذا غربت استظلّ أهل بيت الرّامة وغيرها من القرىٰ بظلها . ويعلّق ابن سرور المقدسي ، المتوفىٰ ٧٦٥هـ ، في كتابه مثير الغرام « بفضائل » (إلىٰ زيارة) القدس والشام ، علىٰ هذه الترّهات فينسبها إلىٰ قسم المستحيلات .

ولا نشك في أن هذين المصدرين الأخيرين : الإسرائيليات ، والقَصص الشعبي ، علىٰ وجه الخصوص ، قد نالا من أصالة كتاب الواسطي وقيمته .

وواضح أن هذا القصص الشعبي قد راج بين عامة الناس ، واستفحل أمره ، وأفرط هؤلاء العامة في تداوله ، وتعلّقوا بهذه الأساطير ، وخرجوا في ذلك عمّا تقرّه الشريعة الإسلامية . نجد آبنَ تيميّة ، المتوفى عام ٧٢٨هـ ، قد ساءَته هذه الأخبار الغريبة ، والممارسات الشعبية وشطحاتها . وعدّ التجاوز في تقديس هذه المدينة كفرًا ، كالوقوف بها عشية عرفة في عيد الأضحىٰ ، وغيره من معتقدات العامة التي تستند إلىٰ أقوال باطلة لا أصل لها بآتفاق أهل المعرفة بالحديث والشريعة . ويصف ابن تيمية هؤلاء بالجهل والضّلال[١] .

ويسجل ابن هشام الأنصاري ، عبد الله بن يوسف بن أحمد ، المتوفىٰ ٧٦١هـ ، في كتابه « تحصيل الأنس لزائر القدس »[٢] مبلغ هذا التردّي ، ويعدّد أمورًا يذكرها أهل البلد ، يغرون بها العوام ورعاع الناس ، وكلّها أكاذيب وترّهات ، أدّىٰ إلىٰ القول بها قلّة الدين ، وإرادة أكل أموال الناس بالباطل . ومن هذه الأمور أن سردابًا تحت الأرض ببيت المقدس يزعمون أنّ به اجتماعَ أرواح العباد ، ودكة في المدينة زعموا أنها كانت عرش بلقيس ، وسِكّينًا ملصقة بالأرض بالقرب من الصخرة يزعمون أنها التي أراد الخليل ذبح ولده بها ، وأن عيسىٰ بن مريم أُتِيَ به أصلًا من مكة إلىٰ بيت المقدس ، ليكون عروجه منها .

---

(١) قاعدة في زيارة بيت المقدس ، ص ٥٧ — ٦٠ .

(٢) انظر فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ، ص ١٤٣ — ١٤٤ .

ويتنبّه كذلك ابن سرور المقدسي ، المتوفى ٧٦٥هـ ، في كتابه مثير الغرام « بفضائل » (إلى زيارة) القدس والشام[١] ، فيقول : « قاتل الله القصاصين والوضّاعين » لأنهم غَلَوا في وضع هذه الأقاصيص وإشاعتها بين الناس على الصورة الشوهاء التي وصلت إلينا .

وها هو جلال الدين السيوطي ، المتوفى ٩١١هـ ، يؤلف كتابًا باسم « تحذير الخواص ، من أكاذيب القصاص » . ويضع كثيرون غيره مؤلفات في هذا الباب .

وواضح أن ابن تيمية ، أو أيًّا ممن ذكرنا آنفًا ، لم يقصد أن ينفي فضل بيت المقدس ، أو يلغي تعلّق قلوب المسلمين بها ، وإنما أراد إعطاءَها وضعها الحقيقي الذي تستحقه من حب وقدسية ، دونما تجاوز . فهو ، وغيره من العلماء ، على دراية تامّة في أن في بيت المقدس المسجدَ الأقصى الذي باركه الله وبارك حوله ، وإليها أُسري بالرسول الكريم ، ومنها عرج إلى السماء قبل الهجرة بعام ، وأنها كانت القبلة الأولى للمسلمين بعد الهجرة[٢] ، وأن الرِّحَال لا تُشَدّ إلّا إلى مسجدها الأقصى ، مع المسجد الحرام بمكة ، ومسجد الرسول بالمدينة ؛ وما تبع ذلك من تميُّز بالفتح العُمَري لها صلحًا ، وبناء عبد الملك قبة الصخرة ، وأن جمعًا من الصحابة والتابعين والعلماء والصلحاء المتّقين زاروها ، أو أقاموا فيها ، ودفنوا في ثراها . وهي من قبل هذا كله مدينة الأنبياء ، الذين تعترف العقيدة الإسلامية بنبوّتهم ، منذ إبراهيم الخليل إلى عيسى بن مريم .

وبهذا ننتهي من ذكر المصادر المختلفة التي غَذَّت كتاب الواسطي بمادة وفيرة ومتنوعة . ولعلّ هذه المصادر تنسحب عمومًا على كتب فضائل هذه المدينة المقدسة ، مما أُلّف فيما بعد ، على تفاوت الاستفادة منها ، قلة أو كثرة ، ولكنّ هذه المؤلفات ظلت جميعًا تنهل منها .

---

(١) انظر فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ، ص ٥١ ، ١٠٨ .
(٢) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ٤٩ – ٥١ .

ونلاحظ خلو الكتاب من عنصر مهم في فضائل المدن عمومًا ، وهو الاهتمام بالأوصاف الجغرافية والطوبوغرافية والمعمارية والأثرية ، الذي كان ينبغي علىٰ الواسطي أن ينهل منه علىٰ نحو ما رأينا عند ابن عبد ربه ، والمهلبي ، أو علىٰ نحو ما فَصَّلت ذلك بعض كتب الفضائل اللاحقة . وكان الأولىٰ بالواسطي ، وهو من قاطني المدينة ، أن يسجِّل لنا في كتابه – من خلال تجربته الشخصية – معلومات من واقع المكان الذي يعيش في كنفه ، فيذكر مثلًا قياسات المسجد الأقصىٰ في أيامه ، من طول وعرض وارتفاع ، ووصفًا لقبة الصخرة ، داخلها وخارجها ، وجبال المدينة ، وتلالها ووديانها وسهولها وعيونها . لا نجد في الكتاب شيئًا من هذا . وحين يذكر بعض الجبال يذكر قدسيتها[1] ، وكذلك عين سلوان وغيرها من المواضع ، ولم ينظر إليها نظرة الجغرافي . وهكذا ظلّ الواسطي في كتابه محدِّثًا بفضائل بيت المقدس من الناحية الدينية والتاريخية ، وقدسية بعض الأماكن فيها .

ومن الصعب ، بإزاء هذا التنوع في مادة الكتاب ، أن تُنسَب هذه المادة إلىٰ علم التاريخ علىٰ نحو ما يفعل الباحثون في إدراج كتب الفضائل في هذا العلم ، ويعدّون كتب فضائل المدن فرعًا من فروعه . وواضح أن هذا التصنيف غير دقيق ، فلقد وجدنا كتاب الواسطي مثلًا لا ينطوي علىٰ مادة موضوع واحد ، فهو خليط من موضوعات دينية – من آيات قرآنية وأحاديث نبوية – وأحداث تاريخية ، وإسرائيليات متأثرة بمصادر يهودية ، وربما نصرانية ، وأقاصيص شعبية ، بما تنطوي عليه من أساطير وخرافات . فضلًا عَمَّا نجد في غيره من كتب فضائل المدن من موضوعات جغرافية ومعمارية وأثرية .

---

(١) فضائل البيت المقدس ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٤)

الدراسة والتحقيق[١] :

درس المحقق مادة الكتاب ، وهو غير خالٍ من هوىً في نفسه ، الأمر الذي أبعده في كثير من الأحايين عن النهج العلمي ، وأقصاه عن الطريق الذي يسلكه العلماء في بحوثهم الرصينة ، إذا ما خلت نفوسهم من أهواء وأغراض .

تقرأ الدراسة في الكتاب ، أو في دراسة أخرىٰ له في غير الكتاب ، فتراه يُرجع الهدف من تأليف كتاب الواسطي إلىٰ أسباب عارضة كجَمع الأموال لإعادة بناء المسجد الأقصىٰ وترميمه علىٰ إثر وقوع قبة الصخرة في سنة ٤٠٧هـ[٢] . وهو يضخم هذه الأسباب العارضة لأن حبّ المسلمين لها سيكون عارضًا كذلك ، ويزول هذا الحب بزوال هذه الأسباب . والصحيح أن بواعث التأليف في فضائل بيت المقدس ، سواء كانت في غير كتاب مستقل ، أو مستقل ككتاب الواسطي هذا ، وسواء وضع قبل هذ الكتاب أو بعده ، كان دافعها الأول هو العنصر الديني . وهو تميّز هذه المدينة عند المسلمين ، علىٰ نحو ماجاء في القرآن الكريم ، والحديث النبوي . ولا يمنع أن يساهم في التأليف بعدئذٍ ظهور دوافع أُخرىٰ عارضة أو موقوتة .

ويبدو واضحًا أن وجهة نظر المحقق ترمي إلى إغفال العنصر الديني ، ومكانة المدينة الدينية لدىٰ المسلمين ، الذي من أجله ينظرون إليها نظرة مميَّزة في كلّ الأزمان والعصور ، وفي أيّ الظروف ، لعلاقة ذلك بعقيدتهم الدينية .

ويعيد المحقق علو مكانة بيتَ المقدس ، في عهد الأمويين ، إلىٰ أسباب سياسية قبلية[٣] . ويعتمد في ذلك دائمًا علىٰ أوهىٰ الروايات ، ويفتش عمدًا عن أضعف

---

(١) الحديث في هذا القسم مقتضب ، لأن هذه المقالة أُعدّت للنشر في باب « تعاريف » من مجلة معهد المخطوطات العربية ، وليس في باب « متابعات » .

(٢) انظر فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ، ص ٤٢ ، ٦٣ – ٦٥ .

(٣) انظر فضائل البيت المقدس ، ص [١٩] .

الأخبار . وكذلك يزعم أن بيت المقدس لم تلقَ العناية في عهد العباسيين ، لأسباب سياسية أيضًا . ومن رواياته في هذا الصدد أن خلفاء بني العباس نقلوا إلىٰ الكعبة درةَ اليتيمة ، وقرنَي كبش إبراهيم ، وتاج كسرىٰ ، وكانت معلقة في وسط قبة الصخرة منذ أيام عبد الملك بن مروان[1] . وهذه الرواية ، ومثلها ، روايات متهافتة ، ينتقيها المحقق انتقاءً لأمرٍ ما في نفسه[2] .

* * *

أما التحقيق ، فإن النظرة العجلىٰ في النص تُبدي الملاحظات التالية :

١ - يلقىٰ القارىء أعلامًا في النص غير مضبوطة ، وهي أعلام تحتاج إلىٰ تمام ضبطها ، وتركها دون ضبط يُوقع القارىء في حيرة . وأضرب من الأمثلة علىٰ ذلك العَلَم « وهب بن منبه » يَرِدفي النصّ خمس مرات[3] ، لا يضبطه المحقق حتىٰ يُقرأ علىٰ وجهه الصحيح . وفي بعض المواضع منها وضع الشدّة علىٰ باء « منبه » دون بيان حركتها بالفتح أو بالكسر . والصواب أن يوردها كاملة الضبط « وَهْب بن مُنَبِّه » .

ومثل هذا العلم « سعيد بن المسيب » الذي يَرِد في النص في خمسة مواضع[4] ، بعضها خالية من الضبط ، وبعضها غير كاملة الضبط ، فيشدّد الياء في « المسيّب » دون أن يبّين نطقها الصحيح بفتح أو بكسر . والمشهور أنها بفتحة علىٰ الياء المشددة . ولا يعفي المحقق من ضرورة الضبط ما نُقل عن سعيد نفسه أنه كان يقول بكسر الياء ،

---

(١) انظر فضائل البيت المقدس ، ص [٣٠] ، [٣٥] ، ٧٥ - ٧٦ .

(٢) انظر استقصاء هذا الموضوع ، وتفنيد هذه الآراء وغيرها ، في كتاب : فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ، د. محمود إبراهيم . وانظر فيه علىٰ وجه الخصوص ص ٤١ - ٤٣ ، ٥٥ ، ٥٧ - ٥٨ ، ٦٠ - ٦٦ .

(٣) فضائل البيت المقدس ، ص ٨ ، ٩ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٩٠ .

(٤) فضائل البيت المقدس ، ص ٤ ، ٦ ، ٢٠ ، ٥١ ، ٩٧ .

ويقول : سيَّب الله مَن يسيِّب أبي[1] . إذ يستطيع المحقق أن يضبطها بالفتح علىٰ المشهور ، ثم يذكر هذه الملاحظة في الهامش . أما أن يَترك المحققُ القارىء في حيرته ، فهذا عمل ناقص .

وآخر هذه الأمثلة موقعه في مقدمة الكتاب[2] ، وليس في النص . ذكر المحقق اسم ناسخ المخطوطة ، قال هو : أبو المحاسن الحسين بن موسىٰ بن الحسين الخوي . هكذا تَرك الكلمةَ الأخيرة دون ضبط ، مع حاجتها إلىٰ استقصاء هذه النسبة في اسم الناسخ ، والانتهاء إلىٰ ضبطها مع ذكر احتمالات الضبط الأخرىٰ[3] .

ومن أمثلة عدم ضبط الأماكن « عمواس » ، وهو موضع غير بعيد عن بيت المقدس . يَرِد في النص مرة واحدة[4] . فيهمل المحقق ضبطه . ولعلّ وجود أكثر من رواية في المصادر لضبطه ، هو الذي جعله يُحجم عن ذلك . وبهذا ترك القارىء في الحيرة التي وقع المحقق فيها . وكان بالإمكان أن يضبطها « عَمَواس » كما نصّ علىٰ ذلك أبو عبيد البكري في كتابه «معجم ما استعجم»[5]، قال: بفتح أوله وثانيه. ويَذكر المحقق في الهامش رواية الزمخشري لضبطها بقوله : بكسر أوله وسكون ثانية[6] . كما يَذكر الروايات الأخرىٰ في ضبطها .

٢ – يثبت المحقق في النص مختصرات أصحاب الحديث ورموزهم ، علىٰ نحو ما جاءت في المخطوطة . فيختصر في السَّنَد : حدثنا ، وحدثني ، وأنبأنا ، وأخبرنا ، بمختصراتها المعروفة المقرَّرة ؛ ولا يُثبت في الوقت نفسه جدولًا ، أو قائمة ، في المقدمة

---

(١) معجم مقيَّدات ابن خَلّكان ، ص ٣١٠ .
(٢) فضائل البيت المقدس ، ص [٣٦] .
(٣) انظر محاولة ضبطها في هذه المقالة ، عند الحديث فيها عن « وصف المخطوطة » .
(٤) فضائل البيت المقدس ، ص ٨٤ .
(٥) ٣/ ٩٧١ .
(٦) يُذكَر أن أهل فلسطين ينطقونها ، في الوقت الحاضر ، كضبط الزمخشري لها .

لهذه المختصرات وما تقابلها من الكلمات التامّة . وهذا يُوقع بعض القرّاء أحيانًا في لَبْس ، فيُشكل بعضها علىٰ بعضهم ، فيعدّ مختصرَ « أنا » بمعنىٰ « أخبرنا »[1] ، والصواب أنها بمعنىٰ « أنبأنا » . أما « أخبرنا » فمختصرها «نا » .

علىٰ أنّ الأهمّ من هـذا أنني لا أستسيغ هذه المختصرات تُثبَتُ في النصّ المحقَق ، علىٰ نحو ما فعل المحقِق ، وفعل الأقدمون . فالمختصرات بصورتها الناقصة تقطع تسلسل النصّ علىٰ القارئ ، فضلًا عن أنها تُوقع في مشكل أحيانًا علىٰ نحو ما رأينا قبل قليل . وإذا وجدنا عذرًا للأقدمين في استخدامها ، فإننا لا نجد هذا العذر بعد ظهور الطباعة وشيوعها . والأجدر كتابتها في النصّ بتمامها ، لأن هذه المختصَرات – في رأيي – سقيمة سقم اختصار « ﷺ » بصلعم .

٣ – يَشيع في النصّ الرسم الإملائيّ « خمس مائة » ، ومثلها « أربع مائة » وهكذا . وأحيانًا – علىٰ قلة – نجدها تُرسَم « خمسمائة » . والصحيح أن يسير النصّ علىٰ نهج واحد من الرسم الإملائيّ ، دون خلل أو اضطراب . ومن المبادئ المقررة في تحقيق النصوص العربية أن يكتب النصّ ، عند تقديمة محقَّقًا ، بالرسم الإملائي المتعارف عليه في عصرنا الحاضر ، فلا نحذف الهمزة أو نليّنها ، ولا نكتب « مائة » كما كانوا يكتبون ، بل نكتبها « مِئَة » علىٰ وزن « فِئَة » . نكتبها الأن علىٰ هذه الصورة ، لأن السبب في رسم العرب القديم قد زال ، وحتىٰ يتطابق الرسم مع نطقه . ونكتب « خمس مئة » مفصولة لا موصولة .

٤ – صنع المحقق فهارس للكتاب ، وهذه محمدة من محامد التحقيق الجيد . ومما صنع منها فهرس للآيات القرآنية ، وفهرس للأعلام ، وفهرس للأماكن . وقد فاته أن يصنع فهرسًا من أهم فهارس هذا الكتاب ، وهو فهرس للحديث النبوي . وقد أصبح من كمال تحقيق النصوص صنع الفهارس المختلفة التي تكشف عن كنوز النصّ المحقَق ، خاصةً كتب التراث العربي التي يكثر في تضاعيفها فوائد جمّة . إنني لما

---

(١) انظر فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ، ص ١٤٦ .

رغبت في تعقّب الحديث النبوي الوارد في النص بُغية تخريج بعضها وتصّنيفه وفق قواعد كتب « مصطَلح الحديث » و « الجَرْح والتعديل » ، اضطررتُ لفقدان الفهرس المرجوّ ، إلىٰ قراءَة النصّ بأكمله . ولعلّ السبب في إهمال المحقِق لصنع هذا الفهرس كثرة الأحاديث النبوية الواردة في الكتاب ، والحاجة إلىٰ جهد غير هيِّن للفصل بين الحديث النبوي والخبر المرويّ عن صحابي ، أو تابعي ، أو غيرهما .

٥ – من أخطاء طباعة الكتاب وإخراجه أنه يفصل بين المضاف والمضاف إليه ، فحين يَرِد العَلَم «عبد العزيز» مثلًا ، يضع «عبد» في آخر السطر ، و « العزيز » ، مفصولًا عنه ، في أول السطر التالي[1] . والعرب تكره ذلك ، و لم تصنعه في كتابتها .

ومن أخطاء الطباعة والإخراج أيضًا اضطراب توالي بعض الصفحات في المطبوع ، وهذا مربك للباحث . والاضطراب محصور في الكتاب ما بين صفحتَي ٥١ و ٥٧ .

* * *

(١) انظر فضائل البيت المقدس ، ص ١ .

كتاب

فضايل البيت المقدس

صفحة العنوان

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا الشيخ الإمام المسند تقي الدين أبو الحسن أحمد بن حمزة بن علي الشافعي رضي الله عنه قراءة عليه بدمشق حرسها الله تعالى في تاريخ شهر رجب سنة ثلاث وستين [illegible] قال أخبرنا الشريف النقيب أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد العزيز العباسي المكي [illegible] بدار الخلافة ببغداد في الشهر الذي مات فيه سنة سبع وأربعين [illegible] قال أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن محمد بن الحسن [illegible] قال أخبرنا الإمام أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن عمر المعروف بابن النخبي (?) قال أخبرنا الإمام الخطيب أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد المعروف بابن الواسطي في منزله ببيت المقدس سنة عشر وأربعمائة قال أخبرنا أبو حفص عمر بن الفضل بن المهاجر المؤذن في المسجد الأقصى وأنا حاضر قال أخبرنا أبي أبو العباس الفضل بن المهاجر قال أخبرنا أبو الوليد بن حماد الرملي قال أخبرنا ابن أبي السري قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى

حدثنا عمر بن الفضل قال أخبرنا أبي قال أخبرنا أبو الوليد قال أخبرنا [illegible] قال أخبرنا [illegible] أن [illegible] أتى بيت المقدس [illegible] عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد بيت المقدس

حدثنا عمر قال أخبرنا أبي قال أخبرنا أبو الوليد قال أخبرنا [illegible] قال أخبرنا شيبان عن عبد الملك بن عمير عن قزعة قال أتيت المدينة فصليت [illegible] الشام [illegible] أبو سعيد الخدري [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تشد [illegible]

[illegible] حدثنا أبو [illegible]

عن قتادة عن قزعة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام وإلى بيت المقدس وإلى مسجدي محمد صلى الله عليه وسلم ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة في ساعتين عن صلاة بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس ونهى عن صوم يومين يوم الفطر ويوم النحر وأن تسافر امرأة أكثر من ثلاث إلا مع ذي محرم

حدثنا عمر قال أخبرنا أبي قال أخبرنا أبو الوليد قال أخبرنا المسيب بن واضح قال أخبرنا ابن المبارك عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال لما أمر الله داود أن يبني مسجد بيت المقدس قال يا رب وأين أبنيه قال حيث ترى الملك شاهرا سيفه قال فرآه في ذلك المكان فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه فلما ارتفع انهدم فقال داود يا رب أمرتني أن أبني لك بيتا فلما ارتفع هدمته فقال يا داود إنما جعلتك خليفتي في خلقي لم أخذته من صاحبه بغير ثمن إنه يبنيه رجل من ولدك فلما كان سليمان ساوم صاحب الأرض بها فقال له هي بقنطار فقال سليمان قد استوجبتها فقال له صاحب الأرض هي خير أو ذاك قال لا بل هي خير قال فإنه قد بدا لي قال أوليس قد أوجبتها قال بلى ولكن البيعين بالخيار ما لم يفترقا قال ابن المبارك هذا أصل الخيار قال فلم يزل يزايده ويقول له مثل قوله الأول حتى استوجبها منه بسبعة قناطير فبناه سليمان حتى فرغ منه وتغلقت أبوابه فعالجها سليمان أن يفتحها فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات أبي داود إلا تفتحت الأبواب ففتحت الأبواب قال ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني إسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار لا يأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا والله عز وجل يعبد فيه

أخبرنا عمر قال أخبرنا أبي قال أخبرنا أبو الوليد قال أخبرنا عمرو (?) [illegible] الشيباني قال أوحى الله عز وجل إلى داود إنك لن تتم بناء مسجد بيت المقدس قال أي رب ولم قال إنك غمست يديك في الدم قال أي رب ولم يكن ذلك في طاعتك قال بلى وإن كان

حدثنا عمر قال أخبرنا أبي قال أخبرنا أبو الوليد [illegible]

[illegible]

الورقة الأولى

ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء صلى الله عليهم قال فقدمني جبريل صلى الله عليه وسلم
حتى صليت بهم قال ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم صلى الله عليه وسلم
عليه فقال مرحبا بابني والنبي الصالح قال ثم دخلت السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة
يحيى وعيسى صلى الله عليهما قال ثم دخلت الثالثة فرحبت فيها يوسف صلى الله عليه [illegible]
ثم جزت فيها هارون صلى الله عليه ثم دخلت الخامسة ثم جزت فيها إدريس [illegible]
ورفعناه مكانا عليا ثم دخلت السادسة ثم جزت فيها موسى صلى الله عليه [illegible]
السابع ثم جزت فيها إبراهيم الخليل صلى الله عليه قال ثم صعدت فوق سبع سماوات
فغشيتني ضبابة فخررت ساجدا فقال إني يوم خلقت السماوات والأرض فرضت
عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك قال فمررت على إبراهيم صلى الله عليه وسلم
فلم يسألني شيئا ثم مررت على موسى صلى الله عليه فقال لي كم فرض عليك وعلى أمتك قال
خمسين صلاة فقال إنك لا تستطيع أن تقوم بها أنت ولا أمتك فسل ربك التخفيف قال
فرجعت فأتيت سدرة المنتهى فخررت ساجدا فقلت يا رب فرضت علي وعلى أمتي خمسين صلاة
فلن أستطيع أن أقوم بها أنا ولا أمتي قال فحط عني عشرا فمررت على موسى فسألني فقلت حط
عني عشرا فقال ارجع إلى ربك فسله التخفيف [illegible] ثم [illegible] قال ارجع إلى ربك
فسله التخفيف قال فحط عني عشرا قال ارجع إلى ربك فسله التخفيف قال فأتيت سدرة
المنتهى فخررت ساجدا فقال يوم خلقت السماوات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة
خمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعلمت أنها عزمة من الله صرى فمررت على موسى فقال كم فرض
عليك قال خمس صلوات قال فرض على بني إسرائيل ثنتين فما قاموا بها [illegible] الله [illegible]
[illegible] ذاته الوليد [illegible] بن سعيد [illegible] أبو الطاهر [illegible] الأزدي [illegible] أبو الخير
[illegible] بن بشر [illegible] عطاء بن يسار عن أبي الدرداء وأبي هريرة [illegible]
[illegible] ليلة أسري بي فإذا جبل العرش [illegible]

الورقة الأخيرة

ولا يجلو لأنه الشمس والقمر بالغي [illegible] الكرسي [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم
[illegible] الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السماوات وما في الأرض من ذا
الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء
وسع كرسيه السماوات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم حدثنا
[illegible] أبي [illegible] الوليد قال [illegible] عن ابن شهاب أنه قال حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن
[illegible] أنه سمع جابر بن عبد الله الأنصاري يحدث أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لما كذبتني قريش قمت في الحجر فجلى الله عز وجل لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن
آياته وأنا أنظر إليه حدثنا [illegible] الوليد أبو عمرو [illegible] عن [illegible] أبي [illegible]
قال قدم [illegible] بيت المقدس فجعل [illegible] في تلك المواضع [illegible] فيها قال [illegible]
[illegible] عن الكتب فقال [illegible] فلم [illegible] الله قال [illegible]
فضائل بيت المقدس [illegible] قال [illegible] إنها [illegible] أن [illegible] الله [illegible] قال الله
تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى [illegible] قال
لا تقوم الساعة حتى [illegible] محمد صلى الله عليه وسلم [illegible] [illegible]

[illegible]

المصادر والمراجع

– الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الط . السابعة ، ١٩٨٦م .

– إعلام الساجد بأحكام المساجد ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق أبي الوفا مصطفى المراغي ، ط . القاهرة ، ١٣٨٥هـ .

– الأُنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، القاضي مجير الدين العُلَيْمي الحنبلي ، ط . القاهرة ، ١٢٨٣هـ .

– الأنساب ، السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي ، مصوَّرة مخطوطة المتحف البريطاني بلندن ، نشر د.س . مَرْجليوث ، ليدن – لندن ، ١٩١٢م . (أوفست مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٧٠م) .

– تاريخ الأدب الجغرافي ، إغناطيوس كراتشكوفسكي ، ترجمة صلاح الدين هاشم ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

– تحذير الخواص ، من أكاذيب القصاص ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي بدمشق ، ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م .

– طبقات الشافعية الكبرى ، تاج الدين السبكي ، تحقيق د . الحلو ، د. الطناحي ، دار هَجَر ، القاهرة ، الط . الثانية ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

– العقد الفريد ، ابن عبد ربّه الأندلسي ، تحقيق أحمد أمين ، الزين ، الإبياري ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٨م – ١٩٧١م .

– عيون الأخبار ، ابن قتيبة الدينوري ، ط. دار الكتب المصرية ، القاهرة ، الط . الأولى ، ١٩٢٤م – ١٩٣٠م .

– فضائل البيت المقدس ، أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطي المقدسي ، تحقيق وتقديم إسحاق حَسُّون ، معهد الدراسات الآسيوية والإفريقية ، الجامعة العبرية ، القدس ، ١٩٧٩م .

– فضائل بيت المقدس في مخطوطات عربية قديمة ، د. محمود إبراهيم ، نشر معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، الط . الأولى ، ١٩٨٥م .

– فضائل بيت المقدس ، مقالة ، د. إسحاق موسى الحسيني ، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، العدد الرابع ، سنة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .

– فضائل الشام وفضل دمشق ، أبو الحسن علي بن محمد بن شجاع الرَّبَعي ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، دمشق ، ١٩٥٠م .

– فهرس المخطوطات المصوَّرة ، معهد المخطوطات العربية ، الجزء الثاني ، تاريخ ، القسم الثاني ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

– فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية في عَكَّا ، محمود علي عطا الله ، منشورات مجمع اللغة العربية الأُردني ، عمَّان ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .

– قاعدة في زيارة بيت المقدس ، تقي الدين أحمد بن تيميّة الحرّاني ، تحقيق ونشر شارلز ماثيوز ، ييل ، ١٩٣٦م .
– اللباب في تهذيب الأنساب ، عز الدين بن الأثير الجزري ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ .
– مثير الغرام « بفضائل » (إلى زيارة) القدس والشام ، أبو محمود شهاب الدين أحمد بن محمد بن سرور المقدسي ، الفصل الأخير منه ، تصحيح ونشر أحمد سامح الخالدي ، يافا ، ١٣٦٥هـ – ١٩٤٦م .
– مجموع نادر ، مقالة ، عبد الله مخلص ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد العاشر ، ١٩٣٠م .
– مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، محمد ابن عبد الباقي الزرقاني ، تحقيق د. محمد بن لطفي الصباغ ، نشر مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، الط . الأولى ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م .
– مخطوطات فضائل بيت المقدس – دراسة وببليوغرافيا ، د. كامل جميل العسلي ، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ، عَمّان ، ١٩٨١م .
– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ابن فضل الله العمري ، تحقيق أحمد زكي ، ط . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٢هـ – ١٩٢٤م .
– المسالك والممالك العزيزي – فصل « صفة بين المقدس » منه ، الحسن بن أحمد المهلبي ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، المجلد الرابع ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٨م .
– معجم البلدان ، ياقوت الحموي الرومي ، دار صادر – بيروت ، ١٩٥٥م – ١٩٥٧م .
– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، أبو عبيد البكري الأندلسي ، تحقيق مصطفى السقا ، القاهرة ، الط . الأولى ، ١٩٤٥م – ١٩٥١م .
– معجم مقيّدات ابن خَلّكان ، عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الط . الأولى ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .
– مكارم الأخلاق ، ابن أبي الدنيا ، تحقيق جيمز أ . بِلَمي ، ڤيسبادن (ط . بيروت) ، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م .
– مكانة القدس عند المسلمين ، د. جبرائيل جبور ، المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام ، عَمّان ، ١٩٨٠م .

* * *

الفهارس الفنية

لـ « الفروق اللغوية » «ا» للعسكري

د . عبد الفتاح السيد سليم*

هذا هو الفهرس الثاني الذي تنشره المجلة ، في إطار توجّه يهدف إلى تقديم مفاتيح ؛ تكشف مغلقات كتب التراث المطبوعة دون فهارس .

الفهرس لكتاب « الفروق اللغوية » لأبي هلال العسكري ، المتوفى ٣٩٥ هـ ؛ في نشرته الثانية التي صدرت في بيروت عام ١٩٨١ .

صنع الفهارس د . عبد الفتاح السيد سليم الأستاذ بكلية اللغة العربية – جامعة الأزهر الشريف ، وقد توخى فيها الدقة والنفع .

وفي هذا المجلد ننشر الجزء الأول من الفهارس ، وهو خاص بالمواد اللغوية .

« المجلة »

* أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر .

يُعَدُّ أبو هلالٍ العسكري (الْحَسَنُ بْنُ عبد الله بْنِ سَهْلٍ - المتوفَّى سنة ٣٩٥ هـ) في مقدَّمة أئمة اللغة ، ومن أصحاب التصانيف الجيدة في بابها ؛ فهو صاحب كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، وكتاب (ديوان المعاني) ، وكتاب (جمهرة الأمثال) ، وكتاب (الفروق اللغوية) .

ولهذا الكتاب الأخير منزلةٌ خاصةٌ عند علماء اللغة ؛ إذ هو يَهْتَمُّ بذكر الفروق الدقيقة بين الألفاظ العربية ذات التقارب الدِّلاليِّ ، وهي فروق تَخْفَى على العامّة ومعظم الخاصّة على حَدٍّ سواءٍ ، وتلك مسألةٌ ذاتُ خَطَرٍ ، تشير إلى أمرين :

أحدهما : أَنَّ معانيَ كثير من الموادِّ التي وَرَدَتْ في المعجمات اللغوية - مثل (لسان العرب ، وأساس البلاغة ، وغيرهما) إنما جاءت على سبيل التقريب ، لا على سبيل التحديد الدقيق .

والثاني : أن اختلاف علماء النحو في جواز عطف الشيء على نفسه ، إذا اختلف اللفظان (المعطوف والمعطوف عليه) في الحروف - لا موجب له ، ولا أساس يستند إليه ، وقد أشار « أبو هلال » إلى ذلك - مع ذكر أمثلةٍ - في الباب الأول من كتابه هذا .

نُشِرَ كتاب (الفروق اللغوية) في القاهرة سنة ١٩٣٥ م ، ثم أعيد نشره في بيروت سنة ١٩٨١ م ، وَزُعِمَ في النشرةِ الأخيرة أنها مضبوطةٌ ومحققةٌ ، وإنْ لم يَكُنْ فيها شَيْءٌ من ذلك أَصْلًا .

وَلِأَهَمِّيَّةِ هذا الكتاب لأهل اللغة عُمُومًا ، ولمن يَنْشُدُ اللغةَ الْفُصْحَى في مستواها الراقي والدقيق خُصُوصًا ، صَرَفْتُ عنايتي إلى صُنْع فهارسَ مُفَصَّلَةٍ له ، على أساس ما جاء في نشرته الثانية ، التي هي من إصدار (دار الكتب

العلمية) في بيروت لبنان ، والتي جاء في عنوانها وتصديرها أنها خَرَجَتْ بضبطٍ وتحقيقٍ من الأستاذ الفاضل « حسام الدين المقدسيّ » ، وإن كان القارئ لا يلمس فيها شيئًا من ذلك .

وإني لَآمِلٌ أَنْ تُضَمَّ هذه الفهارس إلى ذلك الكتاب الفريد في مَنْحَاهُ ، العزيزِ في اتجاهه : حتى يُفِيدَ منه مَنْ يريد على الوجه الأكمل ، الذي أراده مؤلفه ، والذي نريده ، إن شاء الله .

« أَوَّلًا »

﴿ الْمَوَادُّ اللُّغَوِيَّةُ ﴾

رَغْبَةً في أن يَصِلَ الباحثُ إلى مادَّةٍ لغوية من الموادِّ التي وردت التفرقة بين معانيها في الكتاب - بسهولةٍ ويُسْرٍ - الْتَزَمْتُ ما يأتي :

١ - عَدَمَ تجريد الكلمة من حروفها الزائدة ، إلَّا ما كان في أوَّله حَرْفُ التعريف (أَلْ) ، فإنها تُعَدُّ ساقطةً عند البحث .

٢ - ترتيبَ الموادِّ على حسب الحرف الأَوَّل في كُلٍّ منها ، مع ترتيب الحرفين (الثاني والثالث) عند الاتفاق في الحرف الأول .

٣ - ذِكْرَ المادةِ الواحدةِ مرتين : مَرَّةً في بابها ، وأخرى في باب قسيمتها في التفرقة ، فمثلًا : في التفرقة بين (الشِّرْعة والمِنْهاج) ذكرتُ ذلك مَرَّةً في باب الشين (الشرعة) وأخرى في باب الميم (المنهاج) ؛ حتى يتمكن الباحث من الوصول إلى مطلوبه في سُرْعَةٍ ويُسْرٍ .

(أ)

(ب)

(ت)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ز)

(س)

(ص)

(ض)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(ن)

(هـ)

(و)

(ي)

حواشي الشلوبيني على المفصل

(تعريف وقراءة نقدية)

فيصل عبد السلام الحفيان*

الشَّلَوْبِيني نحويّ كبير شُغل بـ « مُفَصَّل الزمخشري » ؛ فقد كانت لديه نسخة طرَّز على هوامشها تعليقات غنية ، وجاء بعد من جمعها في مؤلَّف مستقل .

ومن هذه التعليقات « الحواشي » نسختان خطيتان ، في الزاوية الحمزاوية بالمغرب ، ومكتبة تشستربتي بدبلن – إيرلنده .

هذا البحث يُعَرِّف بهاتين النسختين ، ويدخل في صُلْب المادة ؛ درسًا وتحليلًا ونقدًا ، في ضوء شرحين آخرين للمفصل ، صنفهما عالمان عاشا عصر الشلوبيني : ابن يعيش وابن الحاجب .

وسط هذا كانت هناك وِقفة ، رصدت مواقف المؤلف من صاحب المتن – الزمخشري .

« المجلة »

---

* حصل على درجة الماجستير بامتياز عن تحقيقه ودراسته النصف الثاني من الجزء الرابع من « الحجة في القراءات السبع » لأبي علي الفارسي . ويعمل الآن في إعداد رسالة للدكتوراه : « الكافي في الإفصاح عن مسائل كتاب الإيضاح » لابن أبي الربيع : دراسة وتحليل مع تحقيق الجزء الأول .

شَغَل «المفصل» للعلامة أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى ٥٣٨هـ الناس طويلًا ، فانصرف عدد من علماء العربية إلى شرحه والتعليق عليه ، وأفرد بعضهم مصنفات لنسبة أبياته وشرحها ، كما نظمه بعضهم ، واختصره البعض الآخر ، في حين انبرى فريق للرد عليه ورصد ما وقع فيه صاحبه من أخطاء[1] .

ومن أهم الشروح التي ذاعت : شرح لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكْبَري ، المتوفى ٦١٦هـ ، أسماه الإيضاح أو المحصَّل في شرح المفصل ، وشرحان لعلم الدين أبي الحسن علي بن محمد السخاوي ، المتوفى ٦٤٣هـ ، أسمى أحدهما « سفر السعادة وسفير الإفادة » ، والآخر « المفضَّل » ، وشرح لأبي عمرو عثمان بن عمر ، المعروف بابن الحاجب والمتوفى ٦٤٦هـ ، أطلق عليه : « الإيضاح » ، وشرح لتاج الدين أحمد بن محمود بن عمر بن الجَنَدي (أو الخجندي) ، المتوفى نحو ٧٠٠هـ ، نعته بـ « الإقليد »[2] .

ولاتزال شروح أخرى عديدة ، لأعلام مشهود لهم بالتمكّن في العربية مجهولةً من كثير من الباحثين ، تنتظر من يمسح عنها غبار الزمن ، ويكشف ما فيها من اجتهادات وآراء علمية جديدة .

(١)

الشَّلَوْبيني وحواشيه

أبو علي عمر بن محمد الشلوبيني واحد من الذين انتهت إليهم العربية في زمانهم[3] ، حتى قيل إنه كان خاتمة أئمة النحو[4] ، ولقب بـ « الأستاذ » ،

---

(١) انظر في ذلك كله : كشف الظنون ٢/ ١٧٧٤ – ١٧٧٧ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) شذرات الذهب ٥/ ٢٣٢ .
(٤) وفيات الأعيان ٣/ ٤٥٢ .

فإذا ما أطلقت هذه الكلمة انصرفت إليه دون غيره !. وكان العلماء يقرنونه بالشيخ أبي علي الفارسي ، وهو من هو في هذا الفن .

ولد الأستاذ في إشبيلية سنة ٥٦٢هـ ، وتوفي في أحد الربيعين . وقيل في صفر سنة ٦٤٥هـ[١] .

أما نسبته فقيل إنها إلى شلوبينة أو شلوبينية ، وهي قرية من قرى إشبيلية ، أو حصن بالأندلس من أعمال كورة إلبيرة[٢] . وقيل : إلى الشلوبين ، وهو الأبيض الأشقر في لغة أهل الأندلس[٣] . وقال بعضهم : هو الشلوبين غيرَ منسوب ؛ لقب عليه[٤] .

وعودة إلى مكانة الأستاذ ، يقول ابن خلكان :

« كان إمامًا في علم النحو ، مستحضرًا له غاية الاستحضار . ولقد رأيت جماعة من أصحابه ، وكلهم فضلاء ، وكل منهم يقول : ما يتقاصر الشيخ أبو علي الشلوبيني عن الشيخ أبي علي الفارسي ، ويغالون فيه مغالاة زائدة »[٥] .

ويقول ابن العماد : « كان في العربية بحرًا لا يجارى ، وحبرًا لا يبارى ؛ قيامًا عليها واستبحارًا فيها . تصدَّر لإقراء النحو نحوًا من ستين عامًا ، وصنف التصانيف »[٦] .

وعلى الرغم من أن القفطي وصفه في صدر الترجمة التي كتبها له بأنه : « نحوي فاضل كامل » ، فقد طعن فيه في ذيلها بأنه « غير عاشق في هذه الصناعة ، وإنما يريدها للارتزاق »[٧] .

---

(١) المصدر السابق ٣/ ٤٥١ .
(٢) معجم البلدان ٣/ ٣٦٠ .
(٣) وفيات الأعيان ٣/ ٤٥٢ .
(٤) إنباه الرواة ٢/ ٣٣٢ (هامش) .
(٥) وفيات الأعيان ٣/ ٤٥١ .
(٦) شذرات الذاهب ٥/ ٢٣٢ .
(٧) إنباه الرواة ٢/ ٣٣٣ .

وقد رد عليه ابن مكتوم فقال : لم يعرف القفطي شيئًا من أحوال الأستاذ أبي علي ، وجهل مكانته في العربية ... وحكى لنا شيخنا الحافظ أبو حيان بأنه كان يلثغ بالسين المهملة .. ثم قال : « وكان الأليق بالقفطي إذ لم يعرف أبا علي ولا طبقته في العلم أن ينبِّه على اسمه ويسكت عما ذكره من تُرَّهات القول »[1] .

صنف الشلوبيني عددًا من المصنفات ، كلها في النحو منها شرحان : صغير وكبير على المقدمة الجزولية ، وشرح أو تعليق على كتاب سيبويه ، والتوطئة ، وكتاب القوانين ، وتعليقة على شرح فخر الدين الرازي للمفصل ، وشرح المفصل نفسه[2] .

وأخذ عن عدد من العلماء الكبار ، فقد لازم أبا بكر محمد بن خلف بن صافي ، وتلقى على ابن ملكون وعبد الله بن زرقون ، وروى عن السهيلي وابن بشكوال . وأجاز له السِّلَفي وغيره[3] .

أما تلاميذه – وهم كثير – فقال عنهم ابن مكتوم: «وقد تخرج بالأستاذ أبي علي – رحمه الله – ومهر بين يديه نحو أربعين رجلًا ، كأبي الحسين بن عصفور ، وأبي الحسين ابن أبي الربيع ، وأبي عبيد الله بن أبي الفضل ، وأبي عبد الله بن العلج ، وأبي الحسين ابن الصائغ ، وأبي الحسين الأبذي ، وأبي علي بن أبي الأحوص ، وأبي جعفر اللَّبْلي ، وابن يَلَّبَخْت ، وأبي القاسم الصفَّار ، وأبي العباس بن الحاج ، وغيرهم . وكلهم أئمة علماء مصنِّفون في علم العربية وغيره . وقد طبقوا بعلمه الآفاق ، وملأوا بفوائده وفرائده الأوراق . وأما من أخذ عنه وتمثل بين يديه للتعلُّم منه فعالَم لا يحصون »[4] .

---

(١) ٢/ ٣٣٤ (هامش ١) .

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٤٢٥ وروضات الجنات ٥/ ٣١٥ .

(٣) بغية الوعاة : ٢/ ٢٢٥ .

(٤) إنباه الرواة ٢/ ٣٣٤ (هامش ١) .

وتأتي أهمية شرح الشلوبيني من مكانة الأستاذ نفسه في العربية ، والنظرات الثاقبة والآراء المتفردة التي قال بها فيه .

وعلى الرغم من أن إحدى النسختين للشرح نصت على أن هذا هو « شرح المفصل » فإنه ليس شرحًا ، ولعل العبارة أُطلقت اجتهادًا من الناسخ .

ويؤكد ذلك أن العنوان في النسخة الأخرى (نسخة تشستربتي) ورد « حواش » ، فقد جاء على صفحة الغلاف : « كتاب حواشي المفصل من كلام أبي علي الشلوبين » . كما جاء في أول المخطوطة العبارة التالية : « هذه حواش كانت على كتاب المفصل للزمخشري ، من كلام الأستاذ أبي علي الشلوبين – رحمه الله ، وبخطه » . وفي خاتمة النسخة جاء : « كملت السطور بحمد الله وحسن عونه ... » .

وهذا ما يتفق مع مادة الكتاب ، فهي جميعًا عبارة عن تقييدات أو نكت أو طرر أو تعليقات أو حواش على المفصل ، لا شرح له ، ذلك أن الشلوبيني لم يتعرض لكل ما في المفصل ، بل اختار بعض الفصول أو العبارات الواردة ، فعلّق ، وسجّل ملاحظاته عليها ، وأغناها بالشواهد ، واستدرك بإكمال حدٍّ ؛ أو تفصيل مجمل ؛ أو توضيح مغلق ، أو تقييد مرسل .

والنص المنقول آنفًا من بداية هذه النسخة يشي بأن هذا الكتاب لم يؤلَّف مستقلًا ، وإنما هو ملاحظات كانت على هوامش نسخة للشلوبيني من المفصل ، في مواضع رأى فيها مجالًا للتعليق . وقد كتبها بخطه ، ثم جاء من جمعها بين دفتي كتاب . يضاف إلى ذلك أن النسختين جاءتا خَلوًا من التعليق على مقدمة الزمخشري .

(٢)

وصف النسخ الخطية

لـ « الحواشي » نسختان خطيتان : إحداهما محفوظة في الزاوية الحمزاوية بالمغرب ، برقم ٢١٨ . ومنها مصوَّرة في خزانة المعهد ، برقم ٣٠١ . والأخرى في مكتبة تشستربتي بدبلن – إيرلنده ، برقم ٥٠٢٦ . ولم تكن هذه النسخة في خزانة المعهد ، فطلبت مساعدة العلامة الشيخ حمد الجاسر فقام – أطال الله عمره – بتصوير نسخة ميكروفيلمية من إحدى المكتبات السعودية ، وأرسلها إليّ مشكورًا . ويذكر أن البروفيسور آربري قد أشار إلى أنها نسخة وحيدة ، جريًا على عادته في الاعتماد على بروكلمان . وواضح أن بروكلمان لم يعرف نسخة الحمزاوية .

أولًا : النسخة المغربية :

تقع في مائة وثمانين صفحة ، في كل صفحة ثلاثة وعشرون سطرًا ، بمتوسط ثلاث عشرة كلمة في السطر . وهي مكتوبة بخط نسخي ؛ فيه ملامح من الخط المغربي ، باستثناء الصفحة الأولى ، فإنها بخط نسخي واضح :

والنسخة مقابَلة ، فقد جرى إكمال ماسقط من الكلمات أثناء النسخ في الهامش ، مع الإشارة إلى السقط بسهم ، وكتابة كلمة « صح » .

وتبدو آثار الرطوبة واضحة في أطراف الصفحات ، لكنها لم تؤدِّ إلى طمس الكلام ، فيما عدا صفحات قليلة اشتد فيها أثر الرطوبة .

اختلطت أوراق النسخة ، وتداخلت تداخلًا كبيرًا ، فتقدمت صفحات من آخرها ، وتأخرت صفحات .

وقد تمكنتُ من إعادة ترتيبها بالاعتماد على نصِّ « المفصل » وفهارسه، وقبل أن أطلع على نسخة تشستربتي .

ولم يدوَّن عليها تاريخ نسخ ، ولا اسم ناسخ .

وعلى غلافها كُتب بخط مغربي : « هذا كلام الأستاذ أبي علي الشلوبيني – رحمه الله – على « المفصل » . ومن حيث وجدتُ ابتدأت . وأظنه ينقص وجه ورقة . وقد شرح الجزولية أيضًا » .

وبخط أكبر كتب العنوان هكذا : « هذا شرح المفصل » .

وفوق العنوان قُيِّدَ تملّك ، لم أستطع تبين اسم صاحبه .

بدأت الصفحة الأولى بالبسملة ، والصلاة على محمد (ص) ، ثم ورد عنوان أول فصل في « المفصل » : « فصل في معنى الكلمة » ، أعقبته عبارة الزمخشري بعدَ : قال المؤلف ، تلاها كلام الشلوبيني بعدَ : قلت . وفي الصفحة الثانية صار الناسخ يرمز للزمخشري بـ « زم » وللشلوبيني بـ « ع ش » ، والعين مأخوذة من كنيته : أبي علي .

ثانيًا : نسخة تشستربتي :

سلمت هذه النسخة من التداخل الذي شاب الأولى بالتقديم والتأخير . عدد ورقاتها تسع وسبعون ، وعدد السطور في كل صفحة ثلاثة وعشرون ، وكلمات كل سطر تتراوح بين ١١ و ١٥ كلمة .

وهي – كسابقتها – دون تاريخ ولا اسم ناسخ . وكتبت بخط نسخي جيد . وفي هوامشها تعليقات وتصويبات ، وفي صفحاتها آثار رطوبة خفيفة .

على رأس صفحة الغلاف كتب : « كتاب حواشي المفصل من كلام أبي علي الشلوبين » .

وإلى جانب العنوان تملّك ، نصه : « من كتب أبي بكر رستم بن أحمد الشرواني . الحمد لله » .

مكتبة الزاوية الحمزاوية

يمنع طبع هذا الكتاب بدون إذن أهل زاوية سيدي حمزة

رقم الكتاب

غلاف نسخة « الحمزاوية »

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد

الورقة الأولى من نسخة « الحمزاوية »

علامة فعله الواو وعندهم فلو أن أجري يفعل على عشرين فعل مختلف الباب
وكنت ... في هذا الفصل أنبّه فقال أبو عمر المازني يشبه ما [illegible]
لأن يشاؤون حمل الحمل ولكنهم شبهوا يفعل للمشترك ما لا أعلم يشاؤون
فعلتها يا فتى فقالت أنا أكتب يا أخفش عن ذلك فقال هذا ابتدائي [illegible]
الماضي يعني يفعل فلذلك حين الجمع علامة التثنية جعلوه نكرة ومن الشيء
على القياس لأن الألف بدل من الواو وهو عندي غلط منهم وتبع
[illegible] من ذلك أبو العباس المبرد ه

– الصفحة الأخيرة من نسخة « الحمزاوية »

– غلاف نسخة « تشستربتي »

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
هذه حواش كانت على كتاب المفصل للزمخشري من كلام الاستاذ ابي علي الشلوبين
رحمه الله بخطه ... في الباب الاول عند قول المؤلف الكلام هو المركب
من كلمتين ... اكتفى ... للاستغناء على مثال ان قام زيد وما اشبه
ذلك والكلام نوعان احدهما ما تركب من ... كالخطب والاسجاع والقصائد و...
المؤلفة والثاني ما تركب من المفردات ... وهذا النوع الثاني نوعان احدهما
ما تركب من جزئين يكون الاول منهما فعلا والثاني اسما ويسمى هذا النوع الجملة الفعلية
ويكون تركيبه في اللفظ والمعنى كقام زيد وفي المعنى دون اللفظ كاقوم والثاني ما تركب
من جزئين يكون الاول منهما اسما ... غالب الامر ويسمى هذا النوع الجملة الاسمية
والمبتدأ والخبر ويكون تركيبه ايضا في اللفظ والمعنى كزيد قائم وفي اللفظ دون
المعنى كقولك في جواب من قال من القائم زيد اي زيد القائم ... حروف
المعاني على هذين النوعين ... الجملة معنى زائدا على معناها فيساق لترجمة الجملة
صفة من لفظ ذلك المعنى او تضاف اليه لتبين بذلك ما تخالفها كقولنا جملة
استفهامية وامرية ونهيية ... قوله ما دل
على معنى في نفسه خرج له بهذا التقييد الاسماء الموصولة واسماء الاستفهام
وما اشبه ذلك ... قوله دلالة مجردة عن الاقتران خرج له بها اسماء الافعال
نحو نزال ودراك فان دلالتها ودلالة الفعل واحدة ولا يخرج له به الاصطباح
والاغتباق لانه اراد الاقتران بزمان ... قوله والتنوين ذكر في فصل الوقف
ان بعض انواع التنوين يكون في الفعل وذلك كانشاد بني تميم
وقولي ان اصبت لقد اصابن ... قوله والاضافة ... ذكر في فصل
الجر ان ظروف الزمان تضاف الى الافعال ... قوله على شيء بعينه ... هذا انما
هو في الاعيان المتالفة واما الاعيان غير المتالفة والمعاني فانما ... فيهما
على غير هذه الصفة وسياتي ذلك ... قوله بني يزيد ... يريد انه ...

بالفعل ... ضمير ولو لم يكن فيه ضمير لاعرب ... قوله وعمرو بن ...
النحويون انهما مركبة من اسم وصوت وجعلا ... مركبة من اسمين لان ويه اسم
فعل وقد ذكر ذلك في اسماء الافعال ... قوله كاصمت ... قطع الف الوصل لانه
اذا سمي بفعل من الافعال التي في اولها الف الوصل قطعت همزته كقولك في اضرب
اذا سميت به إضرب ولو سميت رجلا باقترب لقلت جاء اقترب ولو سميت
رجلا باردد واشدد ونحو لقطعت الهمزة على ما تقدم وادغمت لان الاظهار
انما كان لاجل سكون الثاني فاذا سميت به حركته للاعراب فوجب الادغام
فقلت ارد واشد وهذا كله اذا سميت الفعل خاليا عن الضمير فان كان
فيه ضمير حكيت ... قوله على الطرقا ... في البيت انه جمع طريق
كقضيب وقضبان ... فهو ضرورة ويقوي ذلك الوصف بقوله باليات الخيام
وهو جمع ويجوز ان يكون من المفرد الذي وصف بالجمع كقولهم ثوب اسمال وبرمة
اخلاق ... قوله ... زعم ابن خالويه انهم قالوا اغلام ابه ...
هذا يكون ... قوله محبب وموطب وموهب ومكوزة ...
... شذوذ محبب للاظهار وشذوذ موهب وموطب لفتح عين مفعل وفاؤه
واو وما كان ... حقه كسر العين منه وشذوذ مكوزة لتصحيح عين الكلمة
وحقه الاعلال كمفازة ومثابة وكذلك حيوة حقه الاعلال لاجتماع
الواو والياء وسبق احداهما بالسكون وحكمه حكم سيد وميت وفيه شذوذ
اخر وهو ان الياء والواو اذا اجتمعتا عينا ولاما ... الواو
قوله ولقب اضيف ... صوابه ما لم يكن اللقب مضافا كقولك زيد وزن سبعة
قوله ابو بر ... اذا اجتمعت من الاسم والكنية اتبعت احدهما الاخر
ولم تجز الاضافة واذا اجتمعت من اللقب والكنية فكذلك واذا اجتمعت
من الاسم واللقب فان كانا مفردين اضفت الاسم الى اللقب وان اختلفا
فحكم الافراد والاضافة اتبعت احدهما الاخر ولم تضف ... قوله

– الورقة الأولى من نسخة « تشستربتي »

أن موضع المد انما جاور الطرف كالف عمار ويا سعيد وواو عمود فاما واو طومار فبعيدة من الطرف فعلى هذا ينبغى من سالت مثل طومار لقلت

سوآل ولكان لك الغا الحركة على الواو بخلاف مقروة وخطيئة ﻫ قوله

بعد الفصل وقولهم ورتتل ابن جنى حكمهم فى ورتتل من الحمل على الحذف الا بتجنبين

لانك فيه بين ضرورتين احداهما ان تدعى كونهما اصلا فى ذوات الاربعة غير مكررة

وذلك معدوم والاخرى ان تجعلها زايدة اولا وذلك معدوم فيجب حملها على

اقل الوجهين وهو اصليتهما مع عدم التكرير لانهما قد توجد فى ذوات الاربعة

على وجه من الوجوه نحو الوصوصة واما زيادتهما اولا فغير موجود البته ﻫ قوله

فى ابدال الحروف الغوور والنوور ابن جنى ان الواو المضمومة ضما لازما اذا كانت

زايدة لم تهمز نحو الترهوك والتسهوك لانها لو همزت لتوهم انها غير مبدلة واما

الاصلية فانما تحفظ نفسها بظهورها فى تصرف اصلها بخلاف الزايدة فان قيل

لعلها لم تقلب لوقوع الها قبلها فالجواب انهم قد قالوا اهاهات فى الرعاة فان قيل

قد يجوز مع التكرير ما لا يجوز دونه كوجود الواو اصلا فى ذوات الاربعة نحو

قوقيت ومومات قيل قد قالوا ازحول ازحولا ولم يهمزوا ولا ها هنا وقالوا التسول

قوله واما الواو فى الحيوان ع انظر كيف حمل من سيد فجعل عينه ياء مع انه لا يعلم

تركيب س ى د وحاول ايضا كالشعيب العين على انه فيعل فى المعتل ويجوز ان يكون

فوعلا وفعولا ولكنه ارتكب ذلك كله وعدل عنه فى الحيوان ويمكن ان يجاب

الفرق ان ما عينه يا موجود وكذلك فيعل موجود وما عينه ياء ولامه واو

مفقود اصلا قال ابن جنى ﻫ قوله فى اليا والواو عينين واسما فاعلها وبما اجروا

بعض الاسما مجرى اسم الفاعل وان لم يكنه كقولهم الحايش للبستان والجايط

والعاير للرمل اذا كان اسما قاله ابن جنى فى الخصايص ﻫ قوله فى اعلال اسم المفعول

ومهوب جاءهم رجل مهوب وبر مكول ودرهم مسور به ذكره ابن جنى ﻫ قوله

تفاحة مطيوبة منه قوله ﻫ فقد كان قومك يحسبونك سيدا واخال انك سيد

مغيون ﻫ

قوله ثوب مصوون ابن جنى وقالوا رجل معوود من مرضه وانشد واهم

والمسك فى عنبره مدووف ﻫ قوله بعد الفصل وبحريان فى تحمل حركات

الا عراب وفقد التحريك مثل قول الاخر ﻫ

تراه وقد فات الرماة كانه امام الكلاب مصغى الخد اصلم ﻫ قوله وبنيانان

من هذا باب ما تلزم الواو فيه بدل اليا وذلك اذا كانت فعلت على اربعة

احرف فصاعدا وذلك اغزيت وغازيت واسترشيت وسالت الخليل رحمه الله

عن ذلك فقال انما قلبت يا لانك اذا قلت يفعل لم تثبت الواو للكسرة فلم يكن

ليكون فعلت على الاصل وقد خرجت يفعل الى اليا وافعل وتفعل ونفعل قلت

فما بال تغازينا وترجينا وانت اذا قلت يفعل منهما كان بمنزلة يفعل من غزوت

قال الالف بدل من اليا هنا التى ابدلت مكان الواو وانما ادخلت التا على غازيت

وترجيت انتهى نقله ابو عثمن ثم زاد ومثل هذا رضيت ترضى وشقيت تشقى ويقول

هما يرضيان ويشقيان لما كانت فى فعلت علة تقلب الواو كرهوا ان يجروا يفعل

على فعل فيختلف الباب قال ابو عثمن المازنى يشاى ان يشاد لان يشاء

على اصله ولكنهم نحوا بيفعل للهمزة فاذا قلت يشا بان جعلتها يا فسالت

ابا الحسن الاخفش عن ذلك فقال جاوا بيشاى وكان الماضى فعل فلذلك

الحقوه علامة التثنية جعلوه ياء ومن البين على القياس لان الالف بدل

من الواو وهو عندى غلط منهم وتبعه على ذلك ابو الفتح بن جنى ﻫ

كملت الطرر بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

الورقة الأخيرة من نسخة « تشستربتي » .

وأسفل منه تملك آخر :

ملكه الفقير إليه – سبحانه – محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري الحنفي ، نزيل مصر – حرسها الله – بثمن قدره خمسة قروش مصرية ، بتاريخ رجب سنة ١٢٤٤ ، والحمد لله وحده .

وهذا المتملِّك عالم بالحديث ، من الحنفية ، نسبته إلى عَنابة بالجزائر . وَلي الإفتاء بالإسكندرية ، ومات بها ، وشهرته : ابن العَنّابي[1] .

وفي وسط الصفحة كُتب : «حواشي على المفصل مشتملة على أربع علامات: سين علامة سيبويه ، وصاد علامة البصريين ، وكاف علامة الكوفيين ، وسف علامة السيرافي ، وعين علامة الشلوبين ، والتأليف له ، رحمهم الله » .

وقد بدأ الشلوبيني حواشيه – كما أشرت – بالكلام عن أول فصول « المفصل » ، وأُثبتُ هنا بداية المخطوطة :

فصل في معنى الكلمة .

قال المؤلف : والكلام هو المركب من كلمتين .

قلت : لو زاد « تركيب اكتفاء » تم الحدُّ ، للاستظهار على مثل : إن قام زيد . وما أشبه ذلك .

والكلام نوعان :

أحدهما : ما تركّب من الجمل ، كالخطب والأسجاع والقصائد والأخبار المؤلَّفة .

والثاني : ما تركب من المفردات .

---

(١) الأعلام ٧/ ٨٩ .

وهذا النوع الثاني نوعان :

أحدهما : ماتركب من جزأين ، يكون الأول منهما فعلًا ، والثاني اسمًا . ويسمى هذا النوع : الجملة الفعلية .

ويكون تركيبه في اللفظ والمعنى كـ« قام زيد » . وفي المعنى دون اللفظ كـ« أقوم » .

والثاني : ماتركب من جزأين ، يكون الأول منهما اسمًا في غالب الأمر . ويسمى هذا النوع : الجملة الاسمية ، أو المبتدأ والخبر .

ويكون تركيبه أيضًا في اللفظ والمعنى ، كقولك : زيد قائم . وفي اللفظ دون المعنى ، كقولك في جواب من قال : من القائم ؟، فتقول : زيد ، أي : زيد القائم .

وتدخل حروف المعاني على هذين النوعين ، وتضمّن الجملة معنى زائدًا على الخبر ، فيشتق لترجمة الجملة صفة من لفظ ذلك المعنى ، أو تُضاف إليه لتَبِينَ بذلك مما يخالفها ، كقولنا : « جملة استفهام وأمر ونهي ، وجملة استفهامية وأمريّة ، ونهييّة » .

قال المؤلف : ***أو في فعل واسم*** .

قلتُ : وأما الحرف والاسم في باب النداء الذي ذكره الفارسي ، فهو من قسم الاسم والفعل على ما سيأتي .

القسم الأول من الكتاب [وهو قسم الأسماء]

قال : ***الاسم مادل على معنى في نفسه*** .

قلتُ : خرج له عن هذا التقييد الأسماء الموصولة وأسماء الاستفهام والشرط . وما أشبه ذلك .

وخرج له بقوله : ***دلالة مجردة عن الاقتران*** : أسماء الأفعال ، نحو : نزالِ ودراكِ ، فإن دلالتهما ودلالة الأفعال واحدة .

ويخرج له أيضًا به : الاغتباق والاصطباح – وما أشبه ذلك ، إن لم يرد الاقتران بزمان ماض أو مستقبل أو حال .

وإن أراده – وهو مراده – لم يخرج الاصطباح والاغتباق ، وشبههما منه .

قال المؤلف : ***ودخول حرف التعريف عليه والجر والتنوين .***

قلتُ : قد ذكر في فصل الحروف أن بعض أنواع التنوين يكون في الفعل ، وذلك كإنشاد بني تميم :

.... وقولي : إن أصبتُ لقد أصابنْ

كما أثْبِتُ خاتمة المادة العلمية للمخطوطة :

وكتب منه أيضًا في الفصل الذي أوله : وكل واو وقعت رابعة فصاعدًا و لم ينضم ما قبلها قلبت ياء :

سيبويه : هذا باب ما يلزم الواوَ فيه بدلُ الياء ، وذلك إذا كانت فَعَلْتُ على أربعة أحرف فصاعدًا ، وذلك أغزيت وغازيت واسْتَرْشَيْتُ . وسألت الخليل – رحمه الله – عن ذلك فقال : إنما قُلبت ياءً لأنك إذا قلت : يُفْعِل لم تثبت الواو للكسرة ، فلم يكن ليكون فَعَلْت على الأصل . وقد أُخرجت يُفعِل إلى الياء وأُفْعِل وتُفْعِل ونُفْعِل . قلت : فما بال تغازينا وتَرَجَّيْنا ، وأنت إذا قلت : يَفْعَل منهما كان بمنزلة يُفعَل من غزوت . قال : الألف بدل من الياء التي أبدلت مكان الواو ، وإنما أدخلت الياء على غازيت ورَجَّيْتُ . انتهى نقله أبو عثمان .

ومثل هذا : رَضِيت ترضى ، وشَفِيت تشفى . وتقول : هما يرضيان ويشفيان . لما كانت في فَعِلْتُ علة تقلب الواو ، كرهوا أن يجري يفعَل على غير فَعِل ، فيختلف الباب .

وكتب في هذا الفصل أيضًا : قال أبو عثمان المازني : يشأيان شاذ ، لأن شأوت على

أصله ، ولكنهم فتحوا يفعِل للهمزة . فإذا قلت : يشأيان جعلتها ياء . فسألت أبا الحسن الأخفش عن ذلك ، فقال : جاؤوا بـ« تشأى » ، وكأن الماضي على فعِل ، فلذلك حين ألحقوه علامة التثنية جعلوه ياء . وهذا ليس على القياس ، لأن الألف بدل من الواو . وهو عندي غلط منهم . وتبعه على ذلك أبو الفتح بن جني .

(٣)

مواقف الشلوبيني وموازنات نحوية :

تكشف دراسة مواقف الشلوبيني من الزمخشري ، ومن غيره من النحاة ، عن مدى تمكُّنه ورسوخ قدمه في علوم العربية بعامة ، والنحو بخاصة ، وعن حِسِّه النحوي ، ودقته في فهم الحدود وصياغتها الصياغةَ التي تجعلها جامعة مانعة ، وكذلك في حرصه على التفصيل في المسائل ، وقربه من الواقع اللغوي ، كما في موقفه من الاسم المعرب فقد جعله تسعة أنواع ، لا نوعين كما فعل الزمخشري ، واستقصائه للمذاهب النحوية ، وإطلاعه الواسع على آراء المتقدمين .

وهذا ما يظهر قيمة هذا الأثر النحوي ، وضرورة أن يكون بين أيدي الباحثين .

(أ) مواقف الشلوبيني من الزمخشري :

أولًا : يقول الزمخشري في الفصل الذي قدّم به للقسم الأول من الكتاب (قسم الأسماء) ، وأطلق عليه : « فصل في معنى الكلمة والكلام » ؛ يقول معرِّفًا الكلام :

« والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى ، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين ، كقولك : زيد أخوك ، وبشر صاحبك ، أو في فعل واسم ، نحو قولك : ضرب زيد ، وانطلق بكر . وتسمَّى الجملة »[1] .

ولم يرتض الشلوبيني هذا الحد ، إذ وجده ناقصًا ، فعقَّب على ذلك :

---

(١) المفصل : ٦ .

« قلت : لو زاد : « تركيب اكتفاء » تمَّ الحدّ ، للاستظهار على مثل : إن قام زيد ، وما أشبه ذلك »[1] .

وعلى الرغم من دقة الملاحظة وحسن اختيار الإضافة المطلوبة ، فإن الأمثلة التي ضربها الزمخشري عقب التعريف تفيد ما أضافه الشلوبيني ، ذلك أنها مركبة تركيبًا مفيدًا يُكتفَى به . ولكني أقول إن عبارة الشلوبيني تكمل الحدّ ، وتدفع التوهم ، وهذا مطلوب في الحدود بخاصة .

وقد تنبه لذلك ابن الحاجب ، وعبرّ بقوله :

« يريد – أي الزمخشري – بالإسناد إسنادًا له إفادة ، وهو أن يحكم بشيء على شيء ، يقصد بذلك إفادة السامع ، لا إخبارًا ، بدليل قولهم : هل زيد قائم ؟ فإن الإسناد موجود ، وليس بخبر »[2] .

وعبارة الشلوبيني تُغني عما قاله ابن الحاجب ، من أن مقصود الزمخشري من « الإسناد » إسناد الإفادة لا إسناد الإخبار .

ثانيًا : يقول الزمخشري في أثناء حديثه عن الممنوع من الصرف :

« والاسم يمتنع من الصرف متى اجتمع فيه اثنان من أسباب تسعة ، أو تكرر واحد منها ... »[3] . واستدرك الشلوبيني قائلًا :

« بل الأسباب أكثر من تسعة . ونَقَصَه : شبه ألف الإلحاق بألف التأنيث ، وشبه الحرف الرابع من أسماء المؤنث بهاء التأنيث »[4] .

---

(١) المخطوطة الحمزاوية .

(٢) الإيضاح ١ : ٦١ .

(٣) المفصل : ١٦ .

(٤) المخطوطة الحمزاوية .

وأقول : إن ما قاله الشلوبيني صحيح بخصوص ألف الإلحاق ، فألف التأنيث سبب برأسه من أسباب منع الصرف ، يقوم مقام اجتماع علتين . يقول الزمخشري : « والتكرر – أي تكرر اثنين من أسباب منع الصرف – في نحو : بشرى وصحراء ومساجد ومصابيح ، نُزِّل البناء على حرف تأنيث لا يقع منفصلًا بحال ، والزنةُ التي لا واحد عليها – يقصد صيغة منتهى الجموع – منزلة تأنيث ثان وجمع ثان »[١] .

وقد جاء شبه ألف الإلحاق بألف التأنيث من حيث إنها زائدة ، ولا تدخل عليها تاء التأنيث لأن العلمية تحظر الزيادة ، كما تحظر النقص . ولذلك فهي تنصرف في النكرة ، نحو : هذا أرطًى ومررت بأرطًى ، فتنوينه يدل على تذكيره وصرفه . فإن سميت به رجلًا لم ينصرف للتعريف وشبه ألفه بألف التأنيث[٢] .

وعليه فإن ألف الإلحاق تستحق أن تعد منفردة ، وتضاف إلى الأسباب التسعة .

أما شبه الحرف الرابع نحو سعاد وزينب بهاء التأنيث فلا يستحق أن يعد سببًا فوق التسعة ، لأن نحو سعاد وزينب يدخل تحت قول الزمخشري : « والتأنيث اللازم لفظًا أو معنى »[٣] .

يقول ابن يعيش : « وقوله : لفظًا أو معنى، يريد باللفظ أن يكون فيه علامة تأنيث في اللفظ وإن لم يكن مسماه مؤنثًا ... ويريد بالمعنى أن يكون مسماه مؤنثًا ، وإن لم يكن فيه علامة التأنيث تقديرًا ، نحو هند وحجل وسعاد وزينب ... »[٤] .

ثالثًا : يقول الزمخشري في الفصل الذي أوله :

« والاسم المعرب على نوعين : نوع يستوفي حركات الإعراب والتنوين كزيد ورجل ، ويسمى المنصرف ، ونوع يُختزل عنه الجر والتنوين لشبه الفعل ، ويحرك بالفتح في موضع الجر ...إلخ »[٥] .

---

(١) المفصل : ١٨ .
(٢) ابن يعيش ١ : ٦٠ .
(٣) المفصل : ١٦ .
(٤) ابن يعيش : ١ : ٦٠ .
(٥) المفصل : ١٦ .

وقد كان الشلوبيني أكثر تفصيلًا ، وأقربَ إلى الواقع اللغوي ، إذ يقول :

« الاسم المعرب بحسب دخول الحركات والتنوين فيه ينقسم تسعة أقسام ، أولها : ما يستوفي الحركات والتنوين ، كزيد وعمرو . والثاني : مالا يدخله شيء من ذلك ، نحو حبلى . والثالث : ما يدخله الحركات فقط ، نحو الرجل . والرابع : ما يدخله التنوين فقط ، نحو عصى . والخامس : ما تدخله الضمة والكسرة والتنوين ، نحو هندات . والسادس : ما تدخله الضمة والكسرة ، نحو الهندات . والسابع : ما تدخله الضمة والفتحة فقط ، نحو أحمد . والثامن : ما تدخله الفتحة والتنوين ، نحو قاض . والتاسع : ما تدخله الفتحة فقط ، نحو القاضي »(١) .

وإنما قلتُ : أقرب إلى الواقع اللغوي لأن نحو : الرجل منصرف ، ولا يدخله التنوين لوجود «أل» فيه ، ونحو هندات منصرف ولا يدخله الفتح لأنه جمع مؤنث ، ونحو قاض لا يظهر عليه الضم ، وهو منصرف ...

وقد فصّل ابن يعيش مجمل الزمخشري في تقسيم الاسم المعرب فقال :

فالمنصرف ما دخلته الحركات الثلاث مع التنوين ، سواء كان دخولها عليه لفظًا أو تقديرًا ، فاللفظ نحو رجل ... والتقدير نحو قولك : هذا عصا ... فهذه الأسماء كلها متمكنة وإن لم يظهر فيها الإعراب ، لأن عدم ظهور الإعراب إنما كان لنبوّ حرف الإعراب عن تحمل الحركة »(٢) .

ولكن ما قاله ابن يعيش لا يشمل نحو : الرجل وهندات والهندات .

---

(١) المخطوطة الحمزاوية .

(٢) ابن يعيش ١ : ٥٧ .

رابعًا : يقول الزمخشري أثناء حديثه عن المبتدأ والخبر :

« ولابد في الجملة الواقعة خبرًا من ذكر يرجع إلى المبتدأ »[1] .

وعقّب الشلوبيني قائلًا :

« قد لا يكون ثَمّ ذكرٌ يرجع إذا تم الكلام دونه واكتُفي ، نحو : الحديث زيد منطلق ، وكذلك ضمير الحديث .. وذلك عندهم إذا كانت الجملة المبتدأ في المعنى . وقد يعاد لفظ المبتدأ عوضًا من ضميره ، وأكثره في التفخيم والتعظيم . كقوله : (الحاقة ما الحاقة) و (القارعة ما القارعة) »[2] .

وهاتان الحالتان اللتان ذكرهما الشلوبيني مشيرًا إلى استغناء الجملة الخبرية فيها عن ضمير يرجع إلى المبتدأ لم يعرض لهما الزمخشري . ولا يدخلان تحت قوله بعد : « وقد يكون الراجع معلومًا فيُستغنى من ذكره ، وذلك في مثل قولهم : البُرُّ الكُرُّ بستين ، والسمن مَنَوَان بدرهم . وقوله تعالى : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ »[3] .

فالحذف في المثالين الأولين لأن حصول العلم بالضمير أغنى عن ظهوره ، وفي الآية حذف لقوة الدلالة عليه[4] .

أما في الحالتين اللتين ذكرهما الشلوبيني فإن الضمير مستغنًى عنه أصلًا ، لأن جملة الخبر هي المبتدأ في المعنى ، أو كُرر فيها لفظ المبتدأ .

خامسًا : يقول الزمخشري أثناء حديثه عن المنادى :

« وإذا كرر المنادى في حال الإضافة ففيه وجهان : أحدهما أن ينصب الاسمان معًا ، كقول جرير :

---

(١) المفصل : ٢٤ .

(٢) المخطوطة الحمزاوية .

(٣) المفصل : ٢٤ .

(٤) ابن يعيش ١ : ٩١ .

يا تيمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لا أبا لكـمُ ... لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سَوْأَةٍ عُمَرُ

وقول بعض ولده :

يازيدَ زيدَ اليَعْمَلات الذُّبَّلِ ... تَطاولَ الليلُ عليكَ فانْزِلِ

والثاني أن يُضم الأول »[١] .

عقب الشلوبيني على ذلك بقوله : « في هذا النحو ثلاثة مذاهب : أحدها أن يكون المنادى مضافًا إلى عمرو في قولك : يازيد زيد عمرو . والثاني أن المنادي مضاف إلى اسم محذوف . والثالث أن يكون : زيد عمرو مثل : ابن عمرو ، وتكون فتحة الأول إتباعًا مثل : يازيد بن عمرو .

والأول مذهب سيبويه ، والثاني مذهب المبرد ، والثالث مـذهب السيرافي »[٢] .

والحقيقة أن التعقيب لم يضف وجهًا ثالثًا ، وإنما خَرّج الوجه الأول ، وهو نصب الاسمين معًا تخريجين : أحدهما لسيبويه ، والآخر للمبرد .

وقد تحدث ابن يعيش بتفصيل أكثر على هذه المسألة ، إذ عرض أقوال الإعراب فيها ، وعلل كل قول[٣] .

سادسًا : عقد الزمخشري خلال حديثه عن التمييز فصلًا ، جاء فيه :

« ولا ينتصب المُمَيِّز عن مفرد إلا عن تام . والذي يتم به أربعة أشياء : التنوين ونون التثنية ونون الجمع والإضافة ... »[٤] .

---

(١) المفصل : ٤٣ ، ٤٤ .

(٢) المخطوطة الحمزاوية .

(٣) ابن يعيش ٢ : ١٠ .

(٤) المفصل : ٦٥ .

استدرك الشلوبيني على قوله : التنوين ، فقال :

« أو تقدير التنوين ، نحو : عندي ثلاثة عشر عبدًا ونحوه ، وكذلك مثل : زيد أفضل منك أبًا ، وما أشبهه »[1] .

وقد فسر ابن يعيش تمام المفرد بأنه « لابد أن يستوفي جميع ما يتم به ويؤذن بانفصاله مما بعده ، بحيث لا يصح إضافته إلى مابعده ، إذ المضاف والمضاف إليه كالشيء الواحد . فإذا لم يكن هناك ما يمنع الإضافة كان في حكم الناقص الذي لا يتم معناه إلا بما بعده من المضاف إليه »[2] .

وإذا كان ذلك فإن إضافة الشلوبيني في محلها ، لأن العدد المركب « ثلاثة عشر » وأفعل التفضيل لا يضافان إلى مابعدهما ، فكأن التنوين موجود فيهما .

ومما يذكر أن كلًا من ابن يعيش وابن الحاجب لم يعرضا لهذين المثالين في شرحهما لكلام الزمخشري على الرغم من دخولهما في تفصيلات كثيرة .

سابعًا : عقد الزمخشري فصلًا ضمن كلامه عن الصفة ، قال فيه :

« ومن حق الموصوف أن يكون أخص من الصفة أو مساويًا لها . ولذلك امتنع وصف المعرف باللام بالمبهم وبالمضاف إلى ما ليس معرفًا باللام ، لكونها أخص منه ، نحو جاءني الرجل صاحب عمرو »[3] .

و لم يوافق الشلوبيني على هذا الرأي الذي ينصُّ على ضرورة أن يكون الموصوف أخص من الصفة أو مساويًا لها . والمقصود بالخصوصية درجة التعريف ، فالمضمر أعلى رتبة من العلم ، والعلم أعلى من اسم الإشارة ... وهكذا .

---

(١) المخطوطة الحمزاوية .

(٢) ابن يعيش ٢ : ٧١ ، ٧٢ .

(٣) المفصل : ١١٦ .

لم يوافق الشلوبيني إذن على ذلك ، وذهب مذهب الفرّاء الذي ينعت الأعم بالأخص ، قال الشلوبيني : « الفراء ينعت الأعم بالأخص ولا يبالي ، وهو الصحيح »[1] .

وقد أيد ابن يعيش ماذهب إليه الزمخشري ، وعلّل ذلك بأمرين :

أولهما : أن الصفة تتمة للموصوف وزيادة في بيانه ، والزيادة تكون دون المزيد عليه . وأما أن تفوقه فلا ...

والثاني : أن الصفة خبر في الحقيقة ... فكما أن الخبر لا يكون إلا أعم من المخبر عنه أو مساويًا فكذلك هي[2] .

ويفهم مثل هذا من كلام ابن الحاجب[3] . وأراني أميل إلى ماذهب إليه الثلاثة .

(ب) موازنات نحوية

هذه دراسة لمسائل اخترتها من « الحواشي » ووازنت بينها في ضوء شرح المفصل لابن يعيش ، والإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب ، وهم جميعًا عاشوا في عصر واحد . وقد حرصت على الحيدة العلمية ، فذكرت ما للشلوبيني وما عليه .

---

(١) المخطوطة الحمزاوية .

(٢) ابن يعيش ٣ : ٥٨ .

(٣) الإيضاح ١ : ٤٤٦ .

المسألة الأولى
في العموم والخصوص والمساواة
في عطف البيان

حَدّ الزمخشري عطف البيان بقوله :

« هو اسم غير صفة ، يكشف عن المراد كشفَها ، وينزل من المتبوع منزلة الكلمة المستعملة من الغريبة إذا ترجمتَ بها »[1] .

وقد تضمن هذا الحد ما يلي :

١ – أن عطف البيان اسم لا صفة .

والمقصود بالاسم : الاسم الصريح غير المأخوذ من الفعل كالكنى والأعلام[2] .

والمقصود بالصفة : التابع المأخوذ من فعل أو حلية نحو ضارب ومضروب وعالم ومعلوم وطويل وقصير[3] . وقد تبين أن « التابع » هو المقصود من قوله : « يكشف عن المراد كشفها » .

٢ – أنه والصفة يشتركان في كونهما يوضحان ما قبلهما من معطوف عليه وموصوف ، ويزيلان الاشتراك القائم بين متبوعيهما وغيرهما . فهما إذن من تمام ما قبلهما[4] . وهذا مفهوم من قوله : « يكشف عن المراد كشفَها » .

٣ – أنه تابع . وهذا مفهوم من قوله : « ويُنزَّل من المتبوع » . ولما كانت التوابع جميعًا تجري مجرى متبوعها في الإعراب بخاصة[5] ، فإن عطف البيان يجري على ما قبله في الرفع والنصب والجر .

٤ – أنه يختلف عن الصفة في كونه اسمًا صريحًا ، يجري مجرى الترجمة لمتبوعه لقيامه بالشهرة دونه . وهذا مفهوم من قوله : « وينزل من المتبوع منزلة الكلمة المستعملة من الغريبة إذا ترجمت بها » . أما الصفة فهي تدل على بعض أحوال الذات[6] .

---

(١) المفصل : ١٢٢ .
(٢) ابن يعيش ٣ : ٧١ .
(٣) ابن يعيش ٣ : ٧١ .
(٤) ابن يعيش ٣ : ٧١ .
(٥) المفصل ١١٠ وابن يعيش ٣ : ٣٨ .
(٦) المفصل ١١٤ .

لم يورد الشلوبيني الحد الذي ذكره الزمخشري ، ولكنه اختار أن يأتي بإحدى الخصائص التي تميز عطف البيان عن الصفة . يقول :

« لا يلزم في عطف البيان أن يكون مساويًا للمعطوف عليه أو أعم منه . بل قد يتبع فيه الأخصُّ لما هو دونه »[1] .

وهذه من مسائل الصنعة النحوية ، فقد حدد النحاة مراتب التعريف ، فجعلوا الضمير في أعلى المراتب ، يليه العلم ، فاسم الإشارة ، فاسم الموصول ، فالمحلى بأل[2] .

وفي باب عطف البيان لا يلزم – كما ذكر الشلوبيني – أن يكون التابع أعرفَ أو أخصّ من متبوعه « ألا ترى أنهم أجازوا : يا أيها الرجل زيد ، على عطف البيان »[3] .

وهذا بخلاف باب الصفة ، ففيه من حق الموصوف أن يكون أخصَّ من الصفة أو مساويًا لها ، يقول الزمخشري : « ومن حق الموصوف أن يكون أخص من الصفة أو مساويًا لها . ولذلك امتنع وصف المعرف باللام بالمبهم وبالمضاف إلى ماليس معرفًا باللام ، لكونها أخصُّ منه ، نحو جاءني الرجل صاحب عمرو »[4] .

وإذا أردنا أن نقول في حق الصفة عبارة على شاكلة عبارة الشلوبيني في عطف البيان فإنها تكون : يلزم في الصفة أن تكون أعمَّ من الموصوف أو مساوية له .

هذا مذهب الزمخشري في الصفة . وهو خلاف ماذهب إليه الفراء ، وتابعه الشلوبيني[5] .

---

(١) المخطوطة الحمزاوية .
(٢) المفصل : ١٩٧ .
(٣) المخطوطة الحمزاوية .
(٤) المفصل : ١١٦ .
(٥) المخطوطة الحمزاوية .

وقد تنبه ابن يعيش إلى الفرق بين عطف البيان والصفة فقال :

« إن النعت حكمه أن يكون أعمَّ من المنعوت ولا يكون أخصَّ منه . ولا يلزم ذلك في عطف البيان . ألا ترى أنك تقول : مررت بأخيك زيد . وزيد أخص من أخيك »[1] .

وعَدَّ مع هذا الفرق فروقًا ثلاثة أخرى ، هي :

١ - « أن النعت بالمشتق أو ماينزل منزلة المشتق على ما تقدم . ولا يلزم ذلك في عطف البيان لأنه يكون بالجوامد .

٢ - أن عطف البيان لا يكون إلا في المعارف ، والصفة تكون في المعرفة والنكرة .

٣ - أن النعت يجوز فيه القطع فينتصب بإضمار فعل أو يرتفع بإضمار مبتدأ . ولا يجوز ذلك في عطف البيان »[2] .

ومن تمام الفائدة أن ننقل ماذكره ابن يعيش أيضًا من الأوجه التي يشبه فيها عطفُ البيانِ الصفةَ . يقول : « وجملة الأمر أن عطف البيان يشبه الصفةَ من أربعة أوجه :

١ - أحدها أن فيه بيانًا للاسم المتبوع كما في الصفة .

٢ - أن العامل فيه هو العامل في الأول المتبوع بدليل قولك : يازيد زيد وزيدًا ، بالرفع على اللفظ ، والنصب على الموضع ، كما تقول : يازيد الظريف والظريف ، وياعبد الله زيدًا بالنصب كما تقول : ياعبد الله الظريف .

٣ - أنه جارٍ عليه في تعريفه كالصفة .

٤ - امتناعه أن يجري على المضمر ، كما يمتنع من الصفة »[3] .

---

(١) ابن يعيش ٣ : ٧٢ .

(٢) ابن يعيش ٣ : ٧٢ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ٧١ .

أما ابن الحاجب فلم يعرض لمسألة العموم والخصوص والمساواة في باب عطف البيان ، كما أنه لم يعرض لأوجه الاتفاق والاختلاف بين عطف البيان والصفة . واكتفى بأن علّق على حد الزمخشري لعطف البيان بإيراد حدٍّ آخر : « ويقال أيضًا : تابع غير صفة أُتي به لبيان الأول »[1] .

بعد هذا العرض نخلص إلى النتائج التالية :

أولًا : لم يثر الشلوبيني من الفروق بين عطف البيان والصفة سوى مسألة العموم والخصوص والمساواة بين عطف البيان ومتبوعه . وقد انكشف الفرق بين عطف البيان والصفة من مراجعة كلام الزمخشري على الصفة ، وشرح ابن يعيش .

ثانيًا : كان ابن يعيش أكثر تفصيلًا ، إذ جمع أوجه الوفاق والخلاف بين عطف البيان والصفة .

ثالثًا : لم يأت ابن الحاجب بشيء في هذا الموطن ، واكتفى بإيراد تعريف آخر لعطف البيان ، أوجزَ من تعريف الزمخشري .

المسألة الثانية
في الفرق بين عطف البيان والبدل

فرق الزمخشري بين عطف البيان والبدل بأمرين :

١ – أن عطف البيان في التقدير من جملة واحدة ، وأن البدل في التقدير من جملة أخرى .

٢ – أن متبوع عطف البيان هو المقصود بالحديث ، وعطف البيان جاء لتوضيح أمره ، في حين أن البدل على خلاف ذلك ، فهو المقصود ، ومتبوعه توطئة له .

---

(١) الإيضاح ١ : ٤٥٣ .

يقول : « والذي يفصله – أي عطف البيان – لك من البدل شيئان :

أحدهما : قول المرار :

أنا ابنُ التاركِ البكريِّ بِشْرٍ عليه الطيرُ تَرْقُبُهُ وُقُوعـا

لأن بشرًا لو جعل بدلًا من البكري – والبدل في حكم تكرير العامل – لكان التارك في التقدير داخلًا على بشر .

والثاني : أن الأول هاهنا هو ما يعتمد بالحديث ، وورود الثاني من أجل أن يوضح أمره ، والبدل على خلاف ذلك ، إذ هو – كما ذكرت – المعتمد بالحديث ، والأول كالبساط لذكره »[1] . وقبل أن ننتقل إلى ماذكره الشلوبيني تعقيبًا على هذين الشيئين اللذين يفصلان بين عطف البيان والبدل نورد ما يلي :

١ – أن الفروق بين عطف البيان والبدل ، إنما تكون في بدل الكل من الكل ، من حيث إن هناك شبهًا بينهما ، فكل منهما تابع ، وأن الثاني هو الأول في الحقيقة[2] .

٢ – أن كون البدل في حكم تكرير العامل هو على الصحيح[3] .

وقد أضاف الشلوبيني إلى وجهي الافتراق بين عطف البيان والبدل صورة أخرى ، تدخل ضمن قاعدة أن عطف البيان في التقدير من جملة واحدة ، وأن البدل في نية تكرير العامل . وهذه الصورة واردة في باب النداء في مثل قولك : يا أخانا زيدًا ، ويا أخانا زيد[4] . فـ« زيدًا » عطف بيان ، و« زيد » بدل . وإنما حكمنا على الأول بأنه عطف بيان ، لأنه لو كان بدلًا لوجب أن تقول : يا أخانا زيد ، لأن التقدير : يا أخانا يازيد ، على تكرير العامل .

---

(١) المفصل : ١٢٣ .

(٢) ابن يعيش ٣ : ٧٢ .

(٣) ابن يعيش ٣ : ٧٢ .

(٤) المخطوطة الحمزاوية .

كما أضاف وجهين آخرين من وجوه الافتراق ، وهما :

١ - « أن البدل قد يكون هو المبدل منه بعينه ، وقد يكون جزءًا منه ، ويكون معنى يشتمل عليه المبدل منه . وعطف البيان هو المعطوف عليه أبدًا .

٢ - أن البدل قد يكون بالمعارف والنكرات ، وبالأسماء الظاهرة والمضمرة . وعطف البيان لا يكون إلا بالأسماء المعارف الظاهرة عند البصريين . وقد شرط المؤلف - الزمخشري - أن تكون جامدة غير مشتقة »[1] .

وذكر ابن يعيش الوجوه التي ذكرها الشلوبيني ، لكنه وزع الوجه الأخير في وجهين . قال : « الثاني أن عطف البيان يجري على ما قبله في تعريفه ، وليس كذلك البدل ، لأنه يجوز أن تبدل النكرة من المعرفة ، والمعرفة من النكرة . ولا يجوز ذلك في عطف البيان . الثالث : أن البدل يكون بالمظهر والمضمر ، وكذلك المبدل منه ، ولا يجوز ذلك في عطف البيان »[2] .

ويتميز نص الشلوبيني بأنه ألمح إلى أن كون عطف البيان اسمًا معرفة ظاهرًا شرط بصري ، مما يشير إلى أن الكوفيين لا يرون ضرورة ذلك .

المسألة الثالثة

في الخبر والاسم في بابي كان وإنّ

تحدث الزمخشري عن هذه المسألة في القسم الأول من « مفصَّله » ، وهو قسم الأسماء ، ضمن المنصوبات .

وظاهر كلامه فيها أن معمولي كان وإن مشبّهان بالفاعل والمفعول به ، لأنهما - أي كان وإن وبابهما - مشبهان بالفعل المتعدي . يقول : « لما شُبه العامل في العامل

---

(١) المخطوطة الحمزاوية .

(٢) ابن يعيش ٣ : ٧٢ .

في البابين بالفعل المتعدي شُبه ما عُمل فيه بالفاعل والمفعول »[1] .

ولكنّ هذا الظاهر يدخل عليه أن الزمخشري لم يذكر اسم كان في المرفوعات ، في حين ذكر خبر « إنّ » في المرفوعات . وهذا يعني أن اسم كان عنده فاعل ، وليس مشبهًا بالفاعل .

وهذا ما فهمه الشلوبيني واستقرَّ لديه ، حيث يقول :

« جعل سيبويه الخبر في باب كان مفعولًا به ، والاسم فاعلًا . ووافقه المؤلف في الاسم لدخوله تحت حد الفاعل . وخالفه في الخبر لأنه لا يدخل تحت الحد الذي ذكره في المفعول به »[2] .

وإذا رجعنا إلى حدَّي الفاعل والمفعول به لدى الزمخشريّ نجدهما كالتالي :

« الفاعل هو ما كان المسند إليه من فعل أو شبهه مقدمًا عليه أبدًا .. وحقه الرفع . والأصل أن يلي الفعل ، لأنه كالجزء منه . فإذا قُدِّم عليه غيره كان في النية مؤخرًا »[3] .

« والمفعول به هو الذي يقع عليه فعل الفاعل .. ويجيء منصوبًا بعامل مضمر مستعملٍ إظهارُه أو لازمٍ إظهارُه »[4] .

وصورة حد الفاعل يدخل فيها حقًا اسم كان ، فهو لم يقتصر في حدّه الفاعل على كون المسند إليه فعلًا ، بل أضاف إليه : « أو شبهه » .

---

(١) المفصل : ٧٢ .
(٢) المخطوطة الحمزاوية .
(٣) المفصل : ١٨ .
(٤) المفصل : ٣٤ .

أما صورة حد المفعول به فلا يدخل فيها خبر كان ، لأنه ليس واقعًا عليه الفعل .

والحقيقة أن ظاهر كلام الزمخشري هنا من أن معمولي كان وإن مشبّهان بالفاعل والمفعول به مذهب كثير من النحويين[1] .

أما جعله اسم كان فاعلًا ، على ما جزم به الشلوبيني ، فهو مذهب سيبويه[2] .

ولم يعرض الشلوبيني صراحة لخبر « إنّ » هنا . ولم يكن في حاجة إلى ذلك ، فقد تحدث عنه الزمخشري ضمن المرفوعات ، وصرح بأنه ملحق بالمفعول به . يقول :

« هو – أي خبر إن وأخواتها – المرفوع في نحو قولك : إن زيدًا أخوك .. وارتفاعُه عند أصحابنا بالحرف لأنه أشبه الفعل في لزومه الأسماء ، والماضي منه في بنائه على الفتح ، فأُلحق منصوبه بالمفعول ومرفوعه بالفاعل ... »[3] .

وقد سكت الشلوبيني في هذا الموطن ، فلم يعلّق على إلحاق منصوب « إن » بالمفعول ، ومرفوعها بالفاعل ، مما يُفهِم أنه لا يخالف المؤلف في ذلك .

وإذا كان الشلوبيني قد حسم القضية ، وجزم بأن الزمخشري يرى أن اسم كان فاعل ، وأن خبرها مشبه بالمفعول ، فإن ابن الحاجب حاول أن يوفق بين ظاهر كلام الزمخشري في المنصوبات ، وإسقاطه اسم كان في المرفوعات . وقد تلخّص توفيقه في :

١ – أن يكون الزمخشري اختار المذهب الأول ، وهو أنه فاعل ، فلم يذكره في المرفوعات .

ثم اختار ههنا – في المنصوبات أنه مشبه بالفاعل .

---

(١) الإيضاح ١ : ٣٧٩ .
(٢) الكتاب ١ : ٤٩ .
(٣) المفصل : ٢٧ .

٢ – أن يكون الكلام على خلاف ظاهره ، وذلك بأن يحمل قوله : شبه العامل في البابين ..إلخ ، على أنّ « إنّ » شبهت بالفعل المتعدي باعتبار معموليها جميعًا و «كان» شبهت به باعتبار منصوبها خاصة . ويكون قوله : شبه ما عُمل فيه بالفاعل، يعني خبر إنّ ، والمفعول يعني منصوب إنّ وخبر كان جميعًا[1] .

وعلى هذا يكون مرفوع كان فاعلًا ، على ما تقدم ، ويكون قد ترك ذكره في المرفوعات ، لكونه دخل في حد الفاعل .

و لم يفطن ابن يعيش إلى عدم ذكر الزمخشري اسم كان في المرفوعات . ولذا فإنه لم يعرض للتوفيق بين كلام الزمخشري في المنصوبات وسكوته في المرفوعات ، واختار أن يكون اسم كان وخبرها مشبهين بالفاعل والمفعول به ، وأيد ذلك بأن الفاعل والمفعول قد يتغايران ، في حين أن معمولي كان واحد في المعنى ، يقول : « ويؤيد عندي أن مرفوعها – أي كان – ليس فاعلًا ، وأن منصوبها ليس مفعولًا في الحقيقة أن الفاعل والمفعول قد يتغايران ، نحو ضرب زيد عمرًا ، فزيد غير عمرو . والمرفوع في باب كان لا يكون إلا المنصوب في المعنى ، نحو كان زيد قائمًا ، فالقائم ليس غير زيد ، فاعرفه »[2] .

ولن أغادر هذه المسألة قبل أن أقول :

إني ميال إلى ماذهب إليه أكثر النحويين ، من أن اسم كان وخبرها مشبهان بالفاعل والمفعول به ، وليسا فاعلًا ومفعولًا حقيقة ، مخالفًا بذلك ما ذهب إليه سيبويه فيهما ، وماذهب إليه الشلوبيني في اسم كان ، وذلك للأسباب التالية :

أولًا : أن الفاعل هو من قام بالفعل ، أو بالحدث ، وكان وأخواتها لا تدل على حدث أصلًا ، بل تفيد الزمان وحده . ولذلك فهي لا تستغني عن الخبر . وإذا كان الأمر كذلك فاسم كان ليس فاعلًا لأنه لا يوجد فعل – حدث ، والحدث الموجود جاء من الخبر ، وما « كان » إلا ظرف لوقوعه .

---

(١) ينظر الإيضاح ١ : ٣٧٩ ، ٣٨٠ .

(٢) ابن يعيش ٧ : ٩٧ .

يقول ابن يعيش في حق كان الناقصة : « تفتقر إلى الخبر ولا تستغني عنه ، لأنها لا تدل على حدث ، بل تفيد الزمان مجردًا من معنى الحدث ، فتدخل على المبتدأ والخبر لإفادة زمان الخبر ، فيصير الخبر عوضًا من الحدث فيها . فإذا قلت : كان زيد قائمًا ، فهو بمنزلة قولك قام زيد ... »[1] .

ثانيًا : خبر كان ليس مفعولًا ، كما ذهب إلى ذلك سيبويه . وكيف يكون مفعولًا ، وليس هناك حدث وقع عليه . بل إنه الحدث الذي يسند إلى المبتدأ .

يقول ابن يعيش في خبر كان وأخواتها : « ولا يجوز ذلك – أي إسقاط المفعول للأفعال الحقيقية – في خبر هذه الأفعال – الناقصة – وإن كانت مشبهة بتلك ، والعلة في ذلك ما ذكرناه من أن الخبر قد صار كالعوض من الحدث ، والفائدة منوطة به ، فكما لا يجوز إسقاط الفعل في : قام زيد ، فكذلك لا يجوز حذف الخبر لأنه مثله »[2] .

ونلخص ما جاء في هذه المسألة في النقاط التالية :

١ – نسب الشلوبيني الرأي القائل بكون اسم كان فاعلًا ، وخبرها مفعولًا به ، إلى سيبويه ، في حين لم يشر إلى ذلك كل من ابن الحاجب وابن يعيش .

٢ – كان الشلوبيني واضحًا في أن المؤلف وافق سيبويه في أن اسم كان فاعل ولم يوافقه في أن خبرها مفعول به ، لأنه لم يذكر الاسم في المرفوعات ، وذكر خبرها في المنصوبات .

وقد انتبه إلى هذه الجزئية ابن الحاجب ، في حين لم يشر إليها ابن يعيش مقررًا أن معمولي كان مشبهان بالفاعل والمفعول به .

٣ – أيدتُ ما ذهب إليه أكثر النحويين من أن اسم كان وخبرها مشبهان بالفاعل والمفعول ، وليسا فاعلًا ومفعولًا .

٤ – لم يكشف الشلوبيني عن موقفه من المسألة ، واكتفى بشرح كلام الزمخشري .

* * *

(١) ابن يعيش ٧ : ٩٧ .
(٢) ابن يعيش ٧ : ٩٧ .

خاتمـــة

بعد هذه العجالة لا يسعنا إلا أن نقول : إن ما كتبناه ليس إلا ضوءًا خافتًا ، فالكتاب بحاجة إلى دراسة جامعية أو بحث رصين يكشف ما فيه ، ويضعه في مكانه بين مؤلفات الشلوبيني بخاصة ، والتأليف النحوي بعامة .

ولا شك أن ذلك لن يتضح بدون إجراء موازنات مستفيضة بين « الحواشي » والشروح الأخرى التي كتبها العلماء على « المفصل » .

كما أنه لن يتضح بدون استخراج آراء الشلوبيني في المخطوطة ؛ وتقييمها في ضوء آرائه في مصنفاته ، وفي مصنفات الآخرين .

* * *

المصادر والمراجع

- الأعلام ، لخير الدين الزركلي . ط٧ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٦ .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
- الإيضاح في شرح المفصل ، لابن الحاجب ، تحقيق د. موسى بناي العليلي . بغداد : مطبعة العاني ، ١٩٨٣م .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، لجلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة : عيسى البابي الحلبي ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م .
- روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، للميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري ، تحقيق أسد الله إسماعيليان . طهران : مكتبة إسماعيليان . (مصورة دار المعرفة - بيروت) .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن العماد . القاهرة : مكتبة القدسي ، ١٣٥١هـ .
- شرح المفصل ، لابن يعيش . القاهرة : مكتبة المتنبي ، بيروت : عالم الكتب .
- الكتاب ، لسيبويه . ط٣ . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- معجم البلدان ، لياقوت الحموي . بيروت : دار بيروت ، دار صادر ، ١٣٧٦هـ - ١٩٧٥م .
- المفصل في علم العربية ، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، ط٢ . بيروت : دار الجيل .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ، حققه : د. إحسان عباس . بيروت : دار صادر .

* * *

لوح الضبط
في علم حساب القبط
لابن المغربي

د. رمضان عبد التواب *

اصطلح العرب على طريقة للدلالة على الأعداد دون تلفظ ، مستخدمين في ذلك الأيدي والأصابع ! وأطلقوا عليه حساب اليد ، أو حساب العقود ، أي عقود الأصابع .

وفهم هذه الطريقة يحل ألغازًا في المخطوطات كثيرًا ما تقف عقبة أمام شداة الباحثين ، بل حتى المتمرسين منهم ، في فهم النصوص . وأكثر من ذلك في تقدير قيمة المخطوطة ، وتحديد تاريخ تأليفها أو نسخها .

القضية هامة ، والموضوع فريد .

« المجلة »

* أستاذ ورئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة عين شمس ، وعضو في ٣١ هيئة علمية وندوة ومؤتمرًا . له ١٠ مؤلفات ، وترجم ٥ كتب ، وحقق ٣٠ كتابًا ، وكتب ٧٦ مقالاً وبحثًا علميًا في الدوريات الصادرة في الوطن العربي .

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما بدأت في تحقيق كتاب « الغريب المصنف » لأبي عبيد القاسم بن سلام (المتوفى سنة ٢٢٤) قبل أكثر من ثلاثين عاما ، رأيت وأنا أجمع تراجم الرجل من هنا وهناك ، نصا وقفت أمامه طويلا حينذاك ، ولم أتبين له وجها أو أعرف له حقيقة ، وهذا النص يذكره « علي بن عبد العزيز » تلميذ أبي عبيد ؛ يقول : « قال علي بن عبد العزيز : حضرت أبا عبيد ببغداد ، حتى جاءه رجل يخدم السلطان ، فجثا بين يديه ، وقال : بعثني الأمير طاهر بن عبد الله بن طاهر ، وبلغه عنك علة ، وقد أتيتك بمتطبب . فكشف أبو عبيد سراويله عن ساقيه وبه قرح . فقال له المتطبب : هذه مِرَّة بين الجلدين ، كم أتى عليك ؟ فقال أبو عبيد : وما في هذا مما يستفاد ؟ قال : لأحمل الدواء على قَدْر القُوَى ، فقال **وعقد بيده** : ثمانيا وستين ! »[1] .

وقد حاولت عبثا ، أن أفهم آنذاك كيفية عقد اليد للدلالة على الثمانية والستين في حادثة أبي عبيد تلك . وتوالت الأيام والشهور والسنون ،وتزداد قراءاتي في بطون التراث العربي ، وتتوالى عندى النصوص التي تذكر عقدًا آخر للأصابع بلا شرح للكيفية . وقد قيدت منها في جذاذاتي النصوص التالية :

١ – أورد ابن قتيبة البيت التالي للفرزدق :

يَهِزُّ الهَرَانِعَ عَقْدُه عند الخُصى ... بأذَلَّ حيث يكون من يتذلّل

ثم شرحه فقال : « يَهِزّ : ينتزع . والهرانع : القمل ، واحدها هِرْنِع . عَقْدُه : يعني **عقده ثلاثين** »[2] .

٢– يقول الطرطوشي: «فإذا صنم يشير بإصبعه إلى الأرض قد **عقد أربعين**»[3] .

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ٢٢٠ .

(٢) المعاني الكبير ١/ ٥٨٤ ؛ ٢/ ٦٨٠ ، ٦٨١ . وانظر النقائض ق ٣٩/ ٤٨ (١/ ١٩٩) .

(٣) سراج الملوك للطرطوشي ٢٤٣ .

٣ – روى ياقوت الحموي ، عن أبي العلاء المعري ، أنه سمع أنه لما حضرت الزَّجاجَ الوفاة ، سئل عن سنه ، **فعقد لهم سبعين** »[١] .

وأول تفسير لكيفية بعض هذه العقود قرأته منذ سنوات ، في نص لابن الأثير ، يقول فيه : « في الحديث : فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ، **وعقد بيده تسعين** . وعقد التسعين من مواضعات الحُسَّاب ، وهو أن تجعل رأس الإصبع السبابة في أصل الإبهام ، وتضمها حتى لايبين بينهما إلا خلل يسير »[٢] .

وقد أفاض ابن حجر العسقلاني في شرح كيفيات مجموعة من العقود ، بمناسبة الحديث الذي جاء في صحيح البخاري . يقول ابن حجر في شرح الحديث الذي فيه من رواية زينب بنت جحش عن رسول الله ﷺ أنه قال : ويل للعرب من شر قد اقترب . فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه – **وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها** .

ومن رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : يفتح الردم – ردم يأجوج ومأجوج – مثل هذه – **وعَقَدَ وُهَيْب** (شيخ روى عنه البخاري) **تسعين** :

« قوله : مثل هذه – وحلق بإصبعيه الإبهام والتي تليها : أي جعلهما مثل الحلقة . وقد تقدم في رواية سفيان بن عيينة : **وعقد سفيان تسعين** أو **مائة** .

« وفي رواية سليمان بن كثير عن الزهري عند أبي عوانة وابن مردويه مثل هذه : **وعقد تسعين** و لم يعين الذي عقد أيضا .

« وفي رواية مسلم عن عمرو الناقد عن ابن عيينة : **وعقد سفيان عشرة** .

« ولابن حبان من طريق شريح بن يونس عن سفيان : **وحلق بيده عشرة** ، و لم يعين أن الذي حلّق هو سفيان .

---

(١) معجم الأدباء ١/ ١٣٠ وطبقات المفسرين للداودي ١/ ١٠ .

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢١٦ . وانظر : لسان العرب (ردم) ١٥/ ١٢٧ .

« وأخرجه من طريق يونس عن الزهري بدون ذكر العقد . وسيأتي في الحديث الذي بعده : **وعقد وهيب تسعين** . وهو عند مسلم أيضا .

« قال عياض وغيره : هذه الروايات متفقة إلا قوله : **عشرة** . قلت : وكذا **الشك في المائة** ؛ لأن صفاتها عند أهل المعرفة بعقد الحساب مختلفة ، وإن اتفقت في أنها تشبه الحلقة ؛ **فعقد العشرة** : أن يجعل طرف السبابة اليمنى في باطن طي عقدة الإبهام العليا . **وعقد التسعين** : أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها ، ويضمها ضما محكما ، بحيث تنطوي عقدتاها ، حتى تصير مثل الحية المطوّقة . ونقل ابن التين عن الداودى أن صورته أن يجعل السبابة في وسط الإبهام . ورده ابن التين بما تقدم فإنه المعروف . **وعقد المائة** مثل عقد التسعين لكن بالخنصر اليسرى . فعلى هذا **فالتسعون والمائة متقاربان** ؛ ولذلك وقع فيهما الشك . وأما العشرة فمغايرة لهما .

« قال القاضي عياض : لعل حديث أبي هريرة متقدم ، فزاد الفتح بعده القدر المذكور في حديث زينب .

« قال ابن العربي : في الإشارة المذكورة دلالة على أنه ﷺ كان يعلم عقد الحساب ، حتى أشار بذلك لمن يعرفه . وليس في ذلك ما يعارض قوله في الحديث الآخر : إنّا أمة لا نحسب ولا نكتب ؛ فإن هذا إنما جاء لبيان صورة معينة خاصة . قلت : والأولى أن يقال : المراد بنفي الحساب : مايتعاناه أهل صناعته من الجمع والفذلكة والضرب ونحو ذلك ؛ ومن ثم قال : ولا نكتب .

« وأما عقد الحساب ، فإنه اصطلاح للعرب تواضعوه بينهم ، ليستغنوا به عن التلفظ . وكان أكثر استعمالهم له عند المساومة في البيع ، فيضع أحدهما يده في يد الآخر ، فيفهمان المراد من غير تلفظ ، لقصد ستر ذلك عن غيرهما ممن يحضرهما . فشبه النبي ﷺ قدر مافتح من السد بصفة معروفة عندهم .

« وقد أكثر الشعراء التشبيه بهذه العقود . ومن طريف ماوقفت عليه في النظم في ذلك قول بعض الأدباء :

رُبَّ برغوثٍ ليلةً بت منه   وفؤادي في قبضة **التسعين**
أسرته يد **الثلاثين** حتى   ذاق طعم الحمام في **السبعين**

وعقد الثلاثين : أن يضم طرف الإبهام إلى طرف السبابة ، مثل من يمسك شيئا لطيفا كالإبرة ، وكذلك البرغوث . **وعقد السبعين** : أن يجعل طرف ظفر الإبهام بين عقدتي السبابة من باطنها ويلوى طرف السبابة عليها ، مثل ناقد الدينار عند النقد »[1] .

وأول ما قرأت من إشارات إلى كتب ألفت في هذا الموضوع ، كان هو ماكتبه عبد القادر البغدادي ، وهو يشرح بيت الفرزدق السابق ، حين قال : « وعَقْدُه وهو بفتح العين المهملة وسكون القاف . وفسره ابن حبيب (في شرح المناقضات) وابن قتيبة (في أبيات المعاني) وقالا : يعني عقد الثلاثين ، وهو هيئة تناول القملة بأصبعين : الإبهام والسبابة . واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين ، يقال له حساب اليد . وقد ورد منه في الحديث : وعَقَد عَقْد تسعين .

« وقد ألفوا فيه كتبا وأراجيز ، منها أرجوزة أبي الحسن علي ، الشهير بابن المغربي . وقد شرحها عبد القادر بن علي بن شعبان الصوفي . ومنها في عقد الثلاثين :

واضممهما عند الثلاثين تُرى   كقابض الإبرة من فوق الثرى

قال شارحها : أشار إلى أن الثلاثين تحصل بوضع إبهامك إلى طرف السبابة ، أي جمع طرفيهما ، كقابض الإبرة »[2] .

وقد ذكر حاجي خليفة شيئا عن هذا النوع من الحساب ، وأشار إلى بعض الكتب المؤلفة فيه ، فقال : « علم حساب العقود ، أي عقود الأصابع . وقد وضعوا كلا

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ١٣/ ١٠٧ .
(٢) خزانة الأدب ٣/ ١٤٧ .

منها بإزاء أعداد مخصوصة ، ثم رتبوا لأوضاع الأصابع أحادا وعشرات ومئات وألوفا ، ووضعوا قواعد يتعرف بها حساب الألوف فما فوقها . وهذا عظيم النفع للتجار ، سيما عند استعجام كل من المتبايعين لسان الآخر ، وعند فقد آلات الكتابة ، والعصمة عن الخطأ أكثر من حساب الهواء .

« وكان هذا العلم ، يستعمله الصحابة رضي الله عنهم ، كما وقع في الحديث في كيفية وضع اليد على الفخذ في التشهد أنه ***عقد خمسا وخمسين*** . يعني أن النبي ﷺ ***عقد أصابع اليد غير السبابة والإبهام ، وحلّق الإبهام معها*** . وهذا الشكل في العلم المذكور دال على العدد المرقوم ، فالراوي ذكر المدلول وأراد الدال . وهذا دليل على شيوع هذا العلم عندهم .

« وفي هذا العلم أرجوزة لابن المغربي أورد فيها مقدار الحاجة ، ورسالة لشرف الدين اليزدي أورد فيها قدر الكفاية »[1] .

والرسالة الأخيرة التي ذكرها حاجي خليفة ، مؤلفة باللغة الفارسية . وقد وصلت إلينا منها مخطوطة بدار الكتب المصرية . كما يتبين لنا حصر الكتب المؤلفة في موضوع حساب العقد ، فيما يلي :

١ - ***لوح الضبط في علم حساب القبط*** ، لأبي الحسن علي بن الحسن المعروف بابن المغربي[2] (توفي سنة ٤٠٠هـ) .

منه ***مخطوطة*** في خمس صفحات برقم ١٠٨٨ عمومية (ومنها ميكروفيلم برقم ١٤٢ رياضيات[3] . وقد اعتمدنا عليها في تحقيق النص (الرمز ع) .

---

(١) كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ١/ ٦٦٤ ، ٦٦٥ . وانظر : صحيح مسلم ٥/ ٨٠ ، وإخلاص الناوي ١/ ١٤٩ .

(٢) انظر ترجمته في الأعلام للزركلي ٥/ ٨٨ .

(٣) فهرس المخطوطات المصورة صفحة ٩٤ (العلوم ٣/ ٢ الرياضيات) .

ومنه كذلك **مخطوطة** *أخرى* في أربع صفحات بدار الكتب المصرية (برقم ٣٩٥٧ ك) . وقد اعتمدنا عليها كذلك (الرمز ك) .

وقال حاجي خليفة عن هذا الكتاب : « منظومة في حساب اليد ، لابن المغربي . أولها : الحمد لله القدير العالم ... إلخ . شرحها عبد القادر بن علي بن شعبان الصوفي . أولها : الحمد لله رب العالمين ... إلخ »[1] .

٢ - **القول المفرد في تعريف الحساب بالعقد** ، لغالي بن موسى (المتوفى سنة ٩٧٦هـ) . وهو شرح لأرجوزة ابن المغربي .

ومنه **مخطوطة** (في ثماني صفحات) في قسم إحياء التراث الإسلامي في بيت المقدس (رقم الحفظ ٢٠٣/ ١) مجموع رقم ١٤ . وقد ذكر في آخره أن مؤلف الأرجوزة هو : عيسى بن أحمد بن علي بن أحمد بن الحسن الحنفي . وهو خطأ محض .

وقد اعتمدنا على هذه المخطوطة كذلك (الرمز : ق) .

٣ - **كتاب حساب اليد** ، لأبي الحسن علي المعروف بابن المغربي ، بشرح زين الدين عبد القادر بن أبي الحسن نور الدين علي بن زين الدين شعبان الصوفي .

ومنه **مخطوطة** برقم ٦٧٤ رياضة ، بدار الكتب المصرية (مكتوبة سنة ١١٥٠هـ تقريبا) وهي في ثماني ورقات .

وقد اعتمدنا على هذه المخطوطة كذلك (الرمز ص) .

٤ - **التكملة في علم الحساب** ، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٩هـ) .

منه **مخطوطة** برقم ٧٩٣ رياضة بدار الكتب ، وطبع بتحقيق الدكتور أحمد سعيدان . (الثالث والرابع منه في معرفة رسوم حساب اليد) .

---

(١) كشف الظنون ١٨٦٦ .

٥ - ***أرجوزة لامية في حساب اليد*** ، لشمس الدين محمد المشهور بشعلة (المتوفى سنة ٨٦٢هـ) .

منه ***مخطوطة*** في دار الكتب المصرية برقم ٣٩٦٤ (صفحتان في المجموع . والكتاب هو السابع فيه) .

٦ - ***رسالة في معرفة الأعداد بالأصابع*** ، لمؤلف مجهول .

منه ***مخطوطة*** في صفحتين بدار الكتب المصرية (رقم ٣٩٦٤) وهي السادسة في المجموع . وقال عنها الفهرس : إنها كتبت سنة ٨٦٢هـ . وهو تاريخ وفاة ابن شعلة !

٧ - ***رسالة في بيان ضابطة عقود الأعداد*** وتفاصيل صورها ، لأحمد الحسيني .

منه ***مخطوطة*** في أربع صفحات بدار الكتب المصرية (رقم ٦٣٥ مجاميع طلعت) . وهي العاشرة في المجموع المخطوط سنة ١١٧٠هـ .

٨ - ***دفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد*** ، للشيخ محمد أمين الشهير بابن عابدين (ولد سنة ١١٦٨هـ . وتوفي سنة ١٢٥٢هـ) .

منه ***مخطوطة*** (برقم ٣١٠ رياضيات تيمور) في سبع صفحات ، بخط أحمد تيمور باشا . وقد عنونها بفائدة مهمة في الحساب بعقد الأصابع . وقال في آخر الصفحة الرابعة : « انتهى من خاتمة رسالة دفع التردد في عقد الأصابع عند التشهد ، تأليف خاتمة المحققين الشيخ محمد أمين الشهير بابن عابدين ، صاحب الحاشية على الدر المختار » . ثم زاد ثلاث صفحات بعنوان : « فائدة في الحساب » وقال في آخرها : يقول الفقير أحمد تيمور : رأيت هذه الفوائد في بعض الأوراق ، فقيدتها هنا لئلا تضيع . في ربيع الثاني سنة ١٣٤١هـ » .

٩ - ***شرح الحاوي في الحساب*** ، لابن الهائم ، لزين الدين عبد القادر بن علي ابن شعبان الزيات المصري ، زين الدين الشافعي ، المعروف بابن شعبان (المتوفى سنة ٨٩٢هـ) .

ذكره في هدية العارفين ١/ ٥٩٧ وإيضاح المكنون ١/ ٣٩٠ .

١٠ - *رسالة في بيان حساب اليد* ، لشرف الدين علي اليزدي .

منه *مخطوطة* باللغة الفارسية (رقم ٣٤/ ١١ مجاميع دار الكتب) . ويقع في ثلاث ورقات . وقد كتبت في القسطنطينية في ١٢ رمضان سنة ٩١٧هـ .

هذا ومن الشواهد الشعرية على معرفة الشعراء لهذا النوع من حساب العقد : ما رواه المرزباني من أن الكميت بن زيد أنشد نصيبا ، فاستمع له فكان فيما أنشده :

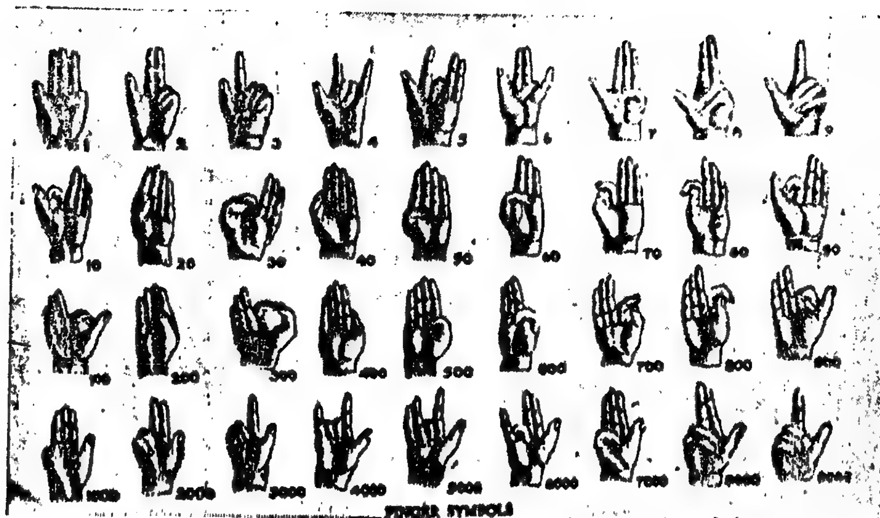
وقد رأينا بها حُورًا منعَّمة بِيضًا تكامل فيها الدَّلّ والشَّنَبُ

فثنى نصيب خنصره ، فقال له الكميت : ماتصنع ؟ قال : أحصي خطأك ، تباعدت في قولك : تكامل فيها الدل والشنب . هلا قلت كما قال ذو الرمة :

لمياءُ في شَفَتيها حُوَّة لَـعَسٌ وفي اللِّثات وفي أنيابها شَنَبُ »[1]

* * *

(١) الموشح ٣٠٥ . وفي الخصائص لابن جني ٣/ ٢٩١ : « عقد نصيب بيده واحدا لإحصاء خطأ الكميت » .



صورة الأصابع في « حساب العقد » مصورة من مقالة : « أثر الأصابع في العد » ترجمة محيي الدين يوسف ، من كتاب (العدد لغة العلم Number the Language of Science) تأليف « توبياس دانتزيك « Tobias Dantzig أستاذ الرياضيات في جامعة ميريلاند في الولايات المتحدة .

والمقالة نشرت في مجلة المجمع العلمي العراقي (المجلد الرابع / الجزء الأول ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م) ص ١٢٢ – ١٣٧ .

وأتمم بين الذبالة الفتيلة وتمّ بها الذبال والشعيلة

كتيله وتمّ بها شعيايل لأنّ جمع بابه تفاعل

فهذه تمامة الكتاب وآخر الفصول والأبواب

فحمداً لله على الإتمام ثم [illegible] الدوام

تم كتاب نظم الكفاية في اللغة

في يوم السبت خامس عشر

شهر جمادى الآخرة سنة

[illegible]

وسبعمائة

[illegible] بن عبد الرحمن [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول راجي الله [illegible] الشيخ علي المعروف بابن [illegible]

[illegible] مقدّر الأرزاق بين العالم

[illegible] الفلك وعالم [illegible] نجوم الفلك

[illegible] عدنان [illegible] جا بالفرقان

[illegible] والإبانة والطيب الكلمة والبيان

[illegible] الحلال والآل الأطهار [illegible]

[illegible] حساب علم [illegible] فلا [illegible] في معاني سامع

وانه [illegible] العلم

[illegible] في الأعمار ويعرف [illegible]

[illegible] في الأموال [illegible]

[illegible] في علم [illegible] والفقه [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كتاب

[illegible]

الورقة الأولى من مخطوطة «ع».

وفي عقدها لا يعن انب ... لكنما الا بها وهو مركب
ثم العقد من عقدها والعشر ... بها معرفة سعفه
والعشرات عقدتها صحيحا ... وعقدها وضبطها وحدها
وفي لدى العقد على افرادها ... في نسخ [illegible] المكمل من اجادها
ثم تشبهوا انضمها العقد ... في شكلها بالنسع والسعفة

باب عقد المئات

ثم اعقد المئات من الشمال ... كالعشرات من سبع والى
من يعرف شكلها كتلها ... واملها في عقدها كاملها
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... ثم تعد فيه جميعا

باب عقد [illegible] الالوف

ثم العقد الالوف [illegible] ... [illegible] على افراد
[illegible] ... [illegible]

ثم كتبها انشر بعرف لعلك ادبا ولا تخلف
ثم اذا شافك العدا بي عشر ... [illegible]
[illegible] ... [illegible] منظومة
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] ... ويستعان بالله وعدنا

الورقة الأخيرة من مخطوطة «ع».

أرجـوزة ابن المغـربي
في حساب العقد
بسم الله الرحمن الرحيم

يقول راجي الله مُنْشِي السُّحُبِ علِيٌّ المعروف بابن المَغْرِبي
الحمـدُ لله القديـرِ العالِـم[1] مقدِّرِ[2] الأرزاق بين العَالَـمِ
مُسَكِّن البحرِ بِجَرْيِ[3] الفُلْكِ وعالـمِ حَصْرَ نجوم الفَـلَكِ
أرسل فينا من بني عَدْنـان نَبِيَّ صِدْقٍ جاء بالقـرآنِ
عَلَّمنـا الإسلامَ والإيمانـا وأظهـر الحكمـةَ والبيانـا[4]
صلى عليـه الله ذو[5] الجلال وآلِـهِ الأطهـارِ خَيْـرِ آلِ
[وصحبِهِ الأبـرار والأخيـار وتابعيه في مدى الأعصار][6]
وبعد فـالحسابُ عِلـمٌ نافـعُ فلا[7] يشكّ في مقالي سامِعُ
وإنّـه عنـد غزيـر[8] الفَهْـمِ أشرفُ قدرًا[9] من كثير العِلْمِ[10]
وبه يقوم القِسْطُ في الأمصار ويُعرف الحقُّ بـلا تَمَـارِ[11]
وتُقْسم الـزكاةُ في الأمـوال والإرثُ للـنساء والرجـالِ

---

(١) ص : « القاسم » .
(٢) ك : « مقسم » .
(٣) ص : « مسكن الريح لتجري » !
(٤) هذا البيت ليس في ك .
(٥) ع : « ذو » تحريف .
(٦) مابين المعقوفين زيادة من ك .
(٧) ص ك : « ولا » .
(٨) ص : « العزيز » .
(٩) ص : « قدر » وهو خطأ .
(١٠) هذا البيت ليس في ك .
(١١) ص : « تماري » .

هـذا وإن العلمـاءَ صَنَّفُـوا ... في علم ذاك كُتُبًا وألّفـوا

حتى أَتَوْا بكلّ تصنيف بَهِي ... ينفع كـلَّ مُبتـدِي ومُنتهـي

وإننـي أتـيتُ كالمزاحِـم ... أتبعُ فيـه أثـر كـلِّ عالـمِ[1]

وقد حَدَاني الفهمُ أن أصنّفا ... في علمه شيئًا وأن أؤلّفـا

أرجوزةً تُدْعَى بلوْح الضّبط ... حَوَتْ على علم حساب[2] القِبْطِ

* * *

باب عقد الآحاد[3]

اعلم بـأن عَقْدَكَ الآحـادا ... خَصُّوا بها[4] ثلاثـةً أَفْـرادًا

فخِنْصَرٌ وبِنْصَرٌ ووُسْطَـى[5] ... وذاك في اليمين فاعرِفْ ضَبطا

فواحدٌ ابسُطْ يديك واحْصُرِ[6] ... وركِّب الخِنصرَ فوق البِنصرِ[7]

وضُمَّ في الاثنين تَركيبَهُمـا[8] ... من غير[9] تغييرٍ لذاك[10] فاعْلما

---

(١) الأبيات الأربعة السابقة ليست في ك .

(٢) ص : « الحساب » .

(٣) هذا العنوان ليس في ك .

(٤) ق : « به » .

(٥) ع : « ووسطا » .

(٦) ص : « لواحد بسط اليمين فاخبروا » !

(٧) ص : « البنصر فوق الخنصر » !

(٨) ص : « من تركيبهما » والوزن يختل بذلك !

(٩) عبارة : « من غير » ليست في ص .

(١٠) ص : « كذلك » .

وكُــفّ إن أردت تثلّثــــا ... وُسْطاك مَعْ كليهما إذْ[1] مكثا

واعمِدْ إلى الخِنصر حَسْبُ فارفَعِ ... فما تبقَّى فهو عَقْد[2] الأربـعِ

ثم اكفُفِ الوُسطى لِعَقْد الخامِس ... فَرْدًا كذا البنصرُ عقد[3] السادسِ

كـذلك الخِـنصر في التّتابُـعِ ... فاكفُفْه[4] فردًا عند عقد السابعِ

واكفُفْ لَدَى الثامن عَقْدَ الخِنْصَر ... وازْوِجْه[5] في العَقْد بكفِّ البنصِرِ

هذا وفي التـاسع ألْحِقْ[6] بهمـا ... وُسْطَاكَ واعرِف ما أقول وافهما

والقولُ في الآحاد قد تناهَى ... وفيـــه مايشتبِـــهُ اشتباهــــا

فافهم فإنّي ذاكرٌ يا سامِعِي[7] ... ما الفرقُ بين ثالثٍ وتـاسعِ

أيضا وبين ثامــنٍ وثـــاني ... ملخِّصًا[8] في[9] العَقْدِ بالبيـانِ

والفرقُ بين ذاك[10] وضعُ الخِنصر[11] ... في عَقدك الاثنين فوق البنصر[12]

---

(١) ك : « إذا » ع : « إن » تحريف .

(٢) ص : « عد » .

(٣) ق : « عند » .

(٤) ص ك : « اكففه » .

(٥) ص : « واكففه » .

(٦) ع : « فالحق » !

(٧) ع ك : « ياسامع » .

(٨) ك : « مخلصا » .

(٩) كلمة : « في » ساقطة من ص .

(١٠) ك ص : « الفرق بين ذلك » .

(١١) ص : « رفع البنصر » .

(١٢) ص : « الخنصر » .

وهكـذا الثـالثُ يـاذا الأدَبِ .رَكّبْ والتـاسع لم يُـرَكّبِ

* * *

باب عقد العشرات[1]

والـعشراتُ ياأخـا النَّجابـة خَصُّوا بها الإبهامَ والسَّبَّابـة
وتلك أيضًا منكَ في اليميـنِ[2] فكنْ من الضّبط على يقيـنِ[3]
واعلم إذا أردتَ عَقْد العَشَرَة فإنّهـا كحَلْقَـة مُـدَوَّرَة
وضَعْ لدى[4] العشرين إبهامَ اليد في العَقْد تحت أصبع التَّشَهُّدِ
لكي تكونَ منه فوق عُقْدتِهِ[5] مشاركًا وُسْطاك في أُنْملتِـهِ[6]
واضْمُمْ بها عند الثلاثين تُرَى كقابض[7] الإبرة من فوق الثَّرى
واعطِفْ على السبّابة الإبهامـا في الأربعين وافهـم[8] الكلامـا
ثم اكفف الإبهامَ عَقْدًا وَحْدَهُ وذاك في الخمسين[9] فاعرف حَدَّهُ

(١) هذا العنوان ليس في ك .
(٢) ص : « وتلك أيضا في اليد اليمين » . وفي ك : « باليمين » .
(٣) ك : « اليقين » .
(٤) ع : « لدا » . ص : « كذا » تحريف .
(٥) ك : « العقدة » .
(٦) ك : « السبابة » وهو خطأ .
(٧) ك : « كلاقط » .
(٨) ص ك : « فافهم » .
(٩) ق : « وذلك الخمسين » .

وارْدفه[1] في الستين بالسَّبّابة كقبضة الرّامِي على النّشّابة

ومَثّل السبعين عند العَقْد كناقفٍ[2] دِينارَهُ[3] للنَّقْدِ[4]

والأصبعان في الثمانين هما[5] قد لصقا في العقد مَعْ بسطهما

وهي بعقد[6] الأربعين أنْسَبُ لكنّما الإبهامُ لا يَرْكبُ[7]

وشبَّهوا التسعين في انعقادها كلَفَّة[8] الحيَّة في رُقادِها[9]

والفَرْقُ بين عَقْدها والعَشَرة بأنها مَضْمُومة مُنْحَصِرة

والعَشَرات قد تَنَاهَى حَدُّها وعَقْدُها وضَبْطها[10] وعَدُّها

وهي لَدَى[11] العقد على انفرادها لا تمنع التكميل مع آحادها

قد شَبَّهُوا قَبْضَ يد الضَّنِين في شكلها بالتِّسع والتِّسعين[12]

* * *

(١) ص : « وارفعه » .

(٢) ك ص : « كنافق » تحريف .

(٣) ك : « دينار » .

(٤) ع : « عند النقد » !

(٥) ع : « انتمى » تحريف .

(٦) ك : « لعقد » .

(٧) ص : « تركب » .

(٨) ك : « كحلقة » .

(٩) هذا البيت ليس في ع .

(١٠) ق : « وضبطها وعقدها » .

(١١) ق ص : « لذا » تحريف .

(١٢) هذا البيت ليس في ص .

باب عقد المئات

ثم اعقِد المئاتِ في الشِّمال كالعَشَرات فاسْتَمعْ[1] مَقَالِي[2]
واعلم[3] بأنّ شكلَها كشكلها[4] وأصلُها في عَقْدها كأصلها
نالت كنَيْلِ تلك في انتسابها[5] سبابةُ الشمال مَعْ إبهامها
فالمائة[6] الأُولى تُحاكي العَشَرة فقِسْ على ذلك ياذا الخِبرَة
والمائتان تشبه العشرينا فافهم[7] فقد بَيَّنْتُه تَبْيينا

* * *

باب عقد الألوف

ثم اعقِد الأُلوفَ كالآحاد في يدك اليُسْرَى على انفرادِ
أقسامها ثلاثةٌ مُقَرَّرَةْ وُسْطاك والخنصرُ يتلو بِنْصرَهْ[8]
تركيبها إن كنت ممن يعرف كعقدك الآحاد لا يختلف[9]
ثم إذاما[10] ساقك العَدُّ إلى عَشْرةِ الآلافِ[11] لا تكملا
فعند ذاك فاسْتَعِرْ عَقْدَمِيَهْ بحالها وحَلْقةٍ مُنطويَة
فكلُّ ما[12] زاد على ماقَدْ ذُكِرْ فخذْ له بعضَ العُقود واستَعِرْ

---

(١) ق : « واستمع » .
(٢) ع : « كلامي » تحريف .
(٣) ع : « اعلم » .
(٤) ص : « في شكلها » .
(٥) ق : « أقسامها » .
(٦) ص : « والمائة » .
(٧) كلمة : « فافهم » ليست في ص . وفي ك ع : « افهم » .
(٨) ص : « والبنصر يدعو خنصره » .
(٩) ع : « تختلف » .
(١٠) كلمة : « ما » سقطت من ع ص .
(١١) ع : « عشرة آلاف لما » . ق : « العشرة الألف لما » .
(١٢) ق : « وكلما » . ك : « فكلما » تحريف .

وقد تَقَضَّى ما أردتُ ذِكْرَهُ مُبَيِّنًا لِمَا كشفتُ أمْرَهُ
وذاكَ أقصَى مايُرَامُ عَقْده ويُستطاع باليدين عَدُّه[1]

* * *

والحمد لله وحده وصلى الله على محمد وآله
على يد محمد بن محمد بن الخاصري غفر الله له وأحسن إليه

* * *

(١) ق : « حده » . والأبيات الأربعة الأخيرة ساقطة من ص .

رسالة
في بيان أقسام الحكمة
على سبيل الإيجاز
للطوسي

د. عباس سليمان*

رسالة صغيرة في لون من المعرفة ، شُغل به علماؤنا الأقدمون ، متأثرين بشراح أرسطو . عنوان الرسالة : « فصل في بيان أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز » ، وصاحبها هو العلامة نصير الدين الطوسي ، المتوفى ٦٧٢هـ . وقد سار فيها على نهج الفارابي وابن سينا . وهي الأثر الوحيد الباقي له في تقسيم العلوم .

حقق الرسالة د. عباس سليمان الذي نرجو أن يحث الخطى ، ويخرج بقية آثار الطوسي الموجودة إلى النور .

« المجلة »

* مدرس الفلسفة الإسلامية بقسم الفلسفة – كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، نشرت المجلة في المجلد الخامس الثلاثين عرضًا لرسالته التي حصل بها على الدكتوراه « النصير الطوسي وكتابه التجريد » .

تميزت الخلافة الإسلامية في العصر العباسي بعقلية جديدة ، لم تعرفها الأمة الإسلامية من قبل في تاريخها ، وقد تمثل ذلك في ميل الخلفاء ابتداءً من المنصور وانتهاءً بالمأمون إلى البحوث الفكرية على الإطلاق[1] . ومن ثَمَّتَ ، فإن فترة حكم العباسيين تُمثل عصرًا تميز فيه الخلفاء برعايتهم العظيمة للعلم والمعرفة[2] . وقد نتج عن ذلك أن ازدهرت حركة الترجمة إلى اللغة العربية ، حيث تركزت الترجمة على مؤلفات اليونانيين من أمثال أرسطو وأفلاطون وإقليدس وأرخميدس وفيثاغورس وبطلميوس وجالينوس وأبقراط ، خاصة في مجالات الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق[3] .

ومهما قيل عن حركة الترجمة وأثرها في مسيرة الحضارة الإسلامية ، فإنها كانت بمثابة المقدمة المعرفية للنهوض الثقافي في هذه الحضارة . ومن ثَمَّتَ أصبحت علوم اليونان في الرياضيات والفلك والطب والجغرافيا والطبيعة

(١) د. محمد البهي : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، مكتبة وهبة ، الطبعة السادسة القاهرة ، ١٩٨٢م . ص : ١٦٥ .

(٢) انظر :– د. ماهر عبد القادر : حنين بن إسحق ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٧م . ص : ٢٧ .

– د. علي عبد الله الدفاع : إسهام علماء المسلمين في الرياضيات ، ترجمة وتعليق د. جلال شوقي ؛ دار الشروق ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨١م. ص: ٢٥ .

(٣) انظر :– د. توفيق الطويل : في تراثنا العربي الإسلامي ، (سلسلة عالم المعرفة) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٥م. ص: ١٢٦– ١٣٠ .

– د. دافيدسانتلانا : المذاهب اليونانية الفلسفية في العالم الإسلامي ، تحقيق : د. محمد جلال شرف ؛ دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م . ص: ١٥٤ – ١٦٩ .

– د. ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية ، دار الثقافة ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٧٥م . ص : ٤٣٢ ، ٤٣٣ .

– د. محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠م . ص : ٨٩ – ١٠٤ .

والفلسفة والمنطق وغيرها مطروحة أمام طلاب العلم والعلماء العرب والمسلمين ، مترجمة إلى اللغة العربية ، ومليئة بالحواشي والتحقيقات والملاحظات والنقد . وكان من نتاج ذلك أن برز علماءُ عرب ومسلمون طوروا العلوم درسًا وشرحًا وتحقيقًا وتعليقًا . وبذلك مهدت الترجمة الطريق إلى التأليف والأبحاث العلمية .

وتبعًا لتلك الحركة الأولى ، فقد ظهر العلماء الذين أسهموا في تبيان ملامح الفكر الإسلامي وتسجيل محتواه ، لاسيما الفكر العلمي ، فكان أن ظهر ثابت بن قرة ، والخوارزمي ، ومحمد الفرغاني ، والطوسي ، وغيرهم في مجال الرياضيات والفلك[1] ، وأبو بكر الرازي وابن سينا في مجال الطب[2] ، وابن الهيثم في مجال البصريات[3] ، والكندي والفارابي في مجال الفلسفة[4] .

وفي يقيني أن هؤلاء العلماء استطاعوا إعادة النظر بصورة جذرية في النظريات العلمية القديمة ، بما لديهم من تجارب علمية جديدة ساعدت على نمو المعرفة العلمية في مختلف مجالاتها ، من رياضيات وفلك وطب وبصريات بالإضافة إلى تطويرهم للفكر الفلسفي .

وبناءً على ما تقدم ، تراكمت علوم كثيرة في الحضارة الإسلامية ، مما أدى إلى ضرورة العمل على إجمال هذه العلوم وتصنيفها ووضع نظام واحد لها ، وتعيين فروع العلوم المختلفة وغاياتها ومنافعها في إطار المعرفة العام .

---

(١) انظر :– قدري حافظ طوقان : تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، دار الشروق، بيروت، (بدون تاريخ) . ص : ١٥٤ – ١٦٢ ، ١٩٥ – ٢٠٥ ، ٢٤١ – ٢٤٨ ، ٤٠٧ – ٤١٦ .

(٢) انظر :– د. علي عبد الله الدفاع : أعلام العرب والمسلمين في الطب ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ، بيروت ، ١٩٨٧م . ص : ٨٣ – ١٠٤ ، ١٣٨ – ١٦٧ .

(٣) انظر :– عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، مصر ، ١٩٦٩م . ص : ١٣٣ – ١٣٦ .

–أحمد فؤاد باشا : التراث العلمي للحضارة الإسلامية ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، مصر ، ١٩٨٣م . ص : ٧٩ – ٨٧ .

(٤) توجد دراسات عديدة عن دور الكندي والفارابي في مجال الفلسفة لا يمكن حصرها في هذه الدراسة .

وبهذا أخذ العلماء بفكرة تصنيف العلوم بغية إقامة المعقول في الحركة العلمية ، مما ينبه عند الضرورة إلى نقاط التخلف في أحد العلوم أو في مجموعة منها[1] .

وصفوة القول : إن تصنيف العلوم يُقدم لطلاب العلم ومحبي المعرفة كيفية التعرف الصحيح على موضوع العلم الذي يريدون أن يتعلموه ، ويمكنهم من أن يوازنوا بين العلوم ليعرفوا أفضلها وأوثقها وأتقنها .

تصنيف العلوم عند المسلمين :

التصنيف هو جعل الأشياء أصنافًا وضروبًا على أساس يسهل معه تمييزها بعضها من بعض ، أو أن تُرتب المعاني بحسب العلاقات التي تربطها بعضها ببعض[2] . ومن ثَم ، فتصنيف العلوم هو العلاقة المتبادلة بين العلوم ومكانها في نسق المعرفة الذي تعينه المبادىء المحددة التي تعكس صفات الموضوعات التي تدرسها العلوم المختلفة — والتي تعكس أيضًا الصلة بين هذه الموضوعات . ويمكن — من الناحية المعرفية — أن تكون مبادىء تصنيف العلوم موضوعية متفقة مع طبيعة موضوع بحث العلوم ، أو ذاتية تتوقف على حاجات الإنسان[3] .

ويمكن القول بأن تصنيف العلوم عند المسلمين يرجع إلى ذلك التصنيف الذي وضعه شراح فلسفة أرسطو ، من أمثال أمونيوس وسمبلقيوس ويحيى النحوي في القرن الخامس والسادس الميلادي . وقد استطاع هؤلاء الشراح استخراج مبادىء وقواعد بنوا عليها تصنيف العلوم في كتب أرسطو ، ورأوا أن الأمور التي يبحثون عنها في الحكمة النظرية ، أي في العلوم العقلية النظرية ، هي على ثلاثة أنواع :

---

(١) د. حامد طاهر : مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية ، دار هجر ، القاهرة ، ١٩٨٥م . ص ٣٤ .

(٢) د. جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، دار الكتاب اللبناني والمصري ، بيروت — القاهرة ، (بدون تاريخ) . المجلد الأول ، ص : ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

(٣) م. روزنتال ب : يودين : الموسوعة الفلسفية ، ترجمة : سمير كرم ؛ دار الطليعة ، الطبعة الخامسة ، بيروت ، ١٩٨٥م — ص : ١٢٦ .

. **النوع الأول** : أمور يتعلق وجودها بالمادة الجسمانية والحركة ، مثل : الأجرام السماوية الأربعة ، والآثار العلوية ، والحيوان ، والنبات ، والمعادن ، والنفس الحيوانية ، والقوى الدّراكة ، وما يوجد من الأحوال خاصًا بها مثل : الحركة والسكون والكون والفساد . وكل ذلك من مباحث الحكمة الطبيعية .

النوع الثاني : يختص بأمور ؛ وجودها متعلق بالمادة والحركة . وحدودها غير متعلقة بهما ضروريًا ، مثل : العدد وخواصه ؛ ومثل : الكروية والتدوير والتربيع ، وغير ذلك . فهذه الأمور تمثل مباحث الحكمة الرياضية أو التعليمية .

النوع الثالث : خاص بأمور لاتفتقر في وجودها وفي حدودها إلى المادة والحركة ، مثل : الذات الإلهية والجواهر الروحانية ، والمعاني العامة لجميع الموجودات ، كالجوهر والعرض والهوية ، والوحدة والكثرة ، والعلة والمعلول ، والجزئية والكلية ، وما أشبهها . فهذه الأمور تمثل مباحث الحكمة الإلهية المسماة أيضًا الفلسفة الأولى ، أو العلم الكلي ، أو ما بعد الطبيعة .

ثم ينقسم كل نوع من الحكمة إلى أصول وفروع : فأصول الحكمة الطبيعية ثمانية ، سميت بأسماء كتب أرسطو الموافقة لها ، أي المستقصى فيها تلك الفنون .

وفروع الحكمة الطبيعية أو أقسامها الفرعية سبعة ، وهي : الطب وأحكام النجوم والفراسة وتعبير الرؤيا والكلمات والنيرنجيات وعلم الهندسة وعلم الهيئة وعلم الموسيقى[1] .

وقد اتبع المسلمون هذا التصنيف الذي وضعه شراح أرسطو ، ولكن بعد أن أدخلوا عليه الكثير من الإضافات ، لاسيما فيما يختص بالعلوم التي ترجع إلى الدين الإسلامي الذي يعد أساس حضارة المسلمين .

---

(١) انظر :– كَارلو نللينو : علم الفلك (تاريخه عند العرب في القرون الوسطى)، روما: سنة ١٩١١م . ص: ٢٧ – ٢٩ .

– الفارابي : إحصاء العلوم ، تحقيق : د. عثمان أمين ؛ مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨م . (تعليقات المحقق) ، ص : ١٤٢ – ١٤٣ .

ويُعَدّ الفارابي (ت ٢٥٧هـ) أول فيلسوف مسلم تأثر بفلسفة كل من أفلاطون وأرسطو ، وحذا حذوهما في تقسيم العلوم[(١)] . وهكذا الحال في رسائل إخوان الصفا (منتصف القرن الرابع الهجري) ، تلك الرسائل التي تُعد أشبه بموسوعة جامعة في الفلسفة والعلوم[(٢)] .

أما ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) فإنه يتبع الفارابي في تصنيفه للعلوم[(٣)] . وإن اختلف عنه اختلافًا لفظيًا .

ويمكن القول : إن التصنيف الذي اتبعه كل من الفارابي وابن سينا ، هو « التصنيف الإبستمولوجي الذي يقوم على أساس فلسفي خاص يتعلق بنظرية المعرفة وينبني على القوى الإدراكية للإنسان ، وهو تصنيف تُرتب فيه العلوم والمعارف البشرية حسب المَلكَات المختلفة للعقل من نظر وعمل ومخيِّلة »[(٤)] .

وقد استمر التأليف في مجال تصنيف العلوم في الحضارة الإسلامية حتى القرن السابع الهجري ، حيث يعيش فيلسوفنا نصير الدين الطوسي الذي طرق أيضًا هذا المجال من التآليف ، وذلك في رسالته « فصل في بيان أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز » .

---

(١) ألف الفارابي كتابين عن أفلاطون وأرسطو ، هما :
١ – فلسفة أفلاطون وأجزاؤها ومراتب أجزائها من أولها وآخرها . وفي هذا الكتاب بَيَّن كيفية ارتباط المطالب العلمية وخروج بعضها من بعض في مصنفات أفلاطون . وقد نشره د. عبد الرحمن بدوي في كتابه « أفلاطون في الإسلام » .
٢ – فلسفة أرسطو طاليس وأجزاء فلسفته ومراتب أجزائها والموضع الذي منه ابتدأ وإليه انتهى . وبَيَّن فيه أيضًا تدرج فلسفة أرسطو وأغراضه في مؤلفاته المنطقية والطبيعية . وقد نشره د. محسن مهدي ببيروت عام ١٩٤١م .
أما عن مؤلفات الفارابي ، فإنه ألف في هذا المجال كتاب « إحصاء العلوم » كما أشار إلى تصنيف العلوم في كتابه : « التنبيه على سبيل السعادة » .

(٢) انظر : د. عمر فروخ : إخوان الصفا (درس – عرض – تحليل) ، دار الكتاب العربي – الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨١م . ص : ٤٢ ، ٤٣ .

(٣) ألف ابن سينا في تصنيف العلوم رسالته بعنوان « في أقسام العلوم العقلية » ؛ وقد نشرت عام ١٩٠٨م ضمن تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات .

(٤) د. أحمد عبد الحليم عطية : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الثقافة ، طبعة ١٩٩١م ص : ٦٨ .

نصير الدين الطوسي

حاز الطوسي مكانة متميزة في حياته وبعد وفاته ، فقد كان لتنوع معارفه ومؤلفاته صدى في معظم المصادر التاريخية وكتب التراجم ، التي أفاضت في الترجمة له وذكر قائمة مؤلفاته .

وتذكر المراجع التاريخية[1] أن الطوسي هو : محمد بن محمد بن الحسن[2]

---

(١) انظر :- الخوانساري : روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ، تحقيق : أسد الله إسماعيليان . مكتبة إسماعيليان ، قم . جـ ٦ ، ص : ٣٠٠ .

- أحمد بن علي المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ؛ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٧م. جـ١، القسم الثاني، ص: ٤ .

- عباس قمي : فوائد الرضوية في أحوال المذاهب الجعفرية . ص : ٦٠٢ .

- الكتبي : فوات الوفيات ، تحقيق : د. إحسان عباس ؛ دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م . جـ٣ ، ص : ٢٤٦ .

- كحالة : معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٥٧م . جـ ١١ ، ص : ٢٠٧ .

- ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ١٣٢٣هـ . ص : ٢٢٣ .

- سركيس : معجم المطبوعات العربية والمعربة ، مكتبة الثقافة الدينية . جـ٢ ، ص : ١٢٥٠ .

- الزركلي : الأعلام ، الطبعة الثانية ، جـ٧ ، ص : ٢٥٧ .

- د. عبد الأمير الأعسم : الفيلسوف نصير الدين الطوسي ، دار الأندلس ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص : ٢٣ .

- د. رضا زاده شفق : تاريخ الأدب الفارسي ، ترجمة : محمد موسى هنداوي ؛ دار الفكر العربي ، ١٩٤٧م . ص : ١٩٧ .

- السيد حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ، منشورات إبراهيم كامل الزين ، بيروت ، ١٩٨٠م . ص : ٣٩٥ .

- Strothmann, R.: art tusi dans Ency clopaedie d'Islam, vol, (IV),- Paris, 1934. P: 1032.

(٢) يذكر هدايت أن اسم الطوسي هو « محمد بن الحسن » ، كما يذكر مستوفى أن اسم جده الحسين بدل الحسن ؛ (انظر : د. الأعسم : الطوسي ، ص : ٢٣) .

الطوسي[1] ، ويكنى بأبي جعفر . وقد عرف الطوسي بعدة ألقاب في حياته ، فعرف باسم « نصير الدين الطوسي »[2] و « نصير الدين »[3] ، و « الخواجة نصير

---

(١) يذكر ابن العماد أن الطوسي هو « أبو عبد الله نصير الدين محمد بن محمد بن حسن » (ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٧٩م . جـ٥ ، ص : ٢٣٩) .

كما يذكر ابن كثير الطوسي بـ « محمد بن عبد الله الطوسي » ، (ابن كثير : البداية والنهاية ، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين ؛ دار الكتب العلمية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٨٧م . جـ١٣ ، ص : ٢٨٣) . أضف إلى ذلك ابن تغري بردي الذي يذكر الطوسي بـ « الخواجة محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد الله نصير الدين » (ابن تغرى بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، (بدون تاريخ) . جـ ٧ ، ص : ٢٤٥) .

(٢) انظر :- سركيس : معجم المطبوعات ، جـ ٢ ، ص : ١٢٥٠ .

- الكتبي : فوات الوفيات ، جـ٣ ، ص : ٢٤٦ .

- رونالدولبر : إيران ماضيها وحاضرها ، ترجمة : د . عبد النعيم محمد حسنين ، راجعه وقدم له : د. إبراهيم أمين الشواربي ؛ مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨م . ص : ١٢ .

- زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة : فاروق بيضون ، كمال دسوقي ، راجعه هارون عيسى الخوري . دار الآفاق الجديدة ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م . ص : ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٦١ .

- **Encyclopaedie d'Islam,: art tusi, vol (IV), P: 1032 .**

- محمد جواد مغنية : مع الشيعة الإمامية ، مكتبة الأندلس ، بيروت . هامش ص : ١٣ .

- هنري كوربان: تاريخ الفلسفة الإسلامية، ترجمة: نصير مروة، حسن قبيسي، راجعه وقدم له: الإمام موسى الصدر ، الأمير عارف تامر . منشورات عويدات . الطبعة الثالثة ، بيروت - باريس ، ١٩٨٣م . ص : ٧٧ .

- عارف تامر : الطوسي في مرابع ابن سينا ، مؤسسة عز الدين ، بيروت ، ١٩٨٣م . ص : ٣١ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٧٢ .

- د. محمد عبد الرحمن مرحبا : المرجع في تاريخ العلوم عند العرب ، دار الفيحاء ، ١٩٧٨م . ص : ٣٩٩ .

- السيد حسن الصدر : تكملة أمل الآمل ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، السيد محمود المرعشي ؛ دار الأضواء ، بيروت ، ١٩٨٦م . ص : ٢٩٢ .

- برتولد شبولر : العالم الإسلامي في العصر المغولي ، ترجمة : خالد أسعد عيسى ، مراجعة : د. سهيل زكار ؛ دار حسان ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٩٨٢م . ص : ٤٦ .

- ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، المكتبة العربية ، بغداد . ص : ٣٨٠ .

- ل.أ. سيديو : تاريخ العرب العام ، ترجمة : عادل زعيتر ؛ مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثانية ١٩٦٩م . ص : ٢٣٥ .

(٣) انظر :- ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص : ٢٣٩ .

- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ ٧ ، ص : ٢٤٥ .

- نيقولا ريشر : تطور المنطق العربي ، ترجمة : د. محمد مهران ؛ دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م ، ص : ٤٤٤ .

- كحالة : معجم المؤلفين ، جـ١١ ، ص : ٢٠٧ .

الدين »[1] ، و « الخواجة نصير الملة والدين »[2] ، وغير ذلك من الألقاب[3] التي غالبًا ما يضعها أصحاب كتب التراجم .

ويدعوه كل من خدابخشي ومعصوم علي ومرحبا الطوسي بـ « المحقق » ؛ والأردستاني يدعوه بـ « فخر الحكماء ومؤيد الفضلاء » ؛ ودوايت يدعوه بـ « الفيلسوف الفلكي والمجتهد » . ويدعوه أخيرًا أغابزرك بـ « سلطان المحققين وأستاذ الحكماء والمتكلمين » . وقد عرفته أوروبا بـ « نصير الدين »[4] أو « طوسي » . ولعل الذي أشاع هذا اللقب كثيرًا في المحدثين هو طومسن (Thomson) في كتابه :

---

(١) انظر :- ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص : ٢٨٣ .
- سركيس : معجم المطبوعات ، جـ ٢ ، ص : ١٢٥٠ .
- جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٧م . ص : ٣٨٤ .
- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، جـ٧ ، ص : ٢٤٥ .
- السيد حسن الصدر : تكملة أمل الآمل ، ص : ٢٩٢ .

(٢) انظر : الشيخ يوسف بن أحمد البحراني : لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الدين ، تحقيق : السيد محمد صادق بحر العلوم ؛ دار الأضواء ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٦م . ص : ٢٤٥ .

(٣) انظر :- ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص : ٢٢٣ .
- المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ص : ٦١٤ .
- السيد حسن الصدر : تكملة أمل الآمل ، ص : ٢٩٢ .
- ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص : ٢٨٣ .
- ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تحقيق : د. السيد الجميلي ؛ دار ابن زيدون ، بيروت ، ١٩٨٥م . ص : ٦٠١ .
- د. جعفر آل ياسين : الفيلسوف الشيرازي ، منشورات عويدات ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٨م . ص : ٩٩ .

(٤) كلمة نصير كلمة عربية تعني مراقبًا ، وبالفارسية تعني رئيسًا ، أو من يتقلد وظيفة عالية .
(la Grande Encyclopedie, art : Nasir der Blochet, E. paris, XXIV, P: 817) .
وفي (لسان العرب) لابن منظور : النصير فعيل بمعنى فاعل أو مفعول لأن كل واحد من المتناصرين ناصر ومنصور . وقد نصره ينصره نصرًا إذا أعانه على عدوه وشدَّ منه ، والتناصر : التعاون على النصر . (انظر : ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، (بدون تاريخ) . المجلد السادس ، (مادة نصر) ، ص : ٤٤٤٠) .

(Practical philosphy of Muhammadan people, london, 1839).

ومنه سرى إلى كتّاب الإسلاميات من الباحثين المستشرقين[1] .

مولد الطوسي :

ولد الطوسي في يوم السبت ، حادي عشر ، شهر جمادى الأولى ، وقت طلوع الشمس سنة ٥٩٧هـ = ١٨ فبراير سنة ١٢٠١م[2] . وينص عباس قمي أن البرجردي قد أثبت تاريخ ميلاد الطوسي في بيتين من الشعر هما :

ثم نصير الدين جده الحسن	العالم النحرير قدوة الزمن
ميلاده يا حرز من لا حرز له	وبعد ذاعٍ قد أجاب سائله[3]

---

(١) انظر :- الأعسم : الطوسي ، ص : ٢٤ .
- دوايت : عقيدة الشيعة ، ص : ٢٩٣ .
- مرحبا : المرجع في تاريخ العلوم ، ص : ٣٩٩ .

(٢) انظر :- الخوانساري : روضات الجنات ، جـ٦ ، ص : ٣١٤ .
- ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص : ٣٨٠ .
- البحراني : لؤلؤة البحرين ، ص : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
- طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٥م . المجلد الأول ، ص : ٢٩٤ .
- د. رضا زاده : تاريخ الأدب الفارسي ، ص : ١٩٧ .
- الكتبي : فوات الوفيات ، جـ٣ ، ص : ٢٥٢ .
- ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، ص : ٢٢٣ .
- جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ص : ٣٨٤ .
- Wickens, G,M.: Nasir al-Din tusi's The Nasiran Ethi, london, 1964. P: 12 .
- الأعسم : الطوسي ، ص : ٢٥ .
– Encylopaedie d'Islam, P: 1032 .
- عباس العزاوي : تاريخ علم الفلك في العراق ، المجمع العلمي العراقي ، بغداد ، ١٩٥٨م . ص : ٣٣ .
- حسن الصدر : تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام ، ص : ٣٩٧ .

(٣) انظر :- عباس قمي : فوائد الرضوية ، ص : ٦٠٤ ، (نقلاً عن البرجردي في نخبة المقال) .
- الأعسم : الطوسي ، ص : ٢٥ .

ويختلف المؤرخون في موضع مولد الطوسي[1] ؛ فهناك من ينص على أن مولده كان « بمشهد طوس »[2] ، ولذلك يقول روان بخشي : إن مولده بطوس متفق عليه ، ولهذا اشتهر بالطوسي[3] . إلا أننا نرى الخوانساري يؤكد أن الطوسي « كان أصله من جهرود ساوه أحد أعمال قم ذات النقاوة ، وإنما اشتهر بالطوسي لأنه ولد بطوس »[4] .

والعبارة الأخيرة ، كما يرى الأعسم ، ذات أهمية وخطورة في تحديد أصل الطوسي ، لأنها تبرر الشهرة الثانية له بـ « الجهرودي » ؛ فولادة الطوسي في جهرود تعني أنه اكتسب منها الكثير في أثناء طفولته الأولى[5] .

ويمكن القول : إن الطوسي نشأ في هذه المرحلة في أحضان أبيه « محمد بن الحسن » الشيعي الا ثني عشري ، وخاله « الحكيم فاضل بابا أفضل الكاشي » الفيلسوف . وبذلك نشأ الطوسي وسط الأجواء الفلسفية وظهر انطباعها في شخصيته إلى حد بعيد حتى تهيأت له الدراسة المنظمة في نيسابور . وعن طريق نشأة الطوسي الأولى ، نكشف علة انغماسه في التيار الإسماعيلي[6] .

---

(١) ينفرد د. رضا زاده بأن الطوسي ولد بضواحي قم . (انظر : د. رضا زاده : تاريخ الأدب الفارسي ، ص : ١٩٧) .

(٢) انظر :– الكتبي : فوات الوفيات ، جـ ٣ ، ص : ٢٥٢ .
– طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ص : ٣٨٤ .
– عباس العزاوي : تاريخ علم الفلك ، ص : ٣٣ .
– سركيس : معجم المطبوعات ، جـ٢ ، ص : ١٢٥٠ .
– الزركلي : الأعلام ، جـ٧ ، ص : ٢٥٧ .

(٣) الأعسم : الطوسي ، ص : ٢٦ .

(٤) الخوانساري : روضات الجنات ، جـ٦ ، ص : ٣٠٠ .

(٥) الأعسم : الطوسي ، ص : ٢٦ .
(وهنا يوجد تناقض ظاهر لأن النص ينص على أنه ولد بطوس وليس بجهرود وإنما أصله من جهرود أي آباؤه منها) .

(٦) المرجع السابق ، ص : ٢٧ .

وعندما بلغ الطوسي الخامسة عشرة ، بدا وكأنه بدأ حياته بشوق لتحصيل العلوم والمعارف بطريقة منظمة في نيسابور بلد العلم والفلاسفة . وتعد الفترة من سنة ٦١٢هـ = ١٢١٦م إلى سنة ٦١٩هـ = ١٢٢٢م – وهي الفترة التي قضاها في نيسابور – من أخصب فترات حياته الثقافية ، حيث درس على يد معين الدين المصري ، وفريد الدين الداماد ، وكمال الدين الموصلي . وقد كانت دراسته في هذه المرحلة تنصب على الحكمة والفقه والرياضيات[١] .

انتقل الطوسي بعد أن سقطت نيسابور في أيدي المغول إلى طوس من سنة ٦١٩هـ = ١٢٢٢م ، إلى سنة ٦٢٥هـ = ١٢٢٨م ؛ ست سنوات قضاها في طوس منعزلًا ، منفردًا بنفسه ، وبكتبه ، وبعقله ؛ فكان يمارس تثقيفًا ذاتيًا فلسفيًا ، حتى صار متخصصًا في الفلسفة ، فاشتهرت محاولاته في الميتافيزيقا ، والطبيعة ، والأخلاق والسياسة[٢] حتى صار موضع اهتمام الإسماعيليين؛ والتحق بالقلاع الإسماعيلية من سنة ٦٢٥هـ = ١٢٢٨م ، إلى سنة ٦٥٣هـ = ١٢٥٥م ، وهي الفترة الخصبة فيما كتب وبحث في الفلسفة والرياضة والعلوم العقلية .

وفاة الطوسي :

كانت وفاة الطوسي في بغداد ، آخر نهار الاثنين من الثامن عشر من شهر ذي الحجة ، وقت غروب الشمس سنة ٦٧٢هـ ، الموافق ٢٦ يونيو سنة ١٢٧٤م[٣] . وكان ذلك اليوم يوافق أيضا لدى الشيعة يوم « غدير الشيعة »[٤] ؛ وكان له من

---

(١) المرجع السابق ، ص : ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٣٠ .

(٣) انظر :– ابن الفوطي : الحوادث ، ص : ٣٨٠ .
– دوايت : عقيدة الشيعة ، ص : ٢٩٣ .
– البحراني : لؤلؤة البحرين ، ص : ٢٤٦ .
– طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ، جـ١ ، ص : ٢٩٤ .

(٤) الأعسم : الطوسي ، ص : ٥٥ .

العمر خمسة وسبعون عامًا[١] . وشيع جثمانه في موكب كبير اقترن بإجلال واحترام وتعظيم ؛ وشارك في تشييعه صاحب الديوان والرجالات البارزة[٢] ، « فكانت جنازته حفلة »[٣] . ثم دفن في مشهد موسى بن جعفر الكاظمي في سرداب قديم البناء خالٍ من دفن ؛ قيل : إنه قد عمل للخليفة الناصر لدين الله[٤] .

مؤلفات الطوسي :

كانت حياة الطوسي حافلة بالحروب والقلاقل والاضطرابات السياسية[٥] . وعلى الرغم من ذلك فإنه خلف لنا مؤلفات كثيرة ، دلت على علوّ قدمه ، وأصالته بين مفكري الإسلام ، وما زالت كتبه حتى الآن معينًا لا ينضب للدارسين .

إن مؤلفات الطوسي تدل دلالة واضحة على عبقرية هذه الشخصية الفذة التي جمعت بين مختلف علوم ومعارف عصرها .

وقد ألّف الطوسي في الفلسفة والهيئة والنجوم والرياضيات والطبيعيات والعلوم الدينية ،والأدب ،والتاريخ ،والجغرافيا ،والطب ،والتصوف ،والموسيقى .وفي هذا يقول طوقان :

« إن مؤلفات الطوسي ورسائله في الرياضيات والفلك وسائر الفروع ، تُكوِّن مكتبة قيمة زادت في الثروة الإنسانية العلمية ، ودفعت بها إلى الارتقاء والتقدم »[٦] .

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص : ٢٨٣ .
(٢) الأعسم : الطوسي ، ص : ٥٥ .
(٣) الكتبي : فوات الوفيات ، جـ٣ ، ص : ٢٥٢ .
(٤) انظر : ابن الفوطي : الحوادث ، ص : ٣٨٠ . وقارن : ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص : ٢٨٣ .
(٥) انظر :- محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم ١٥٨٤ تاريخ . حوادث سنة ٦٥٦هـ .
- د. فؤاد عبد المعطي الصياد : المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٠م ، جـ١ ، ص : ٢٦٣ ومابعدها .
- د. السيد الباز العريني : المغول : دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦م . ص : ١٧٨ ومابعدها .
- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٢م . جـ ١٢ ، ص : ١٣٨ .
(٦) قدري حافظ طوقان : العلوم عند العرب ، دار اقرأ ، (بدون تاريخ) . ص : ٢٢٢ .

رسالة الطوسي في أقسام الحكمة

تُشير المصادر التي ذَكرت مؤلفات الطوسي إلى أن له رسالة « في بيان أقسام الحكمة »[1] ؛ وهي كل ما انتهى إلينا مما كتبه الطوسي في تقسيم العلوم ؛ وقد اتبع الطوسي في تقسيمه للعلوم في هذه الرسالة ما كان متبعًا عند الفارابي وابن سينا .

وفيها يقسم الطوسي الحكمة إلى قسمين : نظري وعملي ؛ والقسم العملي إلى ثلاثة أقسام ، وهي[2] :

١ - *علم الأخلاق* : وهو علم يُعرف منه أنواع الفضائل التي ينبغي على الإنسان أن يتصف بها ، فتجعله سعيدًا في حياته الدنيا والآخرة .

٢ - *علم تدبير المنزل* : وهو علم يعرف منه اعتدال الأحوال المشتركة بين الإنسان وزوجته وأولاده وخُدّامه ، وطريق علاج الأمور الخارجة عن الاعتدال ، ووجه الصواب فيها .

٣ - *علم السياسة* : وهو علم يعرف منه أنواع الرياسات والسياسات والاجتماعات المدنية وأحوالها .

أما القسم النظري من أقسام الحكمة فيقسمه الطوسي إلى ثلاثة أقسام أيضًا :

---

(١) انظر :

- Sarton, G.,: Introduction to The History of science, Baltimore 1962, vol 2, P: 1010.

- Brockelmann. K.,: Gesehichte der arabischen litteratur, leiden, 1943, I,1. vol 1. P: 672.

(٢) انظر :- الطوسي : فصل في بيان أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، ضمن مجموعة برقم ٤٥٢ حكمة وفلسفة (ميكروفيلم ٤٥٧٣٧) الصفحة الأولى .

وقارن : - ابن سينا : رسالة في أقسام العلوم العقلية ، ص : ١٠٧ ، ١٠٨ .

- طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ، جـ١ ، ص : ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

الأول : طبيعي يبحث عن أحوال الأجسام الطبيعية وأنواعها .

والثاني : رياضي يبحث عن أمور يصح تجردها عن المادة في الذهن ، مثل التربيع والتدوير والعدد ...إلخ .

والثالث : إلهي يبحث في أمور تفتقر في وجودها وفي حدودها إلى المادة والحركة .

أولاً : العلم الطبيعي ... أصوله وفروعه[1] :

يقسم الطوسي أصول الحكمة الطبيعية إلى ثمانية أقسام هي :

الأول : البحث عن الأمور العامة للأجسام الطبيعية ، كالحركة والسكون ، والنهاية واللانهاية .

الثاني : في أركان العالم وحركاتها وطبائعها وأماكنها الطبيعية ، ويشتمل عليه كتاب « السماء والعالم » لأرسطو .

الثالث : في الكون والفساد ، وهو يبحث في كيفية الأمطار والثلوج والرعد والبرق وأمثالها ، ووجودها في بعض البلاد دون بعض ، وفي بعض الأزمان دون آخر ، وسبب نفع بعضها وضرر الآخر .

الرابع : في الآثار العلوية ، وما يلحق الأجسام العنصرية قبل الامتزاج ، كالتخلخل والتكاثف .

الخامس : البحث في المعادن ، وهو ينحصر في التعرف على أحوال الفلزات : طبائعها وألوانها وكيفية تولدها في المعادن ، وكيفية استخراجها واستخلاصها عن الأجزاء الأرضية ، وتفاوت طبائعها وأوزانها[2] .

---

(١) انظر :- الطوسي : رسالة في أقسام الحكمة ، الصفحة الأولى .
وقارن :
- طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ، جـ١ ، ص : ٣٠٣، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٧ .
- ابن سينا : رسالة في أقسام العلوم العقلية ، ص : ١٠٨ - ١١١ .
- د. جعفر آل ياسين : فيلسوف عالم (دراسة تحليلية لحياة ابن سينا وفكره الفلسفي) دار الأندلس . الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٤م . ص : ٩٣ - ٩٦ .

(٢) يرى طاش كبري زاده « أن التصانيف فيه كثيرة ، ولا أنفع ولا أجمع من تآليف الطوسي » . (انظر : طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ، جـ١ ، ص : ٣٠٩) .

السادس : في النبات ، وهو يبحث عن خصائص أنواع النبات وعجائبها وأشكالها ومنافعها ومضارها .

السابع : في الحيوان ، وهو يبحث عن خصائص أنواع الحيوانات وعجائبها ومنافعها ومضارها .

الثامن: في النفوس وقوتها، ويشتمل عليه كتاب «الحاس والمحسوس» لأرسطو .

أما فروع العلم الطبيعي عند الطوسي ، فهي سبعة أقسام :

١ - ***الطب*** : وهو يبحث في بدن الإنسان وأحواله من الصحة والمرض ، لحفظ الصحة وإزالة المرض .

٢ - ***في أحكام النجوم*** : وهو ينحصر في التعرف منه الاستدلال بالتشكلات الفلكية من أوضاعها ، وهي أوضاع الأفلاك والكواكب : من المقابلة والمقارنة والتثليث والتسديس والتربيع ، على الحوادث الواقعة في عالم الكون والفساد ، من أحوال الجو والمعادن والنبات والحيوان .

٣ - ***علم الفراسة*** : وهو علم يتعرف فيه أخلاق الإنسان من أحواله الظاهرة من الألوان والأشكال والأعضاء .

٤ - ***علم التعبير*** : وهو علم يتعرف منه المناسبة بين التخيلات النفسانية والأمور الغيبية ، لينتقل من الأولى إلى الثانية ، ليستدل بذلك على الأحوال النفسانية في الخارج ، أو على الأحوال الجارية في الآفاق .

٥ - ***علم الطلسمات*** : وهو مزج القوى السماوية بالقوى الأرضية ، ليحصل قوة هي مبدأ فعلٍ غريب في الأرض .

٦ - ***علم النيرنجات*** : وهو مزج قُوى الجواهر الأرضية ، ليحصل لها قوة يصدر عنها فعل غريب .

٧ - ***علم الكيمياء*** : وهو تبديل الأجرام المعدنية بعضها ببعض ، حتى يحصل الذهب والفضة وغيرهما .

ثانيًا : العلم الرياضي ... أصوله وفروعه[1] :

يرى الطوسي أن أصول العلم الرياضي تنقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : علم العدد ويسمى الأرثماطيقي ، وهو علم يتعرف فيه على أنواع العدد ، وأحوالها ، وكيفية تولد بعضها من بعض .

الثاني : علم الهندسة ، ويسمى الجومطريا ، وهو علم يعرف منه أحوال المقادير ولواحقها ، وأوضاع بعضها عند بعض ونسبتها ، وخصائص أشكالها .

الثالث : علم الهيئة ، وهو علم يُعرف منه أحوال الأجرام البسيطة ، العلوية والسفلية ، وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها .

الرابع : علم الموسيقى ، وهو علم يُعرف منه أحوال النغم والإيقاعات ، وكيفية تأليف اللحون وإيجاد الآلات الموسيقية .

وقد عرف الطوسي علم الموسيقى[2] بأنه يتألف من علمين[3] :

١ - علم التأليف ، وهو نسب الأصوات الواقعة في النغم المختلفة في الثقل والحدة - لا في الجهارة والخفاتة - على وجه تَقْبَلُه الطباع .

---

(١) انظر :- الطوسي : رسالة في أقسام الحكمة ، الصفحة الأولى والثانية .

وقارن :- طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ، جـ١ ، ص : ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٦٩ .

- ابن سينا : رسالة في أقسام العلوم العقلية ، ص : ١١١ ، ١١٢ .
- د.جعفر آل ياسين : فيلسوف عالم ، ص : ٩٦ - ٩٨ .

(٢) يرى زكريا يوسف أن هذا التعريف هو التعريف نفسه الذى جاء به من سبقه من المؤلفين الموسيقيين ، كالفارابي وابن سينا .

(انظر : الطوسي : رسالة في علم الموسيقى ، تحقيق : زكريا يوسف ، دار القلم ، القاهرة ، ١٩٦٤ . (مقدمة المحقق) ، ص : ٨) .

وقد سار ابن زيلة أيضًا في نفس الاتجاه لتعريف الموسيقى في كتابه « الكافي في الموسيقى » .

(انظر : ابن زيلة : الكافي في الموسيقى، تحقيق: زكريا يوسف؛ دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤م. ص : ١٧) .

(٣) الطوسي : رسالة في علم الموسيقى ، ص : ١٢ .

٢ - **علم الإيقاع**[١] : وهو النظام الواقع بين أزمنة السكونات المتخللة بين الفقرات والنغمات .

أما فروع العلم الرياضي عند الطوسي ، فهي ستة فروع :

- **من فروع علم العدد :**

١ - **علم الجمع والتفريق** : وهو ضمّ الأعداد أو الحدود الجبرية المتشابهة بعضها إلى بعض .

٢ - **علم الجبر والمقابلة** : وهو علم يتعرف منه كيفية استخراج المجهولات العددية بمعادلتها لمعلومات تخصها .

- **من فروع علم الهندسة :**

٣ - **علم المساحة** : وهو علم يتعرف منه مقادير الخطوط والسطوح والأجسام ، بما يقدرها من الخط والمربع والمكعب .

٤ - **علم جر الأثقال** : وهو علم يتبين منه كيفية اتخاذ الآلات النقلية بالقوة اليسيرة .

- **من فروع علم الهيئة :**

٥ - **علم الزيجات والتقاويم** : وهو علم يتعرف منه مقادير حركات الكواكب ، خاصةً السبعة السيارة وتقويم حركاتها ، وإخراج الطوالع ، وغير ذلك ، منتزعًا من الأصول الكلية .

---

(١) الإيقاع لغة : مصدر أوقع متعدي وقع ، من وقع الكلام أي تأثيره في النفس ؛ وعليه فإن التوزين الموسيقي هو صياغة الجُمل في اللحن حسب نقرات أي أجزاء زمنية معدودة في كل هواء (مازورة) ؛ أما الإيقاع فهو صياغة اللحن حسب أجزاء متناسبة من المفاصل الزمنية ، محدودة في كل ميزان .

(انظر : ميخائيل خليل الله ويردى : فلسفة الموسيقى الشرقية في أسرار الفن العربي ، مطبعة ابن زيدون ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٩٤٨م . ص : ٤٦٠) .

- **من فروع علم الموسيقى :**

٦ - علم الآلات الغريبة كالأرغل والعود والمزامير والقانون .

ثالثًا : العلم الإلهي ... أصوله وفروعه(١) :

يقسم الطوسي أصول العلم الإلهي إلى خمسة أقسام :

الأول : الأمور العامة مثل العلية والمعلولية .

الثاني : النظر في مبادىء العلوم الموضوعة تحته .

الثالث : في إثبات العلة الأولى ووحدانيته ، وما يليق بحاله عز وجل .

الرابع : في إثبات الجواهر الروحانية .

الخامس : في كيفية ارتباط الأمور المنفعلة الأرضية بالقوى الفعالية السماوية وكيفية نظام الممكنات واستنادها إلى المبدأ الأول .

أما فروع العلم الإلهي عند الطوسي ، فهي قسمان :

الأول : البحث عن كيفية الوحي ، وصيرورة العقل محسوسًا حتى يرى الشيء الملك ويسمع كلامه ، وتعريف الإلهامات ، وتعريف الروح الأمين .

الثاني : علم المعاد الروحاني، وأن الجسماني لا يستقل العقل بإدراكه وتحقيقه. ولذلك جاءت شريعة المصطفى الحقة بذلك ؛ وأما العقل ، فقد أثبت السعادة والشقاوة للنفوس البشرية بعد مفارقتها البدن .

علم المنطـق :

يرى الطوسي أن علم المنطق هو « آلة العلوم وخادمها »(٢) ؛ كما يشير إلى أن المنطق هو « فهم معان يمكن أن يتوصل بها إلى أنواع العلوم المكتسبة »(٣) . وقد

---

(١) انظر : الطوسي : رسالة في أقسام الحكمة ، الصفحة الثانية .

(٢) الطوسي : رسالة في أقسام الحكمة ، الصفحة الثانية .

(٣) الطوسي : أساس الاقتباس ، ترجمة : منلا خسرو ، تحقيق وتقديم ومراجعة : د. حسن محمود عبد اللطيف الشافعي ، د. محمد السعيد جمال الدين ، (طبع آلة كاتبة) ١٩٨٠ . ص : ٤٢ .

وضع الطوسي تصنيفًا منهجيًا لموضوعات المنطق على النحو التالي :

١ - إيساغوجي ومعناه المدخل من وضع فورفوريوس ، وهو ينصب في البحث على الكليات الخمس[١] .

٢ - قاطيغورياس أو المقولات ، وهو البحث عن المفردة الذاتية[٢] . وهذا البحث له أهميته من حيث « إن صناعة التحديد والتعريف ، واكتساب مقدمات القياسات بلا تصور المقولات التي هي الأجناس العالية وتمييز كل مقولة من المقولات الأخرى غير ممكن الحصول »[٣] .

٣ - باري إرمينياس أو العبارة ، وهو عبارة عن كيفية تركيب هذه المعاني حتى يحتمل التصديق والتكذيب[٤] .

٤ - أنا لوطيقا الأولى أو القياس ، وهو بيان كيفية تركيب القضايا بحيث يحصل العلم بالمجهول[٥] .

٥ - أنا لوطيقا الثانية أو البرهان .

٦ - السوفسطيقا أو المغالطة ، وهو يعنى « تبكيت المغالطين ، والتبكيت عبارة عن قياس ينتج نتيجة تناقض وضعًا »[٦] .

٧ - الخطابة أو الريطوريقا ، وهي « صناعة علمية يمكن معها إقناع الجمهور فيما يُراد أن يصدقوا به بقدر الإمكان . والإقناع هو التصديق الغالب بالشيء مع اعتقاد

---

(١) الطوسي : رسالة في أقسام الحكمة ، الصفحة الثانية .

(٢) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٣) الطوسي : أساس الاقتباس ، ص : ٤٢ .

(٤) الطوسي : رسالة في أقسام الحكمة ، الصفحة الثانية .

(٥) المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(٦) ابن مطهر الحلي : الجوهر النضيد في شرح منطق التجريد ، مخطوط جامعة القاهرة ، برقم (١٥٠٧٠) مجاميع . ص : ٢٣٢ .

أنه يمكن أن يكون له عناد وخلاف ، إلا أن النفس تصير بما تسمعه من هذا الفن أميلَ إلى التصديق به من عناده وخلافه »[1] .

٨ – الشعر أو البويوطيقا ، وهو صناعة « ما يقتدر معها على إيقاع تخيلات تصير مبادئ انفعالات نفسانية مطلوبة ؛ والشعر ليس بصناعة بل الصناعة هي التي يصدر عنها الشعر . فالشعر عبارة عن ملكة يُقتدر مع حصولها على إيقاع تخيلات يكون مبادئ انفعالات مخصوصة نفسانية مطلوبة »[2] .

وهنا لنا ملاحظة ، وهي أن الطوسي قد التزم التقسيم الثُماني السابق في رسالته « فصل في بيان أقسام الحكمة »[3] ، إلا أنه قد التزم أيضًا بالتقسيم التُساعي بإضافة الجدل أو الطوبيقا في كتابه « تجريد المنطق »[4] و « أساس الاقتباس »[5] . والتقسيم التساعي للمنطق من عمل ابن سينا في « الشفاء » ، وفي رسالته « في أقسام العلوم العقلية »[6] ؛ وهو تقسيم لم يكن ملتزمًا بصفة دائمة . فأرسطو لم يكن يَعُدُّ الخطابة ولا الشعر من الكتب المنطقية ، كما أن إيساغوجي إنما هو من عمل فورفوريوس الصوري[7] . وأما الفارابي ، فإنه يقسم المنطق إلى ثمانية أجزاء مستبعدًا مدخل فرفوريوس ومبتدئًا بالمقولات[8] .

---

(١) المرجع السابق ، ص : ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، ص : ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(٣) وعلى الرغم من ذلك فإن مُحَقِّقَيْ كتاب « أساس الاقتباس » يشيران في صفحة (ف) ، إلى أن الطوسي قد التزم بالتقسيم التساعي في رسالته « فصل في بيان أقسام الحكمة » ؛ كما هو متبع عند ابن سينا . ويبدو أنهما لم يطلعا على رسالة الطوسي . (انظر : الطوسي : أساس الاقتباس ، (مقدمة التحقيق) ، ص : ف) .

(٤) انظر : الحلي : الجوهر النضيد ، ص : ١٩٧ – ٢٣١ .

(٥) انظر : الطوسي : أساس الاقتباس ، ص : ف .

(٦) انظر : ابن سينا : رسالة في أقسام العلوم العقلية ، ص : ١١٦ – ١١٨ .

وقارن : د. أحمد عبد الحليم عطية : دراسات في تاريخ العلوم عند العرب ص : ٩٠ ، ٩١ .

(٧) انظر : د. محمد علي أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفي (أرسطو والمدارس المتأخرة) ، دار المعرفة الجامعية ، الطبعة الثالثة ، (بدون تاريخ) . ص : ٣٣ – ٣٥ .

(٨) انظر :– الفارابي : إحصاء العلوم ، ص : ٧٩ – ٨٩ .

– د. جعفر آل ياسين : فيلسوفان رائدان (الكندي والفارابي) ، دار الأندلس ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٣م . ص : ٩١ ، ٩٢ .

يتضح لنا من خلال العرض السابق لتصنيف العلوم عند الطوسي ، أن هذا التصنيف تنحصر أهميته فيما يلي :

١ - يقوم على وضع إطار معرفي عام لتصور واحد عن الوجود ، وأشكاله وأجزائه وعناصره .

٢ - يقدم تمييزًا للمعارف أو العلوم من حيث مراتبها وغايتها ، ولهذا أثره العلمي في إطار المعرفة العام .

٣ - ويقدم أيضًا لطلاب العلم ومحبي المعرفة تعريفًا بمختلف أنواع العلوم وغايتها ، مما يعمل على توسيع آفاق الإنسان المعرفية .

٤ - وكذلك يجعل المنطق أداةً ومنهجًا للوصول إلى الحقيقة .

منهج التحقيق النقدي

كانت خطوتنا الأولى هي استقصاء النسخ الخطية لرسالة الطوسي » ، لدراستها واختيار الأفضل من بينها للمقابلة واستخراج النص المحقق . لكننا لم نستطع الحصول إلا على مخطوطة وحيدة وفريدة .

وصف نسخة التحقيق :

النسخة محفوظة في مكتبة دار الكتب المصرية ، ضمن مجموعة برقم ٤٥٢ حكمة وفلسفة (ميكروفيلم ٤٥٧٣٧) . وقد كتبت بقلم سميك أسود ، وحالتها جيدة ؛ وتوجد بعض الكلمات المطموسة بها .

وتقع في ورقة واحدة (الورقة صفحتان) ، مكتوبة بخط نسخ عادي ، ومسطرة الصفحة الواحدة (١٨) سطرًا تقريبًا ، والسطر حوالى عشر كلمات .

والصفحة الأولى من المخطوطة تحمل عنوان الرسالة على النحو التالي : « فصل في بيان أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز » . وفي الصفحة الثانية والأخيرة من المخطوطة ، كتب الناسخ : « تمت الرسالة ، والله أعلم بالنصوص ، وإليه المرجع والمآب » ؛ (انظر الصورة) .

فصل في بيان اقسام الحكمة على سبيل الايجاز

من فوائد امام الائمة والفيلسوف الاعظم خواجه نصير الملة والدين الطوسي

الحكمة قسمان نظري وعملي فالعملي ثلثة اقسام علم الاخلاق وعلم المنزل و علم السياسة والنظري ثلثة اقسام طبيعي ورياضي والهي فالحكمة الطبيعية لها اصول وفروع اصولها ثمانية اقسام البحث عن الامور العامة للاجسام الطبيعية كالحركة والسكون والنهاية واللانهاية ثم في اركان العالم وحركاتها وطبائعها واماكنها الطبيعية ويشتمل عليه كتاب السماء والعالم ثم في الكون و الفساد ثم في الآثار العلوية وما يلحق للاجسام العنصرية قبل الامتزاج كالتخلخل والتكاثف ثم البحث في المعادن ثم النبات ثم الحيوان ثم في النفس وقواها ويشتمل عليه كتاب الحاس والمحسوس ثم فروع العلم الطبيعي سبعة اقسام الطب ثم احكام النجوم ثم علم الفراسة ثم علم التعبير ثم علم الطلسمات وهو مزج القوى السماوية بالقوى الارضية ليحصل قوة هي مبدأ فعل غريب في الارض ثم علم النيرنجات ومزج قوى الجواهر الارضية ليحصل لها قوة يصدر عنها فعل غريب ثم علم الكيمياء وهو تدبير الاجرام المعدنية بعضها ببعض حتى يحصل الذهب والفضة وغيرهما [illegible] له اصول وفروع اصوله اربعة اقسام علم العدد ثم علم [illegible] علم الهيئة ثم علم الموسيقى وفروعه ستة علم الجمع والتفريق علم الجبر [illegible] علم المساحة [illegible] التثقيل ثم علم النيرنجات

الصفحة الأولى من مخطوطة دار الكتب المصرية — ضمن مجموع ٤٥٢ حكمة وفلسفة

رسـالة
فصل في بيان أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز
للطـوسي

من فوائد الحبر الأعلم والفيلسوف الأعظم خواجة نصير الملة والدين الطوسي .

الحكمة قسمان : نظري وعملي ؛ فالعملي ثلاثة أقسام : علم الأخلاق ، وعلم تدبير[1] المنزل ، وعلم السياسة . والنظري ثلاثة أقسام : طبيعي ورياضي ، وإلهي .

فالحكمة الطبيعية لها أصول وفروع ، أصولها ثمانية أقسام :

الأول : البحث عن الأمور العامة للأجسام الطبيعية ، كالحركة والسكون ، والنهاية واللانهاية .

الثاني : في أركان العالم وحركاتها وطبائعها وأماكنها الطبيعية ، ويشتمل عليه كتاب « السماء والعالم »[2] .

الثالث : في الكون والفساد .

الرابع : في الآثار العلوية ، وما يلحق للأجسام العنصرية قبل الامتزاج كالتخلخل[3] والتكاثف[4] .

---

(١) إضافة غير موجودة في الأصل .

(٢) يقصد كتاب « السماء والعالم » لأرسطو ؛ وقد نشر بتحقيق د. عبد الرحمن بدوي .

(٣) التخلخل : اسم مشترك ، فيقال : تخلخل لحركة الجرم من مقدار إلى مقدار أكبر يلزمه أن يصير قوامه أرقّ مع وجود اتصاله ؛ ويُقال : تخلخل لكيفية هذا القوام ؛ ويقال : تخلخل لحركة أجزاء الجسم عن تفاوت بينهما إلى تباعد ، فيتخلخلها جرم أرق منها ؛ فهذه حركة في الواضع وأوّل في الكيف . ويُقال : تخلخل لهيئة وضع أجزاء على التخلخل ، ويعلم أنه مشترك يقع على أربعة معان مقابلة لتلك المعاني واحدمنها حركة في الكم ، والآخر كيفية ، والثالث حركة في الوضع ، والرابع وضع (ابن سينا : رسالة في الحدود (ضمن المصطلح الفلسفي عند العرب ، دراسة وتحقيق : د. عبدالأمير الأعسم) ؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٨٩ . ص : ٢٥٨) .

(٤) التكاثف : هو انتقاض أجزاء المركب من غير انفصال شيء . (الجرجاني : التعريفات ، تحقيق : إبراهيم الإبياري ؛ دار الكتاب العربي ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٥م . ص : ٩٠) .

الخامس : البحث في المعادن .

السادس : في النبات .

السابع : في الحيوان .

الثامن : في النفوس وقوتها ، ويشتمل عليه كتاب « الحاس والمحسوس »[1] .

فروع العلم الطبيعي سبعة أقسام :

ا – الطب .

ب – في أحكام النجوم .

ج – علم الفراسة[2] .

د – علم التعبير .

هـ – علم الطلسمات[3] : وهو مزج القوى السماوية بالقوى الأرضية ، ليحصل قوة هي مَبْدَأُ فعل غريب في الأرض .

و – في علم النيرنجات[4] ومزج قُوى الجواهر الأرضية ، ليحصل لها قوة يصدر عنها فعل غريب .

---

(١) يقصد كتاب « الحاس والمحسوس » لأرسطو ؛ وقد قام ابن رشد بتلخيص هذا الكتاب في ثلاث مقالات . وحققه د. عبد الرحمن بدوي . (انظر : د. عبد الرحمن بدوي : أرسطوطاليس في النفس ، وكالة المطبوعات – دار القلم ، الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٨٠م . ص : ١٩١ – ٢٣٩)

(٢) الفراسة : في اللغة : التثبت والنظر . وفي اصطلاح أهل الحقيقة : مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب . (الجرجاني : التعريفات ، ص : ٢١٢) .

(٣) الطلسم : عقد لا ينحل ؛ وقيل : هو مقلوب اسمه ؛ أعني : مسلط ، لأنه من جواهر القهر والتسلط . (طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ، جـ ١ ، ص : ٣١٦) .

(٤) النيرنجات : معرب نيرنك ، وهو التمويه والتخييل . (طاش كبري زاده : مفتاح السعادة ، جـ ١ ، ص : ٣٤١) .

ز - **في علم الكيمياء**[1] : وهو تبديل الأجرام المعدنية بعضها ببعض ، حتى يحصل الذهب والفضة[2] وغيرهما .

العلم[3] الرياضي له أصول وفروع ، أصوله أربعة أقسام :

الأول : علم العدد . **الثاني** : علم الهندسة .

الثالث : علم الهيئة . **الرابع** : علم الموسيقى .

وفروعه ستة :

ا - علم الجمع والتفريق .

ب - علم الجبر والمقابلة[4] .

ج - علم المساحة .

د - جر الثقيل .

هـ - علم الزيجات[5] والتقويم ، وهو من فروع الهيئة[6] .

---

(١) في الأصل : الكيماء . والكيمياء : لفظ عبراني معرب ، أصله « كيم يه » ؛ ومعنى ذلك : آية من الله . (طاش كبري : مفتاح السعادة ؛ جـ ١ ، ص : ٣١٧) .

(٢) غير واضحة في الأصل .

(٣) غير واضحة في الأصل .

(٤) معنى الجبر : زيادة قدر ما نقص في الجملة المعادلة ، بالاستثناء في الجملة الأخرى لتتعادلا . ومعنى المقابلة : إسقاط الزائد من إحدى الجملتين للتعادل . (طاش كبري : مفتاح السعادة ، جـ ١ ، ص : ٣٦٩) .

(٥) في الأصل : النيرنجات . الزيج : بالكسر وسكون الياء ، عند المنجمين اسم كتاب يثبتون فيه أحوال حركات الكواكب ونحو ذلك مما يعلم من المرصد ، وهو معرب « زيك » بالكاف الفارسية ، وهو حبل يجعلون نقش الأثواب مشابهًا لنقشه، وذلك قانون فاصل بنسج الملابس لمعرفة نسج الملابس المنقوشة، كما أن الزيج قانون للمنجم لمعرفة النقوش والأوضاع الفلكية والخطوط . وجداوله في الطول والعرض شبيهة بحبال ذلك الزيج في الطول والعرض التي يفتلونها معًا ، لأن كيفيات نقوش الثياب تتضح من تلك الحبال كما تظهر كميات حركات الكواكب من جداول الزيج .

(التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق : د. لطفي عبد البديع ، ترجم النصوص الفارسية د. عبد النعيم محمد حسنين . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢م . جـ٣ ، ص : ١٠٦ ، ١٠٧) .

(٦) في الأصل : الهندسة . يخطىء الناسخ في اعتبار علم الزيجات والتقاويم من فروع الهندسة ، والأصح أنهما من فروع الهيئة .

و - علم الآلات الغريبة ، كالأرغول[1] ونحوه ، وهو من فروع الموسيقى .

العلم الإلهي له أصول وفروع ، أصوله خمسة :

الأول : الأمور العامة مثل العلّية والمعلولية .

الثاني : النظر في مبادىء العلوم الموضوعة تحته .

الثالث : في إثبات العلة الأولى ، ووحدانيته ، وما يليق بحاله عزّ وجلّ .

الرابع : في إثبات الجواهر الروحانية .

الخامس : في كيفية ارتباط الأمور المنفعلة الأرضية بالقوى الفعالية السماوية ، وكيفية نظام الممكنات واستنادها إلى المبدأ الأول . وفروعه قسمان :

الأول : البحث عن كيفية الوحي ، وصيرورة العقل[2] محسوسًا حتى يرى الشيء الملك ويسمع كلامه ، وتعريف الإلهامات ، وتعريف الروح الأمين .

الثاني : علم المعاد الروحاني ، وأن الجُسماني لا يستقل العقل بإدراكه وتحقيقه وَسَّطَت الشريعة الحقة المصطفوية ذلك . أما العقل ، فقد أثبت سعادة وشقاوة للنفوس البشرية بعد مفارقتها البدن .

---

(١) في الأصل : كالأرغنون ، والأصح لغة أنْ يقال : الأرغول . الأرغول : مزمار ذو قصبتين مثقبتين إحداهما أطول من الأخرى .

(٢) في الأصل : العقول .

وأما علم المنطق فهو آلة العلوم وخادمها ، وله ثمانية[1] أقسام :

الأول : إيساغوجي ، ومعناه المدخل ، عمله فورفوريوس[2] ، وهو البحث عن الكليات الخمس .

الثاني : قاطيغورياس، وهو البحث عن المفردة الذاتية .

الثالث : بارى أرمينياس[3] ، وهى عبارة عن كيفية تركيب هذه المعاني حتى يحتمل التصديق والتكذيب .

الرابع : أنا لو طيقا[4] ، وهو بيان كيفية تركيب القضايا بحيث يحصل العلم بالمجهول .

الخامس : أنا لو طيقا[5] ، أي البرهان .

السادس : سوفسطيقا[6] ، أي المغالطة[7] .

---

(١) في الأصل : سبعة .

(٢) في الأصل : فرفوريوس . وفورفوريوس (٢٣٣ – ٣٠٥م) هو مليخوس السورى أشهر تلاميذ أفلوطين السكندري . ولد في مدينة صور بسورية . والتقى بأفلوطين في روما سنة ٢٦٣م فلزمه ، وقام بشرح بعض محاورات أفلاطون . كما شرح بعض كتب أرسطو ، وهي المقولات والأخلاق والطبيعة ووضع بعض الكتب أبرزها إيساغوجي أي المدخل ، إلى مقولات أرسطو . وبعد وفاة أفلوطين جمع فورفوريوس رسائله وكانت أربعا وخمسين ، وقدم لها بترجمة لحياة أفلوطين ووزعها على ستة أقسام ، كل قسم تسع رسائل ، فسميت بالتساعات .

(انظر : القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، (بدون تاريخ) ، ص ١٧٩ ، ١٧٠ . وانظر أيضًا : يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٥٣م . ص : ٢٩٨) .

(٣) في الأصل : باريو ميناس .

(٤) غير واضحة في الأصل .

(٥) في الأصل : أنور يطيقي .

(٦) في الأصل : سوفسطائيا .

(٧) في الأصل : المغالطى .

السابع : الخطابة .

الثامن : الشعر .

فجميع أقسام الحكمة ثلاثة[1] وأربعون قسمًا مع أقسام المنطق ، وإلا فخمسة وثلاثون قسمًا[2] .

(١) مطموسة في الأصل .

(٢) في نهاية المخطوط كتب الناسخ : تمت الرسالة ، والله أعلم بالنصوص ، وإليه المرجع والمآب .

طريقة جديدة في «تأصيل» النسخ الخطية
(أساس القواعد نموذجًا)

د. مصطفى موالدي*

طريقة جديدة في دراسة النسخ المخطوطة لأي كتاب ، تقوم على الاختلافات والفروق بينها ، وتُوصل بصورة علمية إلى فهم مراحل تطور كتابة النص ، وإثبات أو نفي وجود علاقة بين النسخ .

يسمون هذه الطريقة في الغرب « النواقص المهمة » ، ولم يسبق – على حد علم الباحث – أن طبقت على المخطوطات العربية .

وهي – بحق – طريقة علمية ، يمكن بوساطتها « تأصيل » النسخ ، تمهيدًا لإخراج نص أقرب ما يكون إلى الصورة التي وضعه صاحبه عليها .

« المجلة »

* وكيل معهد التراث العلمي العربي – جامعة حلب (سورية) ، حصل على الدكتوراه في تاريخ الرياضيات العربية بدرجة الشرف الأولى من جامعة السوربون الجديدة في عام ١٩٨٩م .

مخطوط « أساس القواعد في أصول الفوائد »[1] لكمال الدين الفارسي (توفي[2] في ٧١٨هـ / ١٣١٩م) هو شرح مخطوط « الفوائد البهائية في القواعد الحسابية » لعبد الله ابن محمد الخوام البغدادي (توفي بعد ٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) .

ومخطوط الفارسي له أهمية خاصة في تاريخ الرياضيات ، لأنه يعطينا فكرة دقيقة عن الرياضيات خلال القرن الثالث عشر للميلاد ، ويعد حلقة الوصل بين مدرسة الكرجي (القرنين ١٠ - ١١م) وجمشيد الكاشي (القرنين ١٤ - ١٥م) ، ويثبت أن علم الجبر العربي في تلك الفترة كان من العلوم المزدهرة .

ويتضمن المخطوط مقدمة ، وخمس مقالات تعالج الحساب والمعاملات وقوانين البيوعات ، وأنواع المساحات للسطوح والمجسمات . والمقالتان الأخيرتان حول الجبر .

ونجد في مقالة « المساحات » بابين : أحدهما حول مساحة أجرام الأجسام ، والآخر حول وزن الأرض بالإضافة إلى بعض الموضوعات الأخرى . وطريقة كمال الدين في الشرح هي أنه يثبت المتن - مسبوقًا بكلمة « قال » - ثم يتبعه بشرح رياضي أو لغوي لكل فقرة من فقراته - مسبوقًا بكلمة « أقول » .

عرف المؤرخون كمال الدين كعالم من علمائنا المبرزين في علم البصريات من خلال كتابه « تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر » ، ولكنه لم يُعرف كرياضي إلا منذ مدة قصيرة .

* * *

---

(١) حققت المخطوط ودرسته ضمن رسالتي للدكتوراه « جبر كمال الدين الفارسي » ، وتقدمت بها للجامعة السوربون الجديدة بباريس في عام ١٩٨٩م ، ونالت الرسالة درجة الشرف الأولى .

(٢) توفي في يوم الجمعة ١٩ ذي القعدة ٧١٨هـ الموافق ١٢ كانون الثاني ١٣١٩م عن عمر قدره ٥٣ سنة قمرية . واسمه الكامل : الحسن بن علي بن الحسن الفارسي .

لدى محققي المخطوطات اللاتينية واليونانية طريقة معروفة في دراسة تأريخ النص وتحقيقه ؛ تسمى « طريقة النواقص المهمة » ، وتقوم على دراسة نسخ المخطوط ، اعتمادًا على الاختلافات بينها دراسة علمية رقمية مقارنة ، سعيًا إلى فهم مراحل تطور كتابة النص ، وإثبات أو نفي وجود علاقة بينها .

وقد طبقتُ هذه الطريقة التي لا أعرف أحدًا طبقها على المخطوطات العربية على مخطوط « أساس القواعد ... » للفارسي . ومهّدت لها بدراسة تحليلية خارجية ، تتناول المعالم الرئيسة لنسخ الكتاب ، من حبر وورق وجلد وأبعاد وخطوط وتاريخ نسخ ، ومكان نسخ ، وترقيم ، وصفحتي عنوان وخاتمة .

أولًا : الدراسة التحليلية الخارجية

*** المخطوطات المستعملة :**

استخدمنا في التحقيق جميع النسخ المتوفرة في مكتبات العالم — حسب معرفتنا — من مخطوط الشرح « أساس القواعد .... » والبالغ عددها عشر نسخ . وزيادة في الدقة العلمية استعملنا كذلك في التحقيق نسخة واحدة من مخطوط النص المشروح «الفوائد البهائية....»، بالإضافة للعديد من نسخ النص المشروح للاستئناس فحسب .

(أ) مخطوطات الشرح : « أساس القواعد في أصول الفوائد » :

١ - مخطوط مكتبة أحمد الثالث - رقم ٣١٣٢ - إستانبول - تركيا (رقم ١١٦٥ ف معهد المخطوطات بالقاهرة)[1] .

هو في ٢٥٥ ورقة ، طول كلٍّ منها ٢٥ سنتيمترًا وعرضها ١٤ سنتيمترًا ، تقع بين

---

(١) فؤاد سيد ، *فهرس المخطوطات المصورة* ، الجزء الثالث - القسم الثالث - الرياضيات - معهد المخطوطات العربية - القاهرة - ١٩٦٠ - صفحة ٩ .

صفحتي (١ظ) و (٢٥٥و) . وكل صفحة تحتوي على ٢١ سطرًا . وكل سطر على ٩ كلمات وسطيًا .

النسخة غير مؤرخة ، ولعل تاريخ النسخ يعود للقرن التاسع للهجرة/ الخامس عشر للميلاد[١] .

أما الخط فنسخي . والأشكال والأحرف المستعملة في البراهين والجداول واضحة كل الوضوح ، والمخطوط خال من الهوامش . وسنشير إلى هذا المخطوط بحرف «ا» ، ونجد فيه ٥٠ صفحة – الظهر منها فقط – غير مقروءة . ولعل السبب في ذلك سوء التصوير .

أوله : « نحمد الله على نعمه الوافية الوافرة ومنحه المتوالية المتكاثرة ..... » .

وآخره : « ... الرابع من لم يعلم صعوبتها وتعسرها بالسؤال وجميعها غنية عن البيان » .

٢ – *مخطوط مكتبة أحمد الثالث – رقم ٣١٤٠ – إستانبول – تركيا (رقم ١٦٥ اف معهد المخطوطات بالقاهرة)*[٢] .

يقع في ١٨٠ ورقة ، طول كلٍّ منها ٥ر١٩ سنتيمترًا وعرضها ٥ر١٠ سنتيمترات ، وهو بين صفحتي (١ظ) و (١٨٠ظ) . وكل صفحة تحتوي على ٢٥ سطرًا ، وكل سطر على ٩ كلمات وسطيًا ، وتم إنجاز النسخ في منتصف شهر ذي الحجة ٧١٥هـ/ الخميس ١١ آذار ١٣١٦م ، أي في حياة المؤلف .

---

(١) فؤاد سيد ، *فهرس المخطوطات المصورة* ، الجزء الثالث – القسم الثالث – الرياضيات – معهد المخطوطات العربية – القاهرة – ١٩٦٠ – صفحة ٩ .

(٢) فؤاد سيد ، المرجع السابق ، صفحة ٩ .

الخط نسخي جميل حتى نهاية الصفحة ١٣١ظ . ومن الصفحة رقم (١٣٢و) يصبح الخط تعليقًا وأقل جمالًا . أما الأشكال والأحرف المستعملة في البراهين والجداول فواضحة كل الوضوح ، وقسم منها مكتوب بالحبر الأحمر .

وفي الهامش لَحَقٌ بخط ناسخها ، مع الاختصار المعروف « صح » ليبين أنه هو الذي استدرك مانُسي .

وسنشير إلى هذا المخطوط بحرف «ح» .

الصفحة (٤٠ظ) بيضاء . وفي الصفحتين (٦٣ظ) و (٦٤و) بقعة كبيرة تطمس القسم الأكبر من هاتين الصفحتين .

أوله : « نحمد الله على نعمه الوافية الوافرة ومنحه المتوالية المتكاثرة .... » .

وآخره : « .... الرابع إفحام من لم يعلم صعوبتها وتعسرها بالسؤال عنها وجميعها غنية عن البيان » .

٣ - *مخطوط مكتبة أحمد الثالث - رقم ٣١٥٥ - إستانبول - تركيا (رقم ١٦٦ اف معهد المخطوطات بالقاهرة)*[1] .

في ٩٤ ورقة طول كلٍّ منها ٤ر٢٠ سنتيمترًا وعرضها ١٦ سنتيمترًا ، يقع بين صفحتي (١ظ) و (٩٤ظ) . وكل صفحة تحتوي على ٢٧ سطرًا . وكل سطر على ١٨ كلمة وسطيًا .

النسخة غير مؤرخة ، ولعل تاريخ النسخ يعود للقرن الثامن للهجرة / القرن الرابع عشر للميلاد - حسب تقدير معهد المخطوطات بالقاهرة -.

---

(١) فؤاد سيد ، المرجع السابق ، صفحة ١٠ .

أما الخط فتعليق ونادر . الأشكال والأحرف المستعملة في البراهين والجداول واضحة كل الوضوح . وفي الهامش لَحَقٌ بخط ناسخها مع الاختصار المعروف « صح » . وسنشير إلى المخطوط بحرف «م» .

وفي الصفحة (٥ظ) طمس يغطي كلمة من كل سطر تقريبًا . وظهر الصفحة رقم ٨٩ غير مقروء .

في آخره مسألة رياضية تتعلق بموضوع الوصايا ، وهي المسألة نفسها التي نجدها في نهاية المخطوط ك .

أوله : « نحمد الله على نعمه الوافية الوافرة ومنحه المتوالية المتكاثرة .... » .

وآخره : « .... الرابع من لم يعلم صعوبتها وتعسرها بالسؤال عنها وجميعها غنية عن البيان » .

٤ - مخطوط مكتبة ملي رقم ١٣٠٧ - طهران - إيران :

في ٢٢١ ورقة (٤٤٢ صفحة - ترقيم مكتبة ملي -) يقع بين صفحتي ١ و٤٤٢ . وكل صفحة تحتوي على ٢٧ سطرًا . وكل سطر على ٧ كلمات وسطيًا . وتم إنجاز النسخ في يوم الأحد ٢٧ ربيع الأول ٧٢٩هـ/ ٢٩ - ١ - ١٣٢٩م .

الخط نسخي ، إذ إن الناسخ عارض نسخته بالأصل ، ويشير إلى ذلك في نهاية المخطوط . الأشكال والأحرف المستعملة في البراهين والجداول واضحة كل الوضوح . وسنشير إلى هذا المخطوط بحرف «ن» .

المخطوط مصنف باسم : كمال الدين حسين الأصفهاني . وهو مسبوق بأدعية وبعض الأبيات من الشعر لعروة بن الورد العبسي ، وفي آخره ثلاث صفحات تتضمن أشعارًا بالعربية والفارسية ، وصفحة من كتاب « العوارف » للسهروردي .

وعند قراءة مخطوط الفارسي « كتاب البصائر في علم المناظر » - نسخة مكتبة مدرسة سيهسالار رقم/ ٥٥٤/ والمنسوخة من قبل سمناني ، وجدنا أن خط المخطوط

هو خط « أساس القواعد ... » نفسه ، إذن نستنتج أن مخطوط مكتبة ملي نسخ من قبل حسين بن حسن شهنشاه سمناني .

أوله : « الحمد لله على نعمه الوافية الوافرة ومنحه المتوالية المتكاثرة .... » .

وآخره : « الرابع افحام من لم يعلم صعوبتها وتعسرها بالسؤال عنها وجميعها غنية عن البيان » .

٥ - *مخطوط مكتبة الوزير شهيد علي باشا - رقم ١٩٧٢ - إستانبول - تركيا* :

في ٢٧٥ ورقة ، طول كل منها ١٣ سنتيمترًا وعرضها ١٢ سنتيمترًا ، يقع بين صفحتي (١ظ) و (٢٧٥و) . وكل صفحة تحتوي على ٢١ سطرًا . وكل سطر على ١٠ كلمات وسطيًا .

النسخة غير مؤرخة ، ولعل تاريخ النسخ يعود للفترة الواقعة بين القرن التاسع - القرن العاشر للهجرة/ القرن الرابع عشر - الخامس عشر للميلاد[1] .

الخط نسخي ، ولا ينسخ الناسخ الأشكال تاركًا فراغًا مكانها ، وكتبت الحروف المستعملة في البراهين بحبر أحمر .

وليس في الهوامش شيء بغير خط كاتبها ، والموجود استدراكات في مواضع يسيرة لماسها عنه .

وسنشير إلى هذا المخطوط بحرف «و» .

أوله : « الحمد لله على نعمه الوافية الوافرة ومنحه المتوالية المتكاثرة .... » .

وآخره : « ... الرابع إفحام من لم يعلم صعوبتها وتعسرها بالسؤال عنها وجميعها غنية عن البيان » .

---

(١) رشدي راشد ، « نصوص لتأريخ الأعداد المتحابة وحساب التوافقات » - مجلة تاريخ العلوم العربية ، المجلد ٦ ، العددان ١ - ٢ ، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب - حلب - ١٩٨٢ ، صفحة ٢٧٠ .

٦ - مخطوط مكتبة الظاهرية رقم ٧٥٤٢ - دمشق - سورية[1] :

في ١١٥ ورقة ، طول كل منها ٢٨ سنتيمترًا وعرضها ٢٥ر١٩ سنتيمترًا . يقع بين صفحتي (٢و) و (١٠٩ظ) (ترقيم المكتبة الظاهرية) . كل صفحة تحتوي على ٢٧ سطرًا ، وكل سطر على ١١ كلمة وسطيًا .

الخط نسخي ، والأشكال والجداول مرسومة بالحبر الأحمر .

في الهامش لحق لاستدراك مانسي نسخه وبعض التعليقات ، علمًا بأن عرض الهامش ٥ سنتيمترات .

وسنشير إلى هذا المخطوط بحرف «ظ» .

الترقيم - لسوء الحظ - لا يتوافق مع مضمون النص . وينقص النص مايقارب ٢٢ ورقة أي خمس النص . لذا رتبت الأوراق مع الإشارة إلى مواطن النقص ، وأرفق الجدول الذي يوضح ترتيب النص ومواطنه ، وكذلك تقدير عدد الأوراق الناقصة .

والمخطوط حسب تصنيف المكتبة الظاهرة « مجهول المؤلف والعنوان » !

(٢)

الترقيم الجديد	ترقيم المكتبة الظاهرية	
نقص ≈ ٧ ورقات	نقص ≈ ٧ ورقات	
١	٢	*
نقص ورقة واحدة	نقص ورقة واحدة	
٢	١	*
٣	٣	
.	.	
.	.	
.	.	
.	.	
.	.	
٩	٩	
نقص ورقة واحدة	نقص ورقة واحدة	
١٠	١٠	
١١	١٥	*
١٢	١٦	*

الترقيم الجديد	ترقيم المكتبة الظاهرية	
١٣	١٧	*
١٤	١٨	*
١٥	١١	*
١٦	١٢	*
١٧	١٣	*
١٨	١٤	*
١٩	١٩	
١٠٩	١١٠	*
١١٠	١١١	*
١١١	١١٢	*
١١٢	١١٣	*
١١٣	١١٤	*
١١٤	١١٥	*
١١٥	١٠٩	*

(١) محمد صلاح عايدي ، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية ، الرياضيات . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - ١٩٧٣ - الصفحتان ١١٤ - ١١٥ . *ترقيم غير مرتب .

٧ - *مخطوط مكتبة خدابخش بتنه*[١] - رقم ٢٠١٢ - *الهند* (رقم ٣١٢١ ف معهد المخطوطات بالقاهرة)[٢] :

في ٩٦ ورقة ؛ طول كلٍّ منها ٢١ سنتيمترًا وعرضها ١٢ سنتيمترًا . يقع بين صفحتي (١ظ) و (٩٦ظ) ، وكل صفحة تحتوي على ٢١ سطرًا ، وكل سطر على ١٤ كلمة وسطيًا .

وقد تم إنجاز النسخ في أواخر ذي الحجة ٨٩١هـ/ نهاية كانون الأول ١٤٨٦م من قبل عبد العلي بن محمد بن حسين البرجندي .

أما الخط ففارسي وجميل . والأشكال والأحرف المستعملة في البراهين وخطوط الجداول وأغلب العناوين بحبر أحمر .

وتدل الهوامش على أن الناسخ قد عارضها بالأصل بعناية ، وكثيرًا ما كان ينقل عبارة أقليدس في الهامش حين يشير الفارسي إليها دون أن ينقل نصها .

وسنشير إلى هذا المخطوط بحرف «خ» .

الترقيم - لسوء الحظ - لا يتوافق مع مضمون النص . والنص ينقص ما يقارب ٨٥ - ٨٦ ورقة ، أي نصف النص !

لذا رتبت الأوراق مع الإشارة إلى مواطن النقص . وأرفق الجدول الذي يوضح ترتيب النص ومواطن النقص وكذلك تقدير عدد الأوراق الناقصة .

نجد بدءًا من الورقة رقم ٩٧ نصًا آخر للفارسي بعنوان : « تذكرة الأحباب في بيان التحاب » ، وينقص هذا النص بدايته .

يذكر حاجي خليفة تحت عنوان « الفوائد البهائية لابن الخوام » أن البرجندي

---

(١) رشدي راشد ، المرجع السابق ، الصفحة ٢٧١ .
(٢) فؤاد سيد ، المرجع السابق ، الصفحة ٩ .

شرح الكتاب في أواخر ذي الحجة ٨٩١ أي في التاريخ نفسه المدون على هذه النسخة ، وبعد قراءة الهوامش على تلك النسخة نستنتج أن البرجندي قد نسخ نص الفارسي ولم يشرح نص ابن الخوام البغدادي .

أوله : « الحمد لله على نعمه الوافية الوافرة ومنحه المتوالية المتكاثرة ... » .

وآخره : « وهو عدد الحاصل والجنس هو المال لأن الشيء في الشيء » .

الترقيم الجديد[1]	ترقيم مكتبة خدابخش[2]	
١	١	
.	.	
.	.	
.	.	
.	.	
٧	٧	
٨	٩	*
٩	١٠	*
١٠	٨	*
١١	١٣	*
١٢	١١	*
١٣	١٢	*
١٤	١٤	
.	.	
.	.	
.	.	
.	.	
٧١	٧١	
٧٢	٧٣	*
٧٣	٧٢	*
٧٤	٧٤	
٧٥	٧٥	

الترقيم الجديد[1]	ترقيم المكتبة خدابخش[2]	
٧٦	٧٧	*
٧٧	٧٦	*
٧٨	٧٨	
٧٩	٧٩	
٨٠	٨٠	
نقص ≈ ٣٣-٣٤ ورقة	نقص ≈ ٣٣-٣٤ ورقة	
٨١	٨١	
.	.	
.	.	
.	.	
.	.	
٩٥	٩٥	
نقص ≈ ٣١-٣٢ ورقة	نقص ≈ ٣١-٣٢ ورقة	
٩٦	٩٦	
نقص ≈ ٢١-٢٢ ورقة	نقص ≈ ٢١-٢٢ ورقة	
	كتاب آخر للفارسي[3]	
٩٧	٩٧	
.	.	
.	.	
.	.	
.	.	
١٠٢	١٠٢	

(١) استعملنا في التحقيق الترقيم الجديد الذي قمنا باعداده .

(٢) كتبت بالأرقام العربية (المستعملة في الغرب 1,2,3,...) وبخط مغاير لخط الناسخ .

(٣) كتاب « تذكرة الأحباب في بيان التحاب » .

* ترقيم غير مرتب .

٨ - مخطوط مكتبة آستان قدس رضوي - رقم ٥٦٤١ - مشهد - إيران .

في ١١٦ ورقة ، طول كلٍّ منها ٢٧ سنتيمترًا وعرضها ١٨٫٥ سنتيمترًا[1] يقع بين صفحتي (١ظ) و (١١٦ظ) ، وطول المساحة المكتوبة ١٩ سنتيمترًا وعرضها ١٢ سنتيمترًا ، وكل صفحة تحتوي على ٢٥ سطرًا ، وكل سطر على ١٦ كلمة وسطيًا .

أما الخط ففارسي ، وقد تم إنجاز النسخ في صفر ٨٧٢هـ/أيلول ١٤٦٧م . الورق اصفهاني مُنَشّى ، ولا ينسخ الناسخ الأشكال والجداول تاركًا فراغًا مكانها ، وكتبت الحروف المستعملة في البراهين والعناوين بحبر أحمر . وليس في هوامش المخطوط شيء بغير خط كاتبها ، وهي استدراكات في مواضع يسيرة لِماسها عنه .

الغلاف جلد لونه أحمر خمري ، اشترت المكتبة المخطوط في آذار ١٣٢٤ (حسب التقويم الإيراني) .

ارتكب الناسخ أخطاء إملائية كثيرة ، واستبدل كلمة بأخرى وأهمل نسخ كلمات كثيرة .

وسنشير إلى المخطوط بحرف «د» .

أوله : « نحمده على نعمائه الوافية الوافرة ومنحه المتوالية المتكاثرة ... » .

آخره : « الرابع انجام (كذا) من لم يعلم صعوبتها وتعسرها بالسؤال عنها ، وجميعها غنية عن البيان » .

٩ - مخطوط[1] مكتبة آستان قدس رضوي - رقم ٥٥٧٨ - مشهد - إيران .

في ١١٨ ورقة ، طول كلٍّ منها ٢٧٫٢ سنتيمترًا وعرضها ١٨٫٧ سنتيمترًا ،

---

(1) MAᶜANĪ ('A.G.), **Catalogue des Manuscrits de la Bibliothéque de Astan Quds Radwy**, Vol. 8, Mashad, 1350, pp. 22-23, 338-339.

يقع بين صفحتي (١ظ) و (١١٨و) ، وطول المساحة المكتوبة ٧ر١٧ سنتيمترًا وعرضها ٣ر١١ سنتيمترًا ، وكل صفحة تحتوي على ٢٥ – ٢٧ سطرًا ، وكل سطر على ١٤ كلمة وسطيًا .

أما الخط فهو نستعليق ، وقد تم إنجاز النسخ في بداية رجب ٨٤٨هـ/ منتصف شهر تشرين الأول ١٤٤٤م .

كتبت الأشكال والأحرف والحروف المستعملة في البراهين بحبر أحمر . وليس في هوامش المخطوط شيء بغير خط كاتبه ، وهي استداركات في مواضع يسيرة لما سها عنه .

وسنشير إلى هذا المخطوط بحرف «ق» .

أوله : « الحمد لله على نعمه الوافية الوافرة ومنحه المتوالية المتكاثرة .... » .

آخره : « الرابع إفحام من لم يعلم صعوبتها وتعسرها بالسؤال عنها ، وجميعها غنية عن البيان .... » .

١٠ – مخطوط مكتبة كوبرولو رقم ١ر٩٤١ – إستانبول – تركيا :

في ١٣٠ ورقة ، طول كلٍّ منها ٢٤ سنتيمترًا وعرضها ١٧ سنتيمترًا[١] ، يقع بين صفحتي (١ظ) و (١٣٠و) ، وطول المساحة المكتوبة ١٧ سنتيمترًا وعرضها ٥ر١٠ سنتيمترات ، وتحتوي كل صفحة على ٢٥ سطرًا ، وكل سطر على ١٦ كلمة وسطيًا .

وقد تم إنجاز النسخ في يوم الخميس ١١ رجب ٧٣٧هـ/ ١٣ شباط ١٣٣٧م[٢] في بغداد . أما الخط فهو نسخي .

---

(١) رمضان ششن وايزكي وآقپكار ، ***فهرس مخطوطات مكتبة كوبريلي*** ، المجلد الأول ، منظمة المؤتمر الإسلامي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إستانبول – ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م ، الصفحتان ٤٧٦ – ٤٧٧ .

(٢) رشدي راشد ، المرجع السابق ، الصفحتان ٢٧٢ – ٢٧٣ .

كتبت الأشكال وخطوط الجداول وأرقام الأشكال ، وكذلك بعض الكلمات في النص بحبر أحمر . وفي هامش المخطوط لحق بخط ناسخها مع الاختصار المعروف « صح » . ونلاحظ أن الناسخ كثيرًا ما كان ينقل عبارة أقليدس في الهامش حين يشير الفارسي إليها دون أن ينقل نصها ، وكذلك تدل هوامش المخطوط على أن الناسخ قد عارضها بالأصل بعناية ، مثلًا في الصفحتين (٩٣و) و (١٠٥و) نجد في الهامش ملاحظات مثيرة للاهتمام .

وسنشير إلى هذا المخطوط بحرف «ك» .

في نهاية المخطوط مسألة رياضية تتعلق بموضوع الوصايا ، وهي المسألة نفسها التي نجدها في نهاية المخطوط م .

أوله : « نحمد الله على نعمه الوافية الوافرة ومنحه المتوالية المتكاثرة .... » .

آخره : « الرابع إفحام من لم يعلم صعوبتها وتعسرها بالسؤال عنها وجميعها غنية عن البيان » .

(ب) *مخطوط النص المشروح : « الفوائد البهائية في القواعد الحسابية »* .

مخطوط المكتبة البريطانية – شرقيات رقم ٥٦١٥ .

مخطوط « الفوائد البهائية ... » هو الجزء الأول من المجموع رقم ٥٦١٥ في المكتبة البريطانية .

وهو في ٤٥ ورقة ، يقع بين صفحتي (٢و) و (٤٤ظ) ، وكل صفحة تحتوي على ١٧ سطرا ، وكل سطر على ٩ كلمات وسطيًا . وقد تم إنجاز النسخ في يوم الاثنين ١٨ ربيع الأول ٧٢١هـ/ ٢٤ تموز ١٣١٢م .

يذكر الناسخ أنه كتب نسخته من نسخة بخط المصنف منجزة في العشر الأوسط من شعبان ٦٧٥هـ/ كانون الثاني ١٢٧٧م .

يتألف المخطوط من خمس مقالات وتنقص المقالة الأولى من أولها . وسنشير إلى هذا المخطوط بحرف «ف» .

ثانيًا : الدراسة الموضوعية الداخلية

سوف نحتاج لبعض المصطلحات المستخدمة في تسجيل الاختلافات بين النسخ . وفيما يلي المصطلحات[1] وتعريفها .

* ***الاختلافات « النواقص »*** : وهي اختلافات لا دخل لإرادة الناسخ وتفكيره فيها :

١ – النواقص المهمة : وهي الجمل التي تتضمن أكثر من كلمتين .

٢ – نقص كلمات : نقص كلمة أو كلمتين .

٣ – نقص أحرف : نقص أحرف الأشكال الهندسية أو الأحرف الخاصة بالبراهين الرياضية أو غيره .

٤ – أخطاء : كتابة كلمة بدلًا من كلمة أخرى ، وهي نتيجة القراءة الخاطئة أو جهل الناسخ .

* ***الاختلافات « الإضافات »*** : وهي اختلافات ناتجة عن تدخل الناسخ متعمدًا :

١ – الإضافات المهمة : وهي عكس النواقص المهمة .

٢ – إضافات أقل أهمية : وهي ناتجة عن تدخل الناسخ المتواضع والمحدد بكلمة أو بكلمتين .

٣ – فروقات : إضافة كلمات أو مفاهيم صحيحة ، ولكنها مختلفة عن نسخة الأصل .

٤ – انعكاس : انعكاس ترتيب كلمات أو حروف .

٥ – الخط : أخطاء إملائية .

---

(1) MOGENET (J.), **Autolycus de pitane**, 3e série, Fascicule 37, Bibliothéque de l'Université et publications Universitaires de Louvain, Louvain, 1950, pp. 60-62.

وبهدف تسجيل الاختلافات بين النسخ واختصارًا للجهد والوقت قمنا بدراسة مقارنة كمية بين محتويات النسخ العشر من المخطوطات المستعملة ، ومن ثَم اخترنا مخطوط الوزير شهيد علي باشا رقم ١٩٧٢ - والمرموز له بالرمز «و» كنص أساسي للمقارنة لأنه يحتوي على أكبر عدد من الكلمات لتسهيل تسجيل النواقص التي تتكرر عادة أكثر من الإضافات . وهدف هذا الاختيار تسجيل الاختلافات بين المخطوطات فقط ، ومن ثَم تصنيفها ، وليس الهدف إثبات النص مباشرة .

طريقة النواقص المهمة :

بعد تسجيل الاختلافات بين النسخ نبحث عن علاقة كل نسخة مع النسخ الأخرى ، وذلك اعتمادًا على طريقة « النواقص المهمة » التي ترتكز على المبادئ[1] العامة التالية :

١ - النسخة التي تتضمن نواقص مهمة وهذه النواقص لا توجد في أية نسخة أخرى لا يمكننا اعتبارها أصلًا وحيدًا لأية نسخة أخرى .

٢ - إذا كان هناك جملة ناقصة في إحدى النسخ ، وهذه النسخة تعتبر نسخة من نسخ عائلة واحدة ، وجب أن تكون تلك الجملة ناقصة في جميع نسخ تلك العائلة .

٣ - النسخ التي ينقصها جمل ، وهذه الجمل ناقصة من نسخ تنتمي إلى عائلات

---

(1) ALLARD (A.), **Cours d'Histoire des Textes**, à l'Université de paris VII, l'Année Scolaire 1985 - 1986, (Inédit) .

أو مجموعات مختلفة ، يجب اعتبارها نسخًا كتبت أو نسخت من عدة أصول في نفس الوقت أو بالتتالي .

ولتطبيق الطريقة على النسخ العشر لمخطوطنا نتبع المخطط التالي :

١ – جـــدول :

– يتضمن السطر الأول عدد النواقص المشتركة بين النسخة المدروسة (الأب) والنسخ المقارنة (الأبناء) .

– يتضمن السطر الثاني عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة بالنسبة للنسخ المقارنة الأخرى ، هذا السطر يجب أن يكون صفرًا [إذا كان هناك علاقة بين النسخة المدروسة (الأب) والنسخ المقارنة (الأبناء)] .

– يتضمن السطر الثالث عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة بالنسبة للنسخة المدروسة .

– يتضمن السطر الرابع عدد النواقص الكلي للنسخة المدروسة .

يتضمن السطر الخامس عدد النواقص الكلي للنسخ المقارنة .

يتضمن السطر السادس القرار المتضمن العلاقة بين النسخة المدروسة والنسخ المقارنة .

٢ – تعليق على الجـــدول .

٣ – صفات النسخة المدروسة .

وفيما يلي دراسة لنسخ مخطوطنا :

١ - مخطوط مكتبة أحمد الثالث - رقم ٣١٣٢ - رمز النسخة : ا .

* الجـدول :

١ عدد النواقص المشتـركـة	ا + ح ١٧	ا + م ١٢	ا + ن ٧	ا + د ٩	ا + ق ١٠	ا + ك ٨	ا + ظ * ٧	ا + خ * ٤
٢ عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة	ا ٥٢	ا ٥٧	ا ٦٢	ا ٦٠	ا ٥٩	ا ٦١	ا* ٥٤	ا* ٢٤
٣ عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة	ح ٩٨	م ١٢	ن ٧٣	د ٢٠٥	ق ٥٨	ك ٣	ظ* ٧٨	خ* ١٧
١ + ٢	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩	٦٩	٦١*	٢٨*
١ + ٣	١١٥	٢٤	٨٠	٢١٤	٦٨	١١	٨٥*	٢١*
العـلاقـة	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد

* تعليق على الجدول :

لايمكننا اعتبار نسخة ا أصلًا لأية نسخة أخرى .

* صفات النسخة :

نجد في هذه النسخة جميع أنواع الاختلافات ، ولكنها ليست كثيرة ، ولانجد أي تعليق أو ملاحظة في الهامش . لذا يبدو لنا أن الناسخ لم يقابل نسخته على النسخة التي نسخ عنها . ولهذا السبب نجد عددًا كبيرًا من النواقص المهمة تتمثل عادة بنقص جزء من الجملة الناتج عن تجاوز سطر .

* يمثل عدد النواقص الخاص بالقسم الموجود بالنسبة للنسخة الأخرى .

نلاحظ أيضًا في هذه النسخة عادة عبارة بدء شرح الفارسي « أقول » بعكس النسخ الأخرى التي لاتتضمن هذا التعبير دائمًا ، والذي يعتبر ضروريًا لتمييز عبارات الفارسي عن عبارات ابن الخوام البغدادي .

٢ - مخطوط مكتبة أحمد الثالث - رقم ٣١٤٠ - رمز النسخة : ح .

*** الجـــدول :**

١ عدد النواقص المشتركة	ح + ا ١٧	ح + م ٨	ح + ن ٦٥	ح + د ٧١	ح + ق ٨	ح + ك ٦	ح + ظ * ٧	ح + خ * ٨
٢ عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة	ح ٩٨	ح ١٠٧	ح ٥٠	ح ٤٤	ح ١٠٧	ح ١٠٩	ح* ٥٧	ح* ٨
٣ عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة	ا ٥٢	م ١٦	ن ١٥	د ١٤٣	ق ٦٠	ك ٥	ظ* ٧٨	خ* ١٣
١ + ٢	١١٥	١١٥	١١٥	١١٥	١١٥	١١٥	*٦٤	*١٦
١ + ٣	٦٩	٢٤	٨٠	٢١٤	٦٨	١١	*٨٥	*٢١
العلاقـة	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد

*** تعليق :**

لايمكننا اعتبار «ح» أصلًا لأية نسخة أخرى ، ولكن يبدو أن هناك علاقة غير مباشرة بينها وكل من نسخة «د» ونسخة «ن» بسبب ارتفاع عدد النواقص المشتركة .

*** صفات النسخة :**

– لا يكتب الناسخ إلا جزءًا من عبارات ابن الخوام البغدادي ، ومن ثم يكتب « الخ » مثل «د» و «ن» . وهذا ما يؤكد تعليقنا على الجدول .

– يرسم الناسخ دائمًا خطًا أفقيًا فوق الأرقام والأحرف ؛ يكتب مثلا : $\overline{٤٥}$ ، اب .

– في النسخة جميع أنواع الاختلافات ، ويبدو أن الناسخ عارضها بالأصل بسبب وجود الإضافات في الهامش .

٣ – مخطوط مكتبة أحمد الثالث ، رقم ٣١٥٥ ، رمز النسخة : م .

*** الجـدول :**

١ عدد النواقص المشتركة	م + ا ١٢	م + ح ٨	م + ن ٧	م + د ٤	م + ق ١١	م + ك ١٠	م + ظ * ٩	م + خ * ٦
٢ عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة	م ١٢	م ١٦	م ١٧	م ٢٠	م ١٣	م ١٤	م* ١١	م* ٤
٣ عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة	ا ٥٧	ح ١٠٧	ن ٧٣	د ٢١٠	ق ٥٧	ك ١	ظ* ٧٦	خ* ١٥
١ + ٢	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	٢٤	*٢٠	*١٠
١ + ٣	٦٩	١١٥	٨٠	٢١٤	٦٨	١١	*٨٥	*٢١
العلاقـة	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد

* **تعليق :**

لايمكننا اعتبار نسخة «م» أصلًا لأية نسخة أخرى ، ولكن يبدو أن هناك علاقة غير مباشرة بين «م» و «ك» ، أي أن «م» و «ك» لهما الأصل نفسه .

* **صفات النسخة :**

نجد في هذه النسخة جميع أنواع الاختلافات ، ولكنها ليست كثيرة ، ويبدو أن الناسخ قد عارض نسخته بالأصل .

* **مخطوط مكتبة ملي - رقم ١٣٠٧ - رمز النسخة : ن .**

* **الجـــدول :**

١ عدد النواقص المشتركة	ن + ا	ن + ح	ن + م	ن + د	ن + ق	ن + ك	ن + ظ *	ن + خ *
	٧	٦٥	٧	٧٣	٦	٥	٥	٤
٢ عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة	ن ٧٣	ن ١٥	ن ٧٣	ن ٧	ن ٧٤	ن ٧٥	ن* ٢٦	ن* ٢
٣ عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة	ا ٦٢	ح ٥٠	م ١٧	د ١٤١	ق ٦٢	ك ٦	ظ* ٨٠	خ* ١٧
١ + ٢	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	٨٠	*٣١	*٦
١ + ٣	٦٩	١١٥	٢٤	٢١٤	٦٨	١١	*٨٥	*٢١
العلاقة	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد

* **تعـليق :**

لايمكننا اعتبار «ن» أصلًا لنسخة أخرى ، ويبدو أن هناك علاقة غير مباشرة بينها وكل من «ح» و «د» بسبب ارتفاع عدد النواقص المشتركة .

* **صفات النسخة :**

–لا يكتب الناسخ إلا جزءًا من عبارات ابن الخوام البغدادي، مثلما في نسختي «ح» و «د».

– يكتب الناسخ دائمًا « ثلاثة » كالكتابة الحالية بدلًا من « ثلثه » ، ولكنه يقع في الخطأ أحيانًا ، لأنه من الناحية الرياضية قد يجب المحافظة على الكتابة ثلثه التي تعادل : $\frac{١}{٣}$ (مقدار ما) ، وليس ٣ .

– نجد جميع أنواع الاختلافات. دوّن الناسخ في هوامش الصفحات: ١٧، ٥٧، ١١٧، ٢١٧ ، ٣١٧ ، ٣٣٧ ، ٣٧٧ . وفي صفحة الخاتمة ، أنه قد عارض نسخته بالأصل .

٥ – مخطوط مكتبة آستان قدس رضوي – رقم ٥٦٤١ – رمز النسخة: د.

* **الجـــدول :**

	د + ا	د + ح	د + م	د + ن	د + ق	د + ك	د + ظ *	د + خ *
١ عدد النواقص المشتركة	٩	٧١	٤	٧٣	٦	٣	٥	٥
٢ عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة	د ٢٠٥	د ١٤٣	د ٢١٠	د ١٤١	د ٢٠٨	د ٢١١	د* ١٤٣	د* ٧٧
٣ عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة	ا ٦٠	ح ٤٤	م ٢٠	ن ٧	ق ٦٢	ك ٨	ظ* ٨٠	خ* ١٦
١ + ٢	٢١٤	٢١٤	٢١٤	٢١٤	٢١٤	٢١٤	*١٤٨	*٨٢
١ + ٣	٦٩	١١٥	٢٤	٨٠	٦٨	١١	*٨٥	*٢١
العلاقـة	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد

*** تعـليق :**

لايمكننا اعتبار «د» أصلًا لنسخة أخرى ، ويبدو أن هناك علاقة غير مباشرة بينها وكل من «ح» و «ن» بسبب ارتفاع عدد النواقص المشتركة .

*** صفات النسخة :**

نجد فيها عددًا كبيرًا جدًا من الاختلافات من كل الأنواع ، وخاصة من نوع : النواقص المهمة . وهي من أسوأ النسخ .

٦ - مخطوط مكتبة آستان قدس رضوي - رقم ٥٥٧٨ - رمز النسخة: ق.

*** الجـــدول :**

١ عدد النواقص المشتركة	ق + ا ١٠	ق + ح ٨	ق + م ١١	ق + ن ٦	ق + د ٦	ق + ك ٧	ق + ظ * ٨	ق + خ * ٦
٢ عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة	ق ٥٨	ق ٦٠	ق ٥٧	ق ٦٢	ق ٦٢	ق ٦١	ق* ٥٤	ق* ٢٠
٣ عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة	ا ٥٩	ح ١٠٧	م ١٣	ن ٧٤	د ٢٠٨	ك ٤	ظ* ٧٧	خ* ١٥
١ + ٢	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨	٦٨	*٦٢	*٢٦
١ + ٣	٦٩	١١٥	٢٤	٨٠	٢١٤	١١	*٨٥	*٢١
العلاقـة	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد

*** تعـليق :**

لايمكننا اعتبار نسخة «ق» أصلًا لأية نسخة من النسخ الأخرى .

*** صفات النسخة :**

في النسخة جميع أنواع الاختلافات، ويكتب الناسخ عادة كلمة «متن» بدلًا من كلمة«قال»، ويكتب«ش»-الحرف الأول من كلمة«شرح»-بدلًا من كلمة«أقول» .

ويستعمل أكثر من أصل لكتابة نسخته ، وذلك لأنه دوّن رواية أخرى في هامش الصفحة(٦٣ و) ، وسبقها بعبارة « في نسخة أخرى » .

٧ - مخطوط مكتبة كوبرولو رقم ١ر٩٤١ - رمز النسخة : ك .

*** الجـــدول :**

١ عدد النواقص المشتركة	ك + ا ٨	ك + ح ٦	ك + م ١٠	ك + ن ٥	ك + د ٣	ك + ق ٧	ك + ظ* ٩	ق + خ* ٣
٢ عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة	ك ٣	ك ٥	ك ١	ك ٦	ك ٨	ك ٤	ك* ٠	ك* ٢
٣ عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة	ا ٦١	ح ١٠٩	م ١٤	ن ٧٥	د ٢١١	ق ٦١	ظ* ٧٦	خ* ١٨
١ + ٢	١١	١١	١١	١١	١١	١١	٩*	٥*
١ + ٣	٦٩	١١٥	٢٤	٨٠	٢١٤	٦٨	٨٥*	٢١*
العلاقـة	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد

*** تعـليق :**

يمكننا اعتبار نسخة «ك» أصلًا لـ«ظ» ، وهناك علاقة قوية بين «ك» و «م» ، ولكننا لا نستطيع اعتبار «ك» أصلًا لـ «م» بسبب وجود نقص مهم في «ك» غير موجود في «م» ، والنقص المذكور غير معلل ، إذن «م» و «ك» لهما أصل واحد .

* **صفات النسخة :**

في النسخة جميع أنواع الاختلافات ، ولكنها قليلة العدد ، ونجد في الهامش تعليقات رياضية كثيرة .

يدون الناسخ في هامش الصفحة (١٠٥و) أنه نسخ الجدول من نسخة المؤلف نفسه . وبالمقابل يسجل في هامش الصفحة (١٤و) رواية أخرى لجملة يسبقها بالعبارة «في نسخ أخرى » .

السؤال الذي يمكن أن يثار :

لماذا يبحث الناسخ عن روايات أخرى ، إذا كان ينسخ من نسخة المؤلف ؟ علمًا بأن الحاشيتين قد كتبتا بيد الناسخ نفسه ، ألديه الشك المنهجي ؟

٨ - مخطوط المكتبة الظاهرية - رقم ٧٥٤٢ - رمز النسخة : ظ .

* **الجـــدول :**

	ظ + ا	ظ + ح	ظ + م	ظ + ن	ظ + د	ظ + ق	ظ + ك	ظ + خ
١ عدد النواقص المشتركة	٧	٧	٩	٥	٥	٨	٩	٤
٢ عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة	ظ ٧٨	ظ ٧٨	ظ ٧٦	ظ ٨٠	ظ ٨٠	ظ ٧٧	ظ ٧٦	ظ ٤٣
٣ عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة	ا ٥٤	ح ٥٧	م ١١	ن ٢٦	د ١٤٣	ق ٥٤	ك ٠	خ ١٧
١ + ٢	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥	٨٥	٤٧
١ + ٣	٦١	٦٤	٢٠	٣١	١٤٨	٦٢	٩	٢١
العلاقة	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد

* **تعـليق :**

ذكرنا أن «ك» أصل لـ «ظ» ، وأننا لم نستبعد «ظ» من تحقيقنا لأنها ناقصة ، وليس من حقنا اتخاذ مثل هذا القرار قبل فحص القسم الضائع منها .

* **صفات النسخة :**

في النسخة جميع أنواع الاختلافات .

٩ - مخطوط مكتبة خدابخش - رقم ٢٠١٢ - رمز النسخة : خ .

* **الجـدول :**

١ عدد النواقص المشتركة	خ + ا ٤	خ + ح ٨	خ + م ٦	خ + ن ٤	خ + د ٥	خ + ك ٣	خ + ق ٦	خ + ظ ٤
٢ عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة	خ ١٧	خ ١٣	خ ١٥	خ ١٧	خ ١٦	خ ١٨	خ ١٥	خ ١٧
٣ عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة	ا ٢٤	ح ٨	م ٤	ن ٢	د ٧٧	ك ٢	ق ٢٠	ظ ٤٣
١ + ٢	٢١	٢١	٢١	٢١	٢١	٢١	٢١	٢١
١ + ٣	٢٨	١٦	١٠	٦	٨٢	٥	٢٦	٤٧
العلاقـة	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد

* **تعـليق :**

لايمكننا اعتبار «خ» أصلًا لأية نسخة من النسخ الأخرى .

* **صفات النسخة :**

في النسخة جميع أنواع الاختلافات ، ولكنها ليست كثيرة . وفي الهامش كثير من التعليقات الرياضية واللغوية . ويكتب الناسخ دائمًا : « ثلاثة ، ثلاثون » ، كالكتابة الحالية بدلًا من « ثلثه ، ثلثون » .

في هامش الصفحة (١٣و) العبارة التالية : « في بعض النسخ وقع مكان رقم ثلاثة عشر رقم اثني عشر وكلاهما صحيح » .

نستنتج أن الناسخ اطلع على عدة نسخ من هذا المخطوط . ولسوء الحظ ينقص النص نصفه .

١٠ - مخطوط مكتبة الوزير شهيد علي باشا - رقم ١٩٧٢ - رمز النسخة: و.

* **الجـــدول :**

١ عدد النواقص المشتركة	و + ا ٤	و + ح ٥	و + م ٥	و + ن ٥	و + د ١	و + ك ٤	و + ق ٤	و + ظ ٤	و + خ ٢
٢ عدد النواقص الخاصة بالنسخة المدروسة	و ٢٣	و ٢٢	و ٢٢	و ٢٢	و ٢٦	و ٢٣	و ٢٣	و ١١	و ٦
٣ عدد النواقص الخاصة بالنسخ المقارنة	ا ٦٥	ح ١١٠	م ١٩	ن ٧٥	د ٢١٣	ك ٧	ق ٦٤	ظ ٨١	خ ١٩
١ + ٢	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	٢٧	١٥	٨
١ + ٣	٦٩	١١٥	٢٤	٨٠	٢١٤	١١	٦٨	٨٥	٢١
العلاقـة	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد	لا يوجد

* **تعـليق :**

لايمكننا اعتبار «و» أصلًا لأية نسخة من النسخ الأخرى .

* **صفات النسخة :**

في النسخة جميع أنواع الاختلافات ولكنها ليست كثيرة ، ويكتب الناسخ بشكل دائم الأعداد بشكل رقمي .

بعض المقاطع وردت في النص في أماكن مختلفة عن النسخ الأخرى .

شجرة المخطوطات

أثبتنا من خلال طريقة النواقص المهمة أن النسخ العشر للمخطوط مستقلة الواحدة عن الأخرى . ولإعداد شجرة المخطوطات سوف نلجأ إلى دراسة الجداول السابقة وصفات النسخ المدروسة ، ونسجل الملاحظات الأولية التالية :

* ***التقسيم الأول بين عائلتين سوف يعتمد على المبدأ التالي :***

– ذكر جُمل ابن الخوام البغدادي كاملة أو مختصرة في شرح كمال الدين الفارسي .

– في العائلة الأولى ($س_١$ = أ ، م ، ك ، ظ ، و ، ق) نجد جُمل ابن الخوام البغدادي كاملة .

– في العائلة الثانية ($س_٢$ = ن ، ح ، د ، خ) نجد جمل ابن الخوام البغدادي مختصرة .

نستطيع تقسيم العائلة الأولى إلى ثلاث عائلات :

– العائلة الأولى $س_{١،١}$ = م ، ك ، ظ (حسب جداول النواقص) .

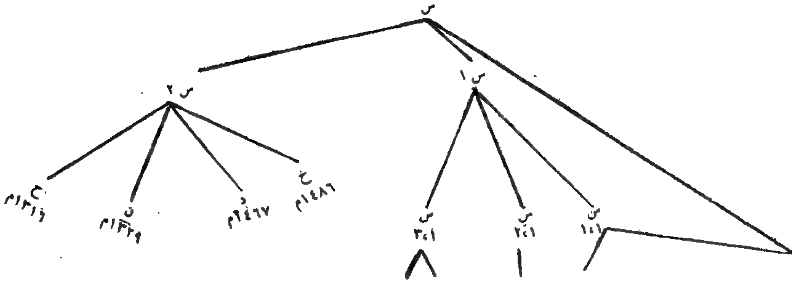
– العائلة الثانية $س_{١،٢}$ = و (صفات المخطوط) .

– العائلة الثالثة $س_{١،٣}$ = أ ، ق (صفات المخطوط) .

وهذه شجرة المخطوطات ، مع العلم بأننا اعتبرنا :

س : نسخة المؤلف نفسه (كمال الدين الفارسي) .

س١ ، س٢ ، س١،١ ، س٢،١ ، س٣،١ : نسخًا ضائعة .



إثبات النص

أما بشأن إثبات النص ، فقد كانت الحواشي « إيجابية » تمامًا ، أي أننا أشرنا تقريبًا إلى كل الأصول والروايات المختلفة .

وقد اختصرنا قدر الإمكان تدخلنا في النص إلا في حالة الخطأ اللغوي أو العلمي الذي يعرقل الفهم الصحيح للنص .

وفيما يلي القاعدة التي اتبعناها لإثبات النص العربي :

١ - الأقواس والخطوط والرموز :

- النص :

〈 〉 القوسان المكسوران يحصران مانضيفه .

[ ] القوسان المربعان يحصران ما نقترح حذفه .

/ ابتداء صفحة مخطوط .

و وجه صفحة مخطوط .

ظ ظهر صفحة مخطوط .

– **الهوامش :**

– يشار إلى التعليق الأول في كل سطر برقم السطر .

– يفصل بين الرواية المثبتة والرواية غير المثبتة بنقطتين (:) .

– يفصل بين التعليق والتعليق في السطر نفسه بخط مائل (/) .

– يفصل بين التعليق والتعليق في سطر آخر بخطين مائلين (//) .

– يفصل بين رموز المخطوطات الواحدة عن الأخرى بفاصلة (،) .

٢ – الأرقام :

– أضفنا الخطوط التي نجدها فوق الأرقام (٤٣) – في بعض المخطوطات – بدون الإشارة إلى ذلك في الحواشي .

– تبنينا شكل كل عدد (رقمًا : ٥) أو (كتابة : خمسة) حسب الرواية الأكثر شيوعًا مع الإشارة إلى ذلك في الحواشي .

٣ – طرق الإحالة :

أحلنا إلى المخطوطات بالإشارة إلى رقم الورقة متبوعًا بـ «و» (وجه) أو «ظ» (ظهر) ، ماعدا مخطوط مكتبة ملي رقم ١٣٠٧ – المرقمة بالصفحة وليس بالورقة – فقد كانت الإحالة على رقم الصفحة .

بالنسبة للفهارس كانت الإحالة إلى الصفحة بأرقام عربية ، والإحالة إلى السطر بأرقام رومانية .

٤ – الشكل :

ضبطنا الأشعار والآيات القرآنية بشكل كامل ، واقتصرنا على شكل الأحرف الأولى والجزم حيث تستدعي الضرورة لتجنب الالتباس مثل (٧ = سَبع ، ١/٧ = سُبع) ، وكذلك الكلمات النادرة مثل : شَوْب ، لَدُنْ .

أما فيما يتعلق بالفعل المبني للمجهول فقد ضبطنا :

- في الماضي : الحرف الأول من الفعل : ضُرب .
- في المضارع : الحرف الأول والحرف ما قبل الأخير : يُضرَب .

٥ - *علامات الترقيم* :

قمنا بإضافة علامات الترقيم للنص مثل : النقاط (....) ؛ والنقطتين (:) والفواصل (،) و إشارة الاستفهام (؟) و علامات التنصيص «....» . وذلك لتسهيل قراءة النص وفهمه ، ولتجنب أي غموض .

٦ - *تقسيم النص* :

حافظنا على تقسيم النص الأصلي إلى مقالات وأبواب وفصول ، وبدأنا الفقرة بسطر جديد عندما تقتضي الحاجة ، وكتبنا كلمة « قال » وكلمة « أقول » بأحرف كبيرة في بداية السطر لتمييز عبارة الفارسي عن عبارة ابن الخوام .

٧ - *العناوين* :

أوردنا عناوين المقالات والأبواب والفصول ضمن النص ووضعناها في منتصف الصفحة وعلى سطر واحد أو عدة أسطر .

٨ - *الكتابة* :

تقيدنا بالأشكال الإملائية المقبولة في النص بمجمله ، إذ كتبنا « مسألة » بدلًا من « مسئلة » و « سائر » بدلًا من « ساير » و « أشياء » بدلًا من « أشيا » ، و « جزء » بدلًا من « جزو » ، علمًا بأن النساخ - في النص بشكل عام - لا يكتبون الهمزة مهما كان موضعها في الكلمة ، فقد قمنا بإثباتها و لم نشر إلى هذا الخطأ في الحواشي .

أما بشأن الأرقام المكتوبة حسب طريقة الكتابة القديمة ، فقد تبنينا طريقة الكتابة الحالية .

كتبنا « آلاف » بدلًا من « ألف » بعد الأرقام بين ٣ و ١٠ .

وكتبنا مثلًا : « خمسمائة وثمانون وثلاثة » بدلًا من « خمس ماية وثمنون وثلثه » وأشرنا إلى ذلك في الحواشي .

كتبنا همزة الابتداء « أ » و « إ » للزيادة في الإيضاح .

وميزنا – بشكل دائم – استخدام النقطتين : الياء النهائية من الألف المقصورة والهاء النهائية عن التاء المربوطة .

٩ – الأشكال الهندسية والأحرف المتعلقة بالمقادير الهندسية :

– الأشكال الهندسية من إعداد النساخ ، لذا قمنا بإعادة رسمها وفق مضمون النص بدون إدراج الأشكال الهندسية الأولى – الواردة في النسخ – في حواشينا .

وجدنا أخطاء بالأحرف المتعلقة بالمقادير الهندسية فصححناها مع الإشارة إلى ذلك في الحواشي .

وجدنا في عدة نسخ أن النساخ يهملون رسم خط أفقي فوق الأحرف المتعلقة بالمقادير الهندسية ، مثلا اَبَ . وحسب العرف المتبع في المخطوطات فقد قمنا بتصحيحها بدون الإشارة إلى ذلك في الحواشي .

١٠ – الجـداول :

وجدنا في الجداول أخطاء ، قمنا بتصحيحها وفق مضمون النص دون إدراج الجداول الأولى – الواردة في النسخ – في حواشينا .

١١ – محتوى الحواشي :

– الرواية المثبتة والروايات الواردة في النسخ الأخرى .

– نصوص النظريات الرياضية المشار إليها من قبل الفارسي ضمن تعليقه ، ومعظم هذه النصوص مكتوبة بشكل كامل من قبل بعض النساخ في هوامش نسخهم .

- في الاستشهادات القرآنية في النص ، أحلنا إلى اسم السورة ورقم الآية في الحواشي .
- وفي الاستشهادات الشعرية أحلنا إلى اسم الشاعر مع لمحة مختصرة قدر الإمكان عن حياته مع الإشارة إلى مراجعنا .
- أضفنا - نادرًا - بعض الملاحظات المتعلقة بمحتوى النص .

* * *

المـراجـع

1 - ALLARD (A.), **Cours d'Histoire des Textes,** à l'Université de Paris VII, l'Année Scolaire 1985 - 1986, (Inédit).

٢ – رشدي راشد ، نصوص لتأريخ الأعداد المتحابة وحساب التوافقات » – ***مجلة تاريخ العلوم العربية*** ، المجلد ٦ ، العددان ١ – ٢ ، معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب – حلب – ١٩٨٢ .

٣ – فؤاد سيد ، ***فهرس المخطوطات المصورة*** ، الجزء الثالث – القسم الثالث – الرياضيات – معهد المخطوطات العربية – القاهرة – ١٩٦٠ .

٤ – رمضان ششن وايزكي وآقپكار ، ***فهرس مخطوطات مكتبة كوپريلي*** ، المجلد الأول ، منظمة المؤتمر الإسلامي ، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، إستانبول – ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٥ – محمد صلاح عايدي ، ***فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية*** ، الرياضيات ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٩٧٣ .

6 - MA^{c}ĀNĪ ('A.G.), **Catalogue des Manuscrits de la Bibliothéque de Astān Quds Radwy,** Vol. 8, Mashad, 1350 .

٧ – مصطفى موالدي ،***جبر كمال الدين الفارسي*** ، أطروحة دكتوراه مقدمة لجامعة السوربون الجديدة ، ١٩٨٩ ، غير مطبوعة ، وباللغة الفرنسية .

8 - MOGENET (J.), **Autolycus de Pitane,** 3^{e} série, Fascicule 37, Bibliothéque de l'Université et publications Universitaires de Louvain, Louvain, 1950.

* * *

عمرو بن أحمر الباهلي
ديوانه ومصادر شعره

محمد محيي الدين مينو*

محنة عظمى رزئ بها ديوان العرب .
وحكاية ديوان عمرو بن أحمر الباهلي شاهد على ذلك .

أقدم إشارة إلى الديوان كانت في أوائل القرن الثالث الهجري . وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري لم يعد هناك أي أثر !

الباحث يتتبع رحلة الديوان من خلال النصوص ، ويغوص في المصادر الأدبية والنقدية وكتب المعاني والمعجمات والنحو والتاريخ والسيرة والديانات والمذاهب ، راصدًا ما حفظته مما تبقى من شعر الشاعر .

وفي العصر الحديث جرت ثلاث محاولات لجمع هذا الشعر ، كان لصاحب البحث الفضل في إحداها .

« المجلة »

* باحث في التراث الشعري ، حصل على الماجستير عن دراسته حياة ابن أحمر وجمع شعره وشرحه وتحقيقه .

إن : أرزاء الدهر ومصائبه أتت على جلّ تراثنا العربي ، فلم ينته إلينا ممّا قالت العرب إلّا أقلّه . وديوان ابن أحمر غيض من فيض ، مايزال في ذمّة التاريخ ، تضنّ به يد الزمان .

وقد طلبت ذلك السِّفْر من ديوان العرب في فهارس كثير من مكتبات الشرق والغرب ، فما وقفت له على أثر ، ولكنّنا نجد في كتب اللغة والتراجم والأدب إشارات إليه ، تأخذ بالظهور من أوائل القرن الثالث إلى أواخر القرن الثاني عشر الهجري . وإذا كانت هذه الإشارات لا تسفر عمّن صنع ديوان ابن أحمر ، فإنّ في أقدم إشارة ، ترق إلى العقد الأول على الأقل من القرن الثالث دلالةً مهمةً على أنّ ثمّة عالمًا من العلماء والرواة الأوائل قد عَمِله في جملة ما عُمل من دواوين الشعر العربي في مطلع ذلك القرن ، ومن العلماء الذين عملوا الأشعار عصرئذٍ : أبو عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) والأصمعي (٢١٧هـ) وابن الأعرابي (٢٣١هـ) وابن السكيت (٢٤٤هـ) وسواهم[1] .

ويبدو أنّ ديوان ابن أحمر كان معروفًا لدى عِدد من المصنّفين خلال قرون متعاقبة ، وكان المرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) ، صاحب شرح القاموس ، آخر من اطّلع عليه ، ثمّ فُقد بعد ذلك ، فلم نقف على نسخة مخطوطة منه ، والأمل معقود على أن تجود بها يد الزمان ، لتكون الفيصل في دراسة ابن أحمر .

وفي الإشارات التي وجدنا ، يأخذ مصطلحا (ديوان) و (شعر) معنًى واحدًا ، وذلك لأن المصادرَ القديمة في أغلب الأحيان لم تكن تميّز بينهما تمييزًا دقيقًا . وأقدم هذه الإشارات ما رواه أبو أحمد العسكري (٣٨٢هـ) ، فقال في مجلس : « أخبرني محمّد بن يحيى ، أخبرنا أبو ذَكْوان ، حدّثنا موسى بن سعيد

(١) انظر : الفهرست لابن النديم ٢٢٤ ومابعدها .

ابن سَلْم قال : كان ابن الأعرابي يُؤدِّبنا ، فدخل الأصمعي ، ونحن نقرأ شعر ابن أحمر :

أَغَدْوًا واعَدَ الحَيُّ الزِّيالا   لِوَجْهٍ لا يُرِيدُ بِهِ بِدالا

إلى أن بلغنا إلى قوله :

أرى ذا شَيْبَةٍ حَمَّالَ ثِقْلٍ   وَأَبْيَضَ مِثْلَ صَدْرِ السَّيْفِ نالا

فقال الأصمعي : « بالا » ، فصاح ابن الأعرابي : « نالا ، نالا » بالنون من النَّوال ، فقال الأصمعي لنا : إنّ الشاعر قد فزع من هذا ، فقال : فيهم شيخ حَمَّال ثِقْلٍ ، وهو الذي يُنيل ، ويُعْطي ، وفيهم شاب مثلُ صدر السيف بالًا ، أي : حالًا ، وهو كالسيف في حاله وبأسه »[1] ، وأضاف العسكري في المجلس ذاته : « فحدّثني يموت بن المزرَّع عن أبي أُمامة الباهلي ، وحضر المجلس ، أنّ ابن الأعرابي افتَضَح بهذا ، ثمّ احتال ، فأحضر نسخة فيها شعر عمرو بن أحمر ، وقد غيّر البيت الأول منها ، فجعله :

أَغَدْوًا واعَدَ الحَيُّ الزِّيالا   وَشَوقًا لا يُبالي العَيْنَ بالا

ثم قال : معنى الأصمعي صحيح ، ولكن كيف يردّد ابنُ أحمر قافيتين في قصيدة ، فزادت فضيحتهم لضعف المصراع الذي غيّروه وإحالةِ معناه »[2] .

وفي الخبر الأوّل إشارة واضحة إلى أنّ ثمّة كتابًا ، يُقرأ في ذلك المجلس ، وأما الخبر الثاني ، فيدلّ دلالة صريحة على نسخة لابن الأعرابي من ديوان ابن أحمر .

ويبدو أن أبا أحمد العسكري نفسه قد قرأ شعر ابن أحمر على أبي بكر بن دريد (٣٢١هـ) ، ويدلّ على ذلك قوله : « قرأت عليه في شعر ابن أحمر :

---

(١) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١/ ١٨٩ . وانظر : التنبيه على حدوث التصحيف (ط . طلس) ٨٤ ، و (ط . آل ياسين) ١٤٠ .

(٢) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١/ ١٩٠ .

حَتَّى إذا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمسِ صَبَّحها   أُضْرِي ابْنِ قُرّانَ باتَ الوَحْشَ والعَزَبا »[1]

وإذا كان بروكلمان يذهب إلى أنّ جمهرة أشعار العرب « جمعت في أواخر المائة الثالثة للهجرة » ، ثمّ « تم تأليفها في ملتقى القرنين الثالث والرابع للهجرة »[2] ، فإنّنا نرى أنّ جامعها أبا زيد محمّد بن أبي الخطّاب القرشي الذي ليس له أدنى ذكر في جميع كتب الطبقات والرجال ، قد يكون اطّلع في تلك الحقبة من الزمن على ديوان ابن أحمر ، وأخذ منه قصيدة رائية ، جعلها في (مَشُوبات العرب) من جمهرته التي اختارها « غررًا هي العيون من أشعارهم وزمام ديوانهم »[3] .

وفي القرن الرابع الهجري نجد ابن جنّي (٣٩٢هـ) ينظر في ديوان ابن أحمر ، فهو يروي ما أنشده أبو زيد :

كَأَنَّها بِنَقا العَزّافِ طاوِيَةٌ   لَمّا انْطوى بَطْنُها واخْرَوَّطَ السَّفَرُ
مارِيَّةٌ لُؤْلُؤانُ اللَّونِ أَوَّدَها   طَلٌّ وَبَنَّسَ عَنْها فَرْقَدٌ خَصِرُ

ثم يقول : « ولم يسند أبو زيد هذين البيتين إلى ابن أحمر ، ولا هما أيضًا في ديوانه »[4] .

وفي القرن الخامس الهجري يتثبّت أبو عبيد البكري الأندلسي (٤٨٧هـ) من رواية بيت في شعره الذي حمله أبو علي القالي (٣٥٦هـ) إلى الأندلس ، ويقول : « قال ابن أحمر :

---

(١) المصدر السابق نفسه ١/ ٤٦٣ .

(٢) تاريخ بروكلمان ١/ ٧٥ . ويرى الدكتور ناصر الدين الأسد أنّ صاحب الجمهرة عاش قبل منتصف القرن الخامس ، لأن ابن رشيق روى عنه في العمدة ، وابن رشيق مات سنة ٤٦٣ للهجرة ، ويجعل الزركلي وفاته سنة ١٧٠ للهجرة .

انظر : مصادر الشعر الجاهلي ٥٨٦ و ٥٨٨ ، والأعلام ٦/ ١١٤ .

(٣) جمهرة أشعار العرب (ط . صادر) ٩ ، و (ط. البجاوي) ١ .

(٤) الخصائص ٢/ ٢٤ .

تَتَبَّعُ أَوْضاحًا بِسُرَّةِ يَذْبُلٍ وتَرْعى هَشِيمًا مِنْ حُلَيْمَةَ باليا

هكذا ثَبَتَتْ روايته عن أبي علي في شعر ابن أحمر »[1] .

وفي أواخر القرن ذاته كان شعره بين يدي الخطيب التبريزي (٥٠٢هـ) حين هذّب كتاب الألفاظ لابن السكّيت ، وروى ما أنشده لابن أحمر : « لَبَّ بِأَرْضٍ لا تَخَطَّاها الحُمُرْ » ثم قال : « وفي شعره : لا تخطَّاها الغَنَمْ »[2] .

وفي القرن السادس الهجري نجد عدة إشارات إلى الديوان لدى البَطَلْيَوْسيّ (٥٢١هـ) وابن الشجري (٥٤٢هـ) وابن خَيْر (٥٧٥هـ) وابن برّي (٥٩٢هـ) ، فالبطليوسي في الاقتضاب روى ما أنشده ابن قتيبة في أدب الكاتب :

تُسائِلُ بِابْنِ أَحْمَرَ مَنْ رَآهُ أَعارَتْ عَيْنُهُ أَمْ لَمْ تَعارا

ثم قال : « البيت لعمرو بن أحمر . ووقع في شعر ابن أحمر :

وَرُبَّت سائِلٍ عَنّي حَفيٍّ

وهو الصحيح ، لأنه ليس قبل هذا البيت مذكور ، يعود إليه الضمير من قوله : تُسائِلُ ، ولعل الذي ذكر ابن قتيبة رواية ثانية مخالفة للرواية التي وقعت إلينا من هذا الشعر »[3] .

وابن الشجري في الأمالي روى هذا البيت :

عَلى حَيَّيْنِ في عامَيْنِ شَتَّا فَقَلَّ غِناؤها بِهِما وَطالا

ثم قال : « ولا يجوز أن تكتب (شتّا) ها هنا بالياء كالتي في قوله تعالى : ﴿ وَقُلُوبهم شَتَّى ﴾[4] ، لأن ألف شتا في البيت ضمير ، وشتَّى في الآية اسم على

(١) معجم ما استعجم ٤٦٥ .
(٢) كنز الحفاظ ٤٤٦ .
(٣) الاقتضاب ٤٣٤ .
(٤) سورة الحشر ٥٩/ ١٤ .

فَعْلى جمع شَتِيتْ كقَتيل وقَتلى . وإنما ذكرت هذا لأني وجدته في نسخة بالياء »[1] .

وابن خيْر الإشبيلي في الفهرست يطالعنا بنصّ جدّ ثمين ، يبينّ أنّ ديوان ابن أحمر وصل إليه بسندين مختلفين ، مصدرهما معًا أبو علي القالي (٣٥٦هـ) الذي حمل ديوان ابن أحمر إلى الأندلس فيما حمله من دواوين العرب[2] ، فيقول : « شعر عمرو بن أحمر الباهلي ، حدّثني به الوزير أبو عبد الله جعفر بن محمّد بن مكّي ، رحمه الله ، عن الوزير أبي مروان عبد الملك بن سراج ، عن أبي سهل الحرّاني ، وحدّثني به أيضا الشيخ أبو بكر محمّد بن عبد الغني بن فندلة ، رحمه الله ، عن الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن سليمان الأعلم ، عن أبي سهل يونس بن أحمد الحرّاني المذكور ، عن أبي عمر بن أبي الحباب ، عن أبي عليّ البغدادي ، قال : قرأته على أبي بكر بن دريد ، عن أبي حاتم ، عن الأصمعي ، رحمه الله ، وحدّثني به أيضًا الشيخ المسنّ أبو بكر محمد بن أحمد ، رضي الله عنه ، مناولة منه لي في أصل أبي الوليد ملك بن عبد الله العتبيّ الذي بخطّ يده قال ؛ حدّثني به أبو الوليد العتبي المذكور ، رحمه الله ، عن أبي مروان عبد الملك بن سراج ، رحمه الله ، بسنده المتقدّم »[3] .

وأمّا ابن برّي ، فيبدو أنّه أفاد من ديوان ابن أحمر في حواشيه على صحاح الجوهري ، وهي أحد مصادر لسان العرب وتاج العروس ، وروى هذا الشطر :

أُحِبُّ ذَلولًا أَو عَروضا أُروضُها

ثم قال : « وهكذا روايته في شعره »[4] .

وروى هذا الرجز :

أَبي الذي أَخْنَبَ رِجْلَ ابنِ الصَّعِقْ إِذْ كانَت الخَيْلُ كَعِلْباءِ العُنُقْ

---

(١) الأمالي لابن الشجري ١/ ١٤١ .

(٢) انظر : فهرست ابن خير ٣٩٧ .

(٣) فهرست ابن خير ٣٩٣ . وأورد محققه اسم ابن أحمر مصحّفًا بالدال في خمسة مواضع منه ، وهي : ٣٩٣ ، ٣٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٤٤ ، ٥٦١ .

(٤) اللسان ، والتاج (عرض) .

ثم قال : « وقد وجدته في شعر ابن أحمر الباهلي »[1] .

وروى ابن بري أيضًا ما أنشده الجوهري لابن أحمر :

كَالقَرِّ بَيْنَ قَوادِمٍ زُعْرِ

ثم قال : « هذا العجز مُغَيَّر، وصواب إنشاد البيت على ماروته الرواة في شعره :

حَلَقَتْ بَنو عَزْوان جُؤْجُؤَهُ وَالرَّأْسَ غَيْرَ قَنازِعٍ زُعْرِ »[2]

وفي القرن السابع الهجري كان الديوان بين يدي الصغاني (٦٥٠هـ) ، وهو يضع تكملةً لصحاح الجوهري ، وقد روى عنه العجز السابق نفسه ، وقال : « لم أجده في ديوان ابن أحمر ، ووجدت فيه بيتا ، ليس فيه حجّة على القَرّ ، وهو :

حَلَقَتْ بَنو عَزْوانَ جُؤْجُؤَهُ والرَّأْسَ غَيْرَ قَنازِعٍ زُعْرِ »[3]

وروى الصغاني أيضًا هذا البيت :

تَطايَحَ الطَّلُّ عَنْ أَرْدانها صُعُدا كما تَطايَحَ عَنْ ماموسَةَ الشَّرَرُ

ثم قال : « والذي في شعره : عَنْ أَعْطافِها ، وفي الماموسة »[4] .

وفي القرن الثامن الهجري نجد الحافظ مُغَلْطاي (٧٦٢هـ) يأخذ منه أبياتًا في حاشيته على الروض الأنف للسهيلي ، ويروي ما أنشده أبو القاسم لابن أحمر :

أَنْشَأْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ حالِ رِفْقَتِهِ فقال : حَيَّ فإنَّ الرَّكْبَ قَدْ ذَهبا

ثم يقول : « وفيه نظر من حيث إنَّ الذي في ديوان ابن أحمر أنَّ ذلك البيت بعد قوله :

قالوا عيينا .... (الأبيات) »[5] .

---

(١) اللسان ، والتاج (خنب) .

(٢) اللسان ، والتاج (قرر) .

(٣) التكملة ٣/ ١٦٤ ، وعنه في التاج (قرر) .

(٤) التاج (ممس) .

(٥) خزانة الأدب ٣/ ٣٨ .

وفي القرن الحادي عشر الهجري يذكر صاحب كشف الظّنون « ديوان ابن أحمر »[١] ، إلا أنّ الحاج خليفة (١٠٦٧هـ) لا يضيف شيئا إلى عبارته هذه ، فلا نعلم من أمره شيئًا . وفي أواخر القرن ذاته يقف عبد القادر البغدادي (١٠٩٣هـ) على عدّة نسخ من ديوان ابن أحمر ، وهو ينظر في هذا البيت :

بِتَيْهَاءَ قَفْرٍ والمَطِيُّ كَأَنَّها   قَطا الحَزْنِ قد كانت فِراخًا بُيوضُها

ثم يقول : « والتي في عامة نسخ شعره : أُرِيْهِم سُهَيْلًا والمَطِيُّ كَأَنَّها / قَطا الحَزْن الخ . قال شارحه : قوله : أريهم سهيلًا ، يعني أصحابه ، وإن لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه ، أي : يريهم مطلعه »[٢] ، ولعلّ في عبارته : « قال شارحه : » إشارة إلى أن ثمّة مَنْ شرح شعر ابن أحمر ، إلا أنا لا نقع على اسمه في أيٍّ من المصادر » .

وفي القرن الثاني عشر الهجري نجد المرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) يروي ما أنشده الجوهري لابن أحمر :

وَلَا تَقولَنَّ زَهْوٌ ما يُخَبِّرُنا   لَمْ يَتْرُكِ الشَّيْبُ لي زَهْوًا ولا الكِبَرُ

ثم يقول : « وفي ديوان ابن أحمر : ولا العَوَرُ »[٣] .

وبذلك يكون صاحب شرح القاموس آخر من اطلع عليه قبيل أن يصبح في ذمة التاريخ . وأما بعد هذهِ الحقبة مِن الزمن ، فليس ثمة دليل في أيدينا ، يؤيد بقاءه إلى عهد معين ، لأننا لا نعلم متى فُقِد هذا الديوان .

وفي العصر الحديث جرت ثلاث محاولات لجمع شعر ابن أحمر ، أولها ما قام به الدكتور حسين عطوان سنة (١٩٧٠م)[٤] ، وأطلق على ما جمعه اسم « شعر عمرو بن أحمر الباهلي » ، فحاز بذلك قَصَب السَّبق ، وكان له فضل المتقدم الرائد

---

(١) كشف الظنون ١/ ٧٦٤ .

(٢) خزانة الأدب ٤/ ٣٣ .

(٣) التاج (زها) .

(٤) نشر مجمع اللغة العربية بدمشق شعر ابن أحمر دون تاريخ ، وأشار في فهرس مطبوعاته ١٤ إلى أنه طُبع سنة ١٩٧٠م .

في إخراج هذا الشعر . والدكتور عطوان كابد في سبيله مشقة صعبة المسالك ، لم تخل من العِثار ، فهو لا يميّز بين رواية المتقدمين ورواية المتأخرين ، ليقع على الأقدم والأصح منها ، ولا يَحْفِل بالروايات المختلفة في المصادر ، ولا يُعْنى البتة بالمسائل اللغوية في شعر ابن أحمر الذي أتى بأحرف لا تعرف في كلام العرب ، ولا يستوفي تخريج الشعر من مصادره ، ففاته بعض ما ورد فيها من أبيات ، والتبس عليه أحيانا شعر ابن أحمر بشعر مَنْ سمّي باسمه ، أو بشعر غيره من الشعراء ، فهو مثلًا يجعل قصيدة لعطاء بن أحمر المديني ومقطّعة لبدر بن حمراء الضّبّي في الصحيح من شعر ابن أحمر الباهلي[1] ، ويضع فيه أيضا أبياتًا مشهورة لامرئ القيس والحطيئة وكثير وكعب ابن مالك ومزاحم والفرزدق وحميد وغيرهم[2] . وربما حرّف بعض الأبيات عمّا جاءت عليه في أصولها ، ومن ذلك ما نقله عن المعاني الكبير ، فأورده على هذا النحو :

لَمَّا رَأَتْ عُرُبًا هَجائِنَ وَسْطَها مَرِحَتْ وجالَتْ في الصُّراخ الأَبْعَدِ[3]

مع أن رواية ابن قتيبة للبيت في المصدر نفسه[4] تقول :

لما رَأَتْ غَرْبًا هَجائِنَ وَسْطَهـا مَرِحَتْ وَجالتْ في الصِّراحِ الأَبْعَدِ

فصحّف الدكتور عطوان « غَرْبًا » بالغين المعجمة بـ« عُرُبًا » بالعين المهملة ، و « الصِّراح » بالحاء المهملة بـ« الصُّراخ » بالخاء المعجمة ، فكان أبعد ما يكون عن معنى البيت الذي أراده الشاعر ، وشرحه ابن قتيبة ، فقال : « غَرْبًا : جاوز القَدْر ، ومنه يقال : استغرب فلان في الضحك . هجائن : بيض . يقول : لما رأت بي شيبًا كثيرًا مرحت بشبابها ونشاطها ، وجالت في الصِّراح الأبعد »[5] ، أي : في المواجهة التي جاوزت الحدّ .

---

(١) انظر : شعر ابن أحمر (ط . عطوان) ٧٣ و ١٠٩ .

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه ٣٩ ، ٨١ ، ١٢٣ ، ١٣٢ ، ١٦٦ .

(٣) المصدر السابق نفسه ٥٢ .

(٤) المعاني الكبير ١٢٢١ .

(٥) المعاني الكبير ١٢٢١ .

ومثله ما نقله عن عيار الشعر والموشح ، فأورده على هذا النحو :

غـادَرَني سَهْمُـهُ أَعشى وغـادَرَهُ   سَهْمُ ابنِ أَحْمرَ يَشْكو الرَّأْسَ وَالكَبِدا[1]

مع أن الرواية في هذين المصدرين : « سَيْفُ ابن أَحْمَر »[2] .

ومثله ما جاء به على هذا النحو :

كالثَّعْلَبِ الرَّائحِ المَمْطورِ ضَبْعَتُهُ   شُلَّ الحَوامِـلُ كَيْـفَ يَنْبَقِــعُ[3]

مع أن أصل البيت في مصادره العديدة : « صِبْغَتُهُ شَلَّ »[4] .

وأمثال هذا التصحيف والتحريف في هذه النشرة من شعر ابن أحمر كثير ، لا طائل الآن من تتبّعه ، وكان الأولى أن تُترك الأبيات على روايتها في الأصول ، حتّى يكشف الزمان عن نسخة مخطوطة من ديوانه ، لتكون الحكم الفصل في مثل ذلك .

وقد استدرك الدكتور رمضان عبد التواب على هذه النشرة بعض الأبيات التي عثر عليها لابن أحمر وبعض التصويبات والملاحظات الأخرى في مقالة ، نشرها بعنوان « شعر عمرو بن أحمر الباهلي »[5] ، ثم استدرك الدكتور رضوان محمد حسين النجار على النشرة ذاتها بيتًا وحيدًا في مقالة ، نشرها بعنوان « المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة »[6] .

وبعد الدكتور حسين عطوان قام الأستاذ أحمد فاروق بالمحاولة الأخرى لجمع

---

(١) شعر ابن أحمر (ط . عطوان) ٤٨ .

(٢) عيار الشعر ٩٩ ، والموشح ١٣٦ .

(٣) شعر ابن أحمر (ط . عطوان) ١٢٢ .

(٤) تهذيب اللغة ١/ ٢٨٥ ، والتكملة ٤/ ٢١٨ ، واللسان ، والتاج ، (بقع) . وصِبْغته : خِلْقته . وقال ابن مكي « يقولون : شُلَّت يده » و « الصواب : شَلت بفتح الشين » تثقيف اللسان ١٥٠ .

(٥) انظر : مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (ص ٤٢٢ ، ج٢ ، مج ٤٧ ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م) .

(٦) انظر : مجلة معهد المخطوطات العربية (ص ٣٢٧ ، ج١ ، مج ٣٠ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م) .

شعر ابن أحمر ، والأستاذ فاروق أشار إلى ذلك في حاشيته على بيت ، رواه البَطَلْيَـوسيّ في الاسم والمسمى[1] دون عزو ، وهو :

فلو كان في لَيْلَى شَذًا مِنْ خُصومَةٍ   لَلَوَّيْتُ أَعناقَ الخُصومِ المَلاويا

ثم قال : « البيت لابن أحمر في ديوانه الذي صنعته ، وحقّقته ، وأعددته للطبع ، وفيه أبيات أكثر من صنعة الدكتور حسين عطوان . وأغلب الظن أن هذه المحاولة الثانية لجمع شعر ابن أحمر لم يكتب لها أن تطبع ، وتنشر ، فظلت نشرة الدكتور عطوان الوحيدة التي طبعت ، وذاعت .

أما المحاولة الثالثة ، فقد كان لي نصيب صنعها في قسمين رئيسين : الأول دراسة حياة ابن أحمر وشعره ، والثاني إخراج ديوانه جمعا وشرحا وتحقيقا ما أمكنني إلى ذلك سبيل .

رواية شعره :

رأينا في دراستنا ديوان ابن أحمر سندين متصلين لروايته ، انتهى بهما ابن خير الإشبيلي إلى أبي علي القالي (٣٥٦هـ) الذي قرأ شعر ابن أحمر على أبي بكر بن دريد (٣٢١هـ) عن أبي حاتم (٢٥٥هـ) عن الأصمعي (٢١٧هـ)[2] . والمصادر لا تتيح لنا أن نقف على طرق لرواية شعره في أبنائه وأسرته وقبيلته ، أو نتعرف بوضوح الطرق التي حملته ، ونقلته من القرن الأول إلى عصر التدوين في القرن الثاني الهجري ، ولكننا نستطيع أن نطمئن إلى أن هذا الشعر قد تهيأت له الطبقة الأولى من الرواة العلماء الذين أخذوا برواية أشعار المتأخرين من الشعراء قبل غيرهم من المتقدمين ، فلم يكونوا ليلتمسوا الفروع إلا بعد إحكام الأصول ، وكانت هذه سنة العلماء في الرواية والعلم معًا ، وحسبنا أن الجاحظ أشار إلى ذلك ، فقال : « إن بعض من كلف

---

(١) الاسم والمسمى ٣٤٠ .

(٢) انظر : فهرست ابن خير ٣٩٣ .

برواية الأشعار بدأ برواية أشعار هُذَيل قبل رواية شعر عباس بن الأحنف ، ورواية شعر ابن أحمر قبل رواية شعر أبي نواس »[1] .

ولعل شعر ابن أحمر قد دوّن قبيل الأصمعي وطبقته من الرواة ، أو لعله دوّن في حياتهم فقد رأينا في دراستنا لديوانه إشارة إلى أن ثمة « نسخة فيها شعر عمرو بن أحمر » ، كانت في مجلس ، حضره الأصمعي وابن الأعرابي[2] .

وذكر الآمدي كتابا لباهلة ، وجد فيه قصائد لشاعرين مقلّين من شعرائها ، وهما القتّال[3] وبُدَيْل بن المُضَرَّب[4] ، وإذا جُمعت أشعار هذه القبيلة وأخبارها في كتاب ، ضم مثل هذين الشاعرين المغمورين ، فليس من شك في أنه ضم أشعار المشهورين من شعراء باهلة كابن أحمر وغيره . ومثل هذه الكتب أو الدواوين القبلية كانت « تضم بين دفتيها قصائد كاملة ومقطعات وأبياتا متفرقة لشعراء تلك القبيلة أو لبعض شعرائها ، وربما ضمت أكثر شعر هؤلاء الشعراء ، بل ربما ضمت جميع شعر كل شاعر منهم وديوانه كاملا ، ثم تضيف إلى ذلك من الأخبار والنسب والقصص والأحاديث ما يتّصل بالشاعر نفسه أو ببعض أفراد قبيلته ، وما يوضّح مناسبات القصائد ، ويفسر بعض أبياتها ، ويبين ما فيها من حوادث تاريخية ، فيجيء كتاب القبيلة بذلك سجلًا لحوادثها ووقائعها وديوانا لمفاخرها ومناقبها ومعرضا لشعر شعرائها »[5] ، ونشط تصنيف هذه الكتب منذ أواخر القرن الهجري الثاني على أيدي أبي عبيدة والأصمعي وابن الأعرابي والمفضّل الضبّي وأبي عمرو الشيباني وأبي سعيد السكّري ومحمد بن حبيب وغيرهم[6] ، إلا أن ثمة من الأخبار ما يدل على

---

(١) البرصان ٣ .

(٢) انظر : شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ١/ ١٨٩ .

(٣) المؤتلف والمختلف ٢٥٢ .

(٤) المصدر السابق نفسه ٢٨٠ .

(٥) مصادر الشعر الجاهلي ٥٥٤ .

(٦) انظر : فهرست ابن النديم ٢٢٣ ومابعدها .

أن كتب القبائل كانت مكتوبة مدونة قبل مطلع القرن الثاني الهجري ، وأن العلماء الرواة من رجال الطبقة الأولى في القرن الثاني قد وصلتهم هذه المدونات من القرن الأول الهجري ، فاعتمدوها مصدرًا من مصادر تدوينهم نسخهم الخاصة التي نسبت روايتها إليهم »[1] .

وإذا كنا في موضع سابق قد وجدنا أن ابن أحمر كان يحسن الكتابة ، فإن هذا يعني أنه ربما أسهم أيضا بتدوين طائفة من شعره على الأقل ، فكان ذلك عونا للرواة من بعده .

فلا شك في أن الرواية والتدوين قد اجتمعا معا في الحفاظ على شعر ابن أحمر ونقله إلى القرن الثاني ، ليكون بين أيدي الطبقة الأولى من الرواة ، أمثال : الفراهيدي (١٧٥هـ) ، وسيبويه (١٨٠هـ) ، وابن الكلبي (٢٠٤هـ) ، وأبي عمرو الشيباني (٢٠٦هـ) ، وقُطْرب (٢٠٦هـ) ، والفرّاء (٢٠٧هـ) . وأبي عبيدة (٢١٠هـ) ، والأصمعي (٢١٧هـ) ، وأبي عبيد (٢٢٤هـ) ، وابن الأعرابي (٢٣١هـ) ، وابن سلّام الجمحي (٢٣١هـ) ، ثم ليكون بين أيدي الطبقة الثانية من الرواة ، أمثال : ابن السكيت (٢٤٤هـ) وأبي حاتم (٢٥٥هـ) ، وشَمِر بن حَمْدَوَيه (٢٥٥هـ) وغيرهم .

وكثيرا مانجد اختلافًا واسعًا في روايات هؤلاء العلماء وشروحهم بسبب اختلاف مذاهبهم وعلومهم ، وقد عملت جهدي في البحث عن كل ذلك أثناء تحقيق شعر ابن أحمر .

مصادر شعره :

بُعيد أن حملت الرواية والكتابة شعر ابن أحمر إلى القرن الثاني أصبحت ألسنة اللغويين والنحاة تلهج بروايته قرنًا بعد آخر شواهد على معنى من معاني اللغة أو بنية لفظ من ألفاظها أو غريب من غرائب الاستعمال أو طريقة من طرائق الاشتقاق ،

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ٥٥٨ .

حتى حظي بجلّ اهتمامهم ، فقال ابن الأثير : « ابن أحمر الباهلي شاعر معروف ، يُستَشهَد على اللغة بشعره كثيرا ، فيقال : قال ابن أحمر ، ولا يذكر له اسم »[1] ، لما في شعره من فصاحة ، جعلته مقدما لدى أهل اللغة .

ولهذا نرى أن الأصول التي عنيت بجمع اللغة ، أو تناولت بالتصنيف مشكلاتها وظواهرها ، كانت تزخر بشعره أكثر مما رأيناه في مصادر الأدب والنقد والمعاني وسواها ، ولذا كانت المعجمات في مقدمة مصادر شعره ، ونذكر على سبيل المثال أننا عددنا في اللسان لابن منظور (٣٥١) بيتا وثلاثين شطرًا ، وفي تهذيب اللغة للأزهري (١٤٨) بيتا وأربعة وعشرين شطرًا ، وفي الصحاح للجوهري (٩١) بيتا وتسعة أشطار ، وفي جمهرة اللغة لابن دريد (٦٩) بيتا وشطرين ، وفي المخصص لابن سيده (٦٣) بيتا وشطرًا واحدًا ، وفي المحكم لابن سيده (٥٣) بيتًا وشطرين ، وفي مقاييس اللغة لابن فارس (٤٧) بيتا وثمانية أشطار ، وفي التقفية لابن أبي اليمان (٣٤) بيتًا وشطرين ، وفي أساس البلاغة للزمخشري (٣٢) بيتًا وأربعة أشطار ، وفي كنز الحفاظ في تهذيب كتاب الألفاظ للتبريزي (٣١) بيتا وشطرًا واحدًا ، وفي الأفعال للسَّرَقُسْطي (٣٠) بيتًا وشطرين ، وفي مجمل اللغة لابن فارس (٢٠) بيتًا وخمسة عشر شطرًا .. ولو عددنا الأبيات مضطربة النسبة بين ابن أحمر وغيره من الشعراء ، لارتفعت هذه الأرقام أكثر في هذه المعجمات وغيرها من المصادر ، ولا سيما في اللسان والتاج اللذين لم ينفردا بأي جديد من شعر ابن أحمر غير بعض أبيات فرادى .

هذه المعجمات جميعًا تورد أبيات ابن أحمر شواهد على معنى من المعاني أو بنية لفظ من الألفاظ . ولهذه الغاية ذاتها كان من مصادره كتب غريب القرآن ومجازه ، ففي مجاز القرآن لأبي عبيدة مثلًا نعدّ (١٨) بيتًا ، وكان منها شروح الدواوين والأصول ، ففي شرح المفضليات للأنباري نعدّ (٢٧) بيتًا ، وفي الاقتضاب في شرح

(١) المرصع ٦٥ .

أدب الكتاب للبَطَلْيَوْسي (٢٤) بيتًا وشطرين ، وفي شرح أبيات المغني للبغدادي (٢٠) بيتا وشطرين ، وفي الجاهليات (١٧) بيتًا ، وفي شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي (١٢) بيتًا .

ثم كانت كتب النحو على اختلافها من مصادر شعره أيضا ، وذلك لما في شعره من شواهد نحوية عديدة ، فالبغدادي في خزانة الأدب احتج لابن أحمر بـ(٣٧) بيتًا ، وابن جنّي في الخصائص بـ(١٨) بيتًا وشطر واحد ، وسيبويه بـ(٦) أبيات وشطر واحد ، وغيرهم .

وأما مصادر الأدب والنقد والمعاني ، فإن كلًّا منها يورد طائفة قليلة من شعره ، إذا ما قورنت بالمصادر السابقة ، حتى إن كتابا مهما ، وهو الأغاني ، لم يورد من شعر ابن أحمر إلا ثمانية أبيات ، نجدها في ثنايا أخبار المغنية جميلة ، مولاة بني سُلَيْم . وإذا ماذكرنا أبرز هذه المصادر وأهمها ، فإننا لا نحظى بكبير طائل ، فالجاحظ مثلا لم ينقل من شعره غير (٢٣) بيتًا في البيان والتبيين ، والمعري لم يرو غير (١٤) بيتًا في رسالة الغفران ، و (١٢) بيتا في الصاهل والشاحج ، وابن سلّام لم ينشد غير (٦) أبيات في طبقات فحول الشعراء ، والمرزباني لم يورد غير بيتين في الموشح ، و (٦) أبيات في معجم الشعراء .. ولكن واحدًا من تلك المصادر ، وهو المعاني الكبير لابن قتيبة ، يورد أبياتًا لابن أحمر ، يكاد عددها يفوق مجموع ما روته من شعره ، فقد رأى ابن قتيبة في هذا الشعر ذخرًا واسعًا ، يمثل به على ما بسطه من معانٍ ، حتّى إننا نعدّ في كتابه هذا (١٣٩) بيتًا وشطرًا واحدًا ، وهذا قَدْر كبير إذا ما قيس بسائر الشعراء الذين احتجّ بهم ابن قتيبة في الكتاب ، بينما نجده في الشعر والشعراء يورد (١٨) بيتًا ، وفي عيون الأخبار (٦) أبيات وشطرًا واحدًا ، ولعلّ في ذلك دليلًا آخر على أنه « يُسْتَشْهَدَ على اللغة بشعره كثيرًا » ، إلا أن مصادر أهل الأدب والنقد والمعاني تظل ذات قيمة مهمة بما ترويه من أخبار حياته وخصائص شعره ، وبما تطالعنا به من أحكام ورؤى نقدية فيه .

وهناك نوع من الكتب النقدية ، وهي كتب التصحيف والتحريف والتنبيه ، لا تخلو من أهمية في رواية شعره ، إذ إنها تنظر إلى ما وقع في الرواية من خطأ وزلل ، ثم تقف على الصحيح منها ، ففي سمط اللآلئ للبكري (٣٨) بيتًا وشطر واحد ، وفي شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري (١١) بيتًا وشطر واحد ، وفي التنبيهات لعلي بن حمزة (٩) أبيات وشطر واحد ، وفي التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني (٥) أبيات وشطر واحد .

ويتلو ذلك منزلة تلك المصادر التي صُنّفت على شكل مختارات أو أمال ، أو اهتمت بجمع الأمثال ، أو ألّفت في الأزمنة والأمكنة ، وتأتي جمهرة أشعار العرب في مقدمة هذه المصادر ، إذ اختار أبو زيد القرشي من شعر ابن أحمر قصيدة في (٥٢) بيتًا ، فحفظها وحدها من يد الحَدَثان التي لم تبق من قصائده غير أبيات مفردة ومقاطع عدّة ، تشتّت في أضعاف الكتب والمصادر المختلفة . ونجد أصحاب الحماسات يختارون من شعره نتفًا قليلةً ، فالبصري مثلًا ينشد له (١٦) بيتًا ، والبحتري يروي (٩) أبيات ، وأبو تمام يورد (٤) أبيات . وأما أقدم مجموعتين من مختارات شعر العرب وأهمّها ، وهما الأصمعيات والمفضّليات ، فلم توردا شيئًا من شعر ابن أحمر بخلاف أصحاب الحماسات الذين رأوا في شعره أغراضًا ، تفي بمراميهم وغاياتهم ، وتستحق أن تُنتقى ، وتختار . وأما كتب الأزمنة والأمكنة ، فقد احتجّت بشعره ، وعددنا في معجم ما استعجم للبكري (٥٧) بيتًا ، وفي الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (٢٣) بيتًا ، وفي معجم البلدان لياقوت (١٩) بيتًا وثلاثة أشطار ، وفي الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري (٣) أبيات وشطرين .. وهذا قَدْر كبير إذا ما قورن بسائر الشعراء الذين استشهد بشعرهم بكل مصدر منها . وأما كتب الأمثال والمحاضرات والأمالي ، فليست بذات أهمية كبيرة فيما أوردته من شعر ابن أحمر ، إلا أنها تظل مهمة من الناحية التاريخية على الأقل .

وإذا ما استعرضنا أنواعًا أخرى من المصادر في المكتبة العربية مثل كتب التاريخ

والسيرة والديانات والمذاهب وما يتفرع عن هذه العلوم جميعًا ، فإننا لا نكاد نقف على أيّ أثر فيها لابن أحمر ، ففي السيرة مثلًا بيت واحد لا غير ، مما يؤكد عدم احتفال هذا النوع من المصادر بشعر ابن أحمر مع أن أكثرها قد تحدث عن بعض معاصريه من الشعراء المخضرمين كحسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم ممن كان لهم مشاركة ما في صدر الإسلام .

ضياع شعره :

رأينا أن ديوان ابن أحمر وكتاب باهلة قد فُقدا ، وليس بين أيدينا من شعره غير ما نجده ، في أضعاف المصادر المختلفة ، وليس هنالك دليل على أن هذه المصادر قد نقلت أبياتًا أو قصائد لم ترد في ديوانه ، وذلك لأن « العلماء الرواة الذين دوّنوا ذلك الشعر لم يجدوا إلا أبياتا متفرقة أو مقطعات صغيرة ، أشبه ما تكون بالأوصال الممزقة ، التقطوها التقاطا من أفواه بعض الأعراب والرواة »[1] .

والنظرة العجلى إلى شعر ابن أحمر تجعلنا على ثقة تامة من ضياع قسم كبير منه ، إذ بدا لنا أن ابن أحمر من أصحاب المطوّلات ، ولكن صروف الدهر لم تبق منها غير مشوبة ، عدَّتها (٥٢) بيتًا ، ولم تدع القصائد الأخرى إلا أوصالًا متناثرةً ، تكاد تنم عن صورتها الأصلية في أغلب الأحيان ، حتى إننا نعد في إحدى رائياته المجموعة أو إحدى ميمياته (٣٤) بيتًا ، وفي إحدى لامياته أو إحدى يائياته (٣٦) بيتًا ، وفي قصيدة نونية (٣٩) بيتًا ، وفي قصيدة رائية (٣١) بيتًا ، وفي قصيدة لامية (٣٠) بيتًا .

ومن أدلة ذلك أن أبا الفرج أنشد لابن أحمر أبياتًا ، فقال : « قال في عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قصيدة له طويلة جيدة :

أَدْرَكْتُ آلَ أَبِي حَفْصٍ وأُسْرَتَهُ ... وقَبْلَ ذاكَ وَدَهْرًا بَعْدَهُ كَلِبًا
قَدْ تَرْتَمِي بِقَوافٍ بَيْنَنا دُوَلٌ ... بَيْنَ الهَناتَيْنِ لا جِدًّا ولا لَعِبًا
اللهُ يَعْلَمُ ما قَوْلِي وقَوْلُهُـمُ ... إذ يَرْكَبُونَ جَنانًا مُسْهَبًا وَرِبَا »[2]

---

(١) مصادر الشعر الجاهلي ٤٨٣ .
(٢) الأغاني : ٢٩٨٠ .

ولكنه لم يبق من هذه القصيدة الطويلة غير (١٩) بيتًا وشطر واحد ، إذا استثنينا منها ما رواه الأصفهاني ، مما يؤكد أن ابن أحمر كان يقصّد شعره ، ويطوّله ، ولكن قصائده المطوّلة لم تصل إلينا .

ولعل كثيرا من الأبيات الفرادى ، ومجموعها لدينا نحو (٢٢) بيتًا ، هي مجرد بقايا قصائد مفقودة ، ومن أمثلة ذلك ما أنشده في ركاب ، أودعها « رجلا من بني سعد ، فأغار عليها قوم منهم ، فأخذوها ، ولم يَسْعَ الخَفير فيها »[1] ، فعرّض بهم ، وقال :

فَرُدُّوا ما لَدَيْكُمْ مِنْ رِكابي ولَمَّا تَأتِكُم صَمِّي صَمامِ

ولكنه لم يبق من هذا التعريض غير هذا البيت ، ولا شك أنه لم يكن يتيمًا ، وإنما هو من قصيدة في الأصل .

وابن أحمر غزير الشعر كثيره ، قال الشعر من يفاعته إلى مماته ، ولم يحجم عنه في الإسلام كما فعل لبيد ، ولم تفتر عنه عزيمته ، أو تلن شكيمته ، حتى قال أبو الفرج : « قال في الجاهلية والإسلام شعرًا كثيرًا »[2] ، إلا أنّ هذا الشعر الكثير قد ذهب في ذمة التاريخ ، ولم يبق منه غير (٥٣٥) بيتًا وثلاثة أشطار ، هي مجموع الشعر الذي اطمأن البحث إلى نسبته إليه .

إن ضياع جزء كبير من شعر ابن أحمر يمثل جانبًا واضحا من جوانب محنة جلّى ، رزئ بها على مر العصور تراثنا العربي والإسلامي ، فلو جاءنا وافرًا لجاءنا علم وشعر كثير ، كما قال أبو عمرو بن العلاء[3] . ولم تكن يد الحدثان وحدها تعبث بهذا التراث فحسب . وإنما تتحدث الأخبار عن رواة وضّاعين ومدَّعين منتحلين ، أفسدوا ما أبدعه الأولون ، وشاع بينهم الكذب والوضع والاضطراب في رواية أيّ شيء منه[4] .

* * *

(١) جمهرة اللغة ٢/ ٢٠٦ .

(٢) الأغاني ٢٩٨٠ ، وعنه في الإصابة ٣/ ١١٢ ، وخزانة الأدب ٣/ ٣٩ ، والعبارة فيهما : « قال في الإسلام شعرًا كثيرًا » .

(٣) طبقات فحول الشعراء ٢٥ ، والخصائص ١/ ٣٨٦ .

(٤) انظر : مصادر الشعر الجاهلي ٣٢١ ، ومابعدها .

المصادر والمراجع

المطبوعة :

١ – الاسم والمسمى لابن السيد البَطَلْيَوْسي (٥٢١هـ) . تح : أحمد فاروق . نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : ج٢ ، مج٤٧ ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

٢ – الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ) . ط١ . مصر ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م (مصورة دار إحياء التراث العربي في بيروت دون تاريخ) .

٣ – الأعلام لخير الدين الزركلي . ط٥ . دار العلم للملايين في بيروت ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٤ – الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦هـ) . تح : إبراهيم الأبياري . دار الشعب في مصر ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

٥ – الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي (٥٢١هـ) . دار الجيل في بيروت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

٦ – الأمالي لابن الشجري (٥٤٢هـ) . مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م (مصورة دار المعرفة في بيروت دون تاريخ) .

٧ – البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ (٢٥٥هـ) . تح : د. محمد مرسي الخولي . ط٢ . مؤسسة الرسالة في بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٨ – تاج العروس من جواهر القاموس للمرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) . حققه عدد من الأساتذة المحققين ، ونشرته حتى الجزء الحادي والعشرين وزارة الإعلام في الكويت ، واستعنا بأجزائه الأخرى من الطبعة المصرية المعروفة .

٩ – تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان . ترجمة د. عبد الحليم النجار . ط٤ . دار المعارف بمصر ١٩٧٧م .

١٠ – تثقيف اللسان وتنقيح الجنان لابن مكّي الصقلي (٥٠١هـ) . تح : د. عبد العزيز مطر . المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

١١ – التكملة والذيل والصلة لكتاب (تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري) للصغاني (٦٥٠هـ) تح : عدد من الأساتذة المحققين . مجمع اللغة العربية في القاهرة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

١٢ – التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة بن الحسن الأصفهاني . تح : محمد أسعد طلس ، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م . وهناك نشرة أخرى منه ، حققها الشيخ محمد حسن آل ياسين . ط١ . مكتبة النهضة في بغداد ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

١٣ – تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (٣٧٠هـ) . تح : عدد من الأساتذة المحققين وزارة الثقافة في مصر ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

١٤ – جمهرة أشعار العرب لأبي زيد محمد بن الخطاب القرشي (أواخر القرن الثالث الهجري) دار صادر في بيروت (دون تاريخ) . وهناك نشرة أخرى منه ، حققها علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر في القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م .

١٥ – جمهرة اللغة لابن دريد الأزدي (٣٢١هـ). ط١. مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م .

١٦ – خزانة الأدب لعبد القادر بن عمر البغدادي (١٠٩٣هـ) . دار صادر في بيروت (دون تاريخ) .

١٧ – الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنّي (٣٩٢هـ) . تح : محمد علي النجار . ط٢ . دار الهدى للطباعة والنشر في بيروت (دون تاريخ) .

١٨ – شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (٣٨٢هـ) . تحقيق : عبد العزيز أحمد . ط١ . منشورات البابي الحلبي بمصر ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م . وهناك نشرة أخرى منه ، صدر القسم الأول منها بتحقيق د. السيد محمد يوسف عن مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

١٩ – شعر عمرو بن أحمر الباهلي . تح : د. حسين عطوان . مجمع اللغة العربية بدمشق (دون تاريخ) .

٢٠ – طبقات فحول الشعراء لأبي عبد الله محمد بن سلام الجمحي (٢٣١هـ) . تح : محمود محمد شاكر . دار المعارف بمصر ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

٢١ – عيار الشعر لمحمد بن أحمد بن طباطبا (٣٢٢هـ) . تح : د. طه الحاجري ، ود. محمد زغلول سلام . المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م .

٢٢ – الفهرست لابن النديم (٣٨٥هـ) . دار المعرفة للطباعة والنشر في بيروت (دون تاريخ) .

٢٣ – فهرسة ما رواه عن شيوخه لأبي بكر محمد بن خَيْر الإشبيلي (٥٧٥هـ) . تح : فرنشسكه قداره زيدين ، وخليان ربارة طرغوه . ط٢ . دار الآفاق الجديدة في بيروت ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٢٤ – فهرست مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (١٩٢١ – ١٩٧٥) . مطبعة زيد بن ثابت بدمشق ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

٢٥ – كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله ، المعروف بحاجي خليفة (١٠٦٧هـ) . تح : محمد شرف الدين يالتقايا ، ورفعت بيلكه الكليسي . مكتبة المثنى ببغداد (دون تاريخ) .

٢٦ – كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ للخطيب التبريزي (٥٠٢هـ) . تح : لويس شيخو . المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م .

٢٧ – لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ) . تح : عدد من الأساتذة المحققين . دار المعارف بمصر ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٢٨ – المرصع في الآباء والأمهات والبنين والبنات والأذواء والذوات لابن الأثير (٦٠٦هـ) . تح : د. إبراهيم السامرائي . رئاسة ديوان الأوقاف في بغداد ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

٢٩ – مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية للدكتور ناصر الدين الأسد . ط ٥ . دار المعارف بمصر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م .

٣٠ – المعاني الكبير في أبيات المعاني لابن قتيبة (٢٧٦هـ) . تح : سالم الكرنكوي . ط١ . مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م .

٣١ – معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبي عبيد البكري (٤٨٧هـ) . تح : مصطفى السقا . ط١ . لجنة التأليف والنشر والترجمة في القاهرة ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م .

٣٢ – المؤتلف والمختلف لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي (٣٧٠هـ) . تح : عبد الستار أحمد فراج . دار إحياء الكتب العربية بمصر ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م .

٣٣ – الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر للمرزباني (٣٨٤هـ) . تح : محمد علي البجاوي . دار نهضة مصر ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م .

المخطوطة :

٣٤ – شعر عمرو بن أحمر الباهلي : جزء من رسالة ، أعدت لنيل درجة الماجستير في جامعة دمشق بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الحفيظ السطلي .

٣٥ – مَنْ سمّي من الشعراء عمرًا لمحمد بن داود بن الجرّاح (٢٩٦هـ) مصورة (الفاتح ٥٣٠٣) يحتفظ بهامجمع اللغة العربية بدمشق ، ومن هذه المصورة ثمة نسخة بمكتبتي الخاصة .

المجلات :

٣٦ – « شعر عمرو بن أحمر الباهلي : استدراك ونقد » للدكتور رمضان عبد التواب . مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : ج٢ ، مج ٤٧ ، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .

٣٧ – « المستدرك على دواوين شعراء العرب المطبوعة » للدكتور رضوان محمد حسين النجار . مجلة معهد المخطوطات العربية : ج١ ، مج ٣٠ ، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

* * *

ابن جني
بين ناقديه في تفسير « المتنبي »

عبد السلام السيد حامد*

ابن جني نحوي عظيم . ليس في ذلك خلاف . الخلاف في قدرته على فهم الشعر ووصوله إلى المعنى الشعري المقصود ، وهو ما يدخل في باب الفصاحة والبلاغة .

والواحدي واحد من الذين طعنوا ، وانتقصوا من قيمة الرجل ، ورأوا أنه ظلم المتنبي ظلمًا عبقريًا !

وابن الأثير أيضًا قال فيه وفي النحاة عامة « والنحاة لافتيا لهم في مواضع الفصاحة والبلاغة ، ولا عندهم معرفة بأسرارهما من حيث إنهم نحاة » !!.

أين الحقيقة ؟

هذا السؤال يجيب عليه باحث صَرَفَ جهده للدراسة النحوية للشعر عند ابن جني .

« المجلة »

---

* مدرس مساعد بقسم النحو والصرف والعروض – كلية دار العلوم بجامعة القاهرة . حصل على الماجستير عن دراسة بعنوان « الدراسة النحوية للشعر عند ابن جني » بتقدير ممتاز ، ويعد دراسة للدكتوراه حول « تحليل اللفظ وتقويم المعنى وأثرهما في التراث النحوي » .

يستطيع من يتتبع التصانيف العظيمة والمتنوعة التي تركها النحوي واللغوي الفذ أبو الفتح عثمان بن جني أن يلمح من بينها خمسة كتب في شرح الشعر هى :

التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ، والتمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكري ، والفسر ، والفتح الوهبي على مشكلات المتنبي ، وتفسير أرجوزة أبي نواس في تقريظ الفضل بن الربيع .

ومما لاشك فيه أن دراسة شروح الشعر بصفة عامة – وهي تمثل قسمًا كبيرًا من تراثنا – من جوانب مختلفة لها نتائج عظيمة في مجالات اللغة والنحو والأدب وغيرها ، فضلًا عن أنها تذلل للمشتغلين بهذه العلوم كثيرًا من الصعوبات .

فدراسة شروح ابن جني هذه مثلًا تكشف عن أشياء كثيرة منها – على سبيل المثال –: آراء وتوجيهات متميزة في كثير من المسائل النحوية والأبيات . وكذلك يمكن أن تساعد على فهم مبدأ « شجاعة العربية » ذلك المبدأ الذي أرساه ابن جني في كتابه « الخصائص » وقال عنه : « اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى والتحريف »[1] .

ومن القضايا المهمة التي يمكن لهذه الدراسة أن تسهم في بحثها وتمحيصها قضية النقد الذي وجه لابن جني في تفسير شعر المتنبي .

وتأتي أهمية بحث هذه المسألة من ارتباطها بعلمين مبدعين مبرّزين في تراثنا العربي : أحدهما ابن جني ، صاحب الخصائص وسر صناعة الإعراب والمحتسب ، والآخر المتنبي ذلك الشاعر الذي قيل عنه : إنه ملأ الدنيا وشغل الناس . وحقٌّ ما قيل ؛ فقد شغل الناس وما زال يشغلهم .

لا مرية إذن في أن ارتباط هذا النقد بابن جني في تفسيره لشعر شاعر كالمتنبي يجعل لبحث هذه القضية أهمية خاصة لكي تفهم الفهم الواجب لها ، ولكي يبين ما لابن جني فيها وما عليه .

---

(١) الخصائص ٢/ ٣٦٢ .

وقبل أن نشرع في بيان نماذج وأمثلة من توجيهات ابن جني في شعر المتنبي لنستخرج منها ما تدل عليه ونستنبط منها ما توحى به – نعطي أولًا فكرة موجزة عن الكتابين اللذين فسر فيهما ابن جني شعر المتنبي ، وهما : « الفسر » و « الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي » .

هذان الكتابان يعدان أول شرح لشعر المتنبي ، وكان تأليفهما ثمرة للعلاقة التي جمعت بين ابن جني والمتنبي ، إذ إنهما تعارفا في بلاط سيف الدولة بحلب ، واصطحبا كثيرًا حتى أصبح ابن جني راويته المقرب وشارحه الذي يحيل إليه إذا سئل في شيء من شعره عن معنى غامض أو توجيه إعراب[1] .

وكتاب « الفتح الوهبي » ألف بعد « الفسر » ، وهو عبارة عن تفسير مقتصر على ما رآه ابن جني مشكلًا من أبيات المتنبي أو ما يسمى بأبيات المعاني وما شابهها ، ولم يطل فيه بالشرح التفصيلي اكتفاء بما فعله من هذا في الشرح الكبير (الفسر)[2] .

وأما « الفسر » فهو الشرح الكبير الذي وضعه ابن جني لديوان المتنبي ، وهو أقدم شروحه على الإطلاق ، يقول ابن جني مبينًا منهجه في هذا الشرح :

« وبمشيئة الله وعونه أورد ما أفسره من شعره منظومًا على الحروف المعجمة شيئًا فشيئًا ... وأذكر ما كان شجر بيني وبينه من المباحثة وقت قراءتي ديوانه عليه إلى سوى ذلك مما أحضره من تلخيص وإيضاح وشاهد ونظير ، يكونان سببًا للإفصاح ، وأذم شارد لفظه وأميّز ما يداخل قوة الصنعة من نقص في بعضه ، وأشرح جميع

---

(١) انظر الخصائص (مقدمة التحقيق) ١/ ٢٣ ، ومعجم الأدباء لياقوت ١٢/ ٨٩ .

(٢) انظر : الفتح الوهبي ١٠ ، ٢٥ .

ما يلتبس من شعره ، وأقر كلًا بإذن الله في مقره ، ولا أدع مشكلًا من إعرابه إلا فسرته ، ولا معدنًا من دقيق معانيه إلا أنرته ، ليكون قائمًا بنفسه ومقدما في جنسه »[1] .

وقد أشار الدكتور صفاء خلوصي إلى أن معظم النسخ الموجودة من كتاب « الفسر » التي اعتمد عليها في تحقيقه يبدو أنها في الحقيقة ليست الفسر نفسه ، وإنما هي نسخ مختلفة لمختصر للفسر صنعه – كما ذكر حاجي خليفة – أبو موسى البربري المتوفى في مطالع القرن السابع الهجري .

وقد استنتج هذا من المقارنة بين الاختصار الواضح في نسخ الفسر الموجودة ، وبين ما ذكره حاجي خليفة أيضًا من كلام عن « الفسر » يفهم منه أنه أكبر حجمًا من ذلك ؛ فقد نقل حاجي خليفة عن الواحدي قوله :

« واقتصر في كتابه على تفسير الألفاظ ، واشتغل بإيراد الشواهد الكثيرة ، ومسائل النحو الغريبة حتى اشتمل كتابه على معظم نوادر أبي زيد وأبيات كتاب سيبويه وأكثر مسائله وزهاء عشرين ألفًا من الأبيات الغريبة ... »[2] .

وللواحدي نفسه أيضًا كلام آخر في معنى الكلام السابق يدل كذلك على أن « الفسر » الذي ألفه ابن جني كبير الحجم وليس مختصرًا[3] .

---

(١) الفسر (المحقَّق) ١/ ٣٢ ، ٣٣ ، ونشير هنا إلى أنه لم يصدر منه فيما يبدو إلا جزآن يقف ثانيهما عند الثلث الأول تقريبًا من قافية الدال . لذا اعتمدنا في بقية الكتاب على نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٥٨٦٥ أدب ، وعنوانها : « شرح ديوان المتنبي لابن جني » ، وهي ما أشرنا إليه في الهوامش بالفسر (المخطوط) . هذا وتوجد بمعهد المخطوطات بالقاهرة نسخة مصورة منه برقم ٥٢٦ أدب ، بالعنوان السابق نفسه .

(٢) كشف الظنون ١ : ٨١ . وانظر : الفسر ١/ ٧ .

(٣) انظر : شرح ديوان المتنبي للواحدي ١/ ٤ .

كل هذا ، بالإضافة إلى الكلام الكثير الذي دار حول الكتاب يؤكد ما ذهب إليه الدكتور خلوصي . ولهذا لم أعتمد في تخريج آراء ابن جني في شعر المتنبي على الفسر والفتح الوهبي وحدهما ، وإنما حاولت جمعها قدر ما أمكن من المظان المتاحة في هذا الشأن[1] .

وعلى الرغم من هذا فإن كتاب « الفسر » بهيئته التي بين أيدينا الآن هو وكتاب « الفتح الوهبي » ، نستطيع من خلالهما أن نتلمس برؤية واضحة كافية بذور القضية التي نحن بصددها ، أعني قضية النقد الذي وجه لابن جني في تفسيره وتوجيهه لشعر المتنبي .

وعلى هذا نبدأ أولاً بعرض نماذج من التوجيهات ، معتنين في أغلبها بالتوجيه النحوي ، ثم نعقب على ذلك بما تقتضيه دراسة هذه النماذج من نظر ورأي وتعليق .

أولًا : نماذج من التوجيهات

* توجيهات خاطئة أو بعيدة :

أ – قال المتنبي :

وأكثرُ ما تلقى أبا المسك بِذلةً إذا لم تصن إلا الحديدَ ثيابُ

فسره ابن جني بقوله : « إذا تكفنت الأبطال فلبست الثياب فوق الحديد خشيةً واستظهارًا ، فذلك الوقت أشد ما يكون تبذلًا للضرب والطعن شجاعة وإقدامًا »[2] .

---

(١) من هذه المظان مطبوع ومخطوط . ومن أهم المخطوطات التي رجعت إليها في هذا مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة بعنوان : المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي . وأهمية هذه المخطوطة ترجع إلى أن لها قيمة نقدية كبيرة نظرًا لما قام به الأزدي فيها من نقد لخمسة من شروح ديوان المتنبي ، بالإضافة إلى حفظها لنقول كثيرة من هذه الشروح .

(٢) الفسر : ١/ ٦٢ .

جعل ابن جني الاستثناء هنا مفرغا ، أي أن « الحديد » على توجيهه مفعول به والصون للثياب لا للحديد .

والمعنى لا يصح على هذا ، وإنما يصح – كما قال العروضي – بأن يكون الصون للحديد لا للثياب ، وذلك بأن يكون « الحديد » مستثنى مقدمًا والمستثنى منه محذوفًا لأنه مفهوم ، وتقديره : إذا لم يصن البدنَ إلا الحديدَ ثيابٌ ، وهذا مثل قول الكميت :

ومـــاليَ إلا آلَ أحمد شيعـــةٌ   وماليَ إلا مذهبَ الحق مذهبُ[1]

وإلى هذا الوجه ذهب ابن فورجه أيضًا في نقده لابن جني[2] .

ب – قال المتنبي :

وترى الفضيلةَ لا ترد فضيلةً   الشمسَ تُشرق والسحابَ كَنَهْوَرا[3]

ضبط ابن جني « ترد » بضم التاء ، وعلى هذا أجاز أن تكون مفعولًا ثانيًا لـ« ترى » . و « فضيلة » منصوبة على الحال، أو أن يكون التقدير: وترى الفضيلة غير مردودة (لا ترد) ، ثم قدم وصف النكرة (فضيلة) عليها ، ونصبه على الحال .

أما « الشمس » و « السحاب » فهما عنده إما أن يكونا منصوبين بفعل مضمر كأنه قال : وترى – يعني الباكية المذكورة في البيت السابق – برؤية فضائلك الشمس والسحاب ، وإما أن يكونا بدلًا من « لا ترد » على كونها مفعولًا ثانيًا ، فكأنه قال : وترى فضائلك مثل الشمس والسحاب ، أي نيرة مشرقة بارزة ظاهرة[4] .

ومعنى البيت على كل هذه التقادير: إذا رأت منك الفضيلة مقبولة «غير مردودة كالشمس مشرقة وكالسحاب إذا كان كنهورا... يريد وضوح أمره وسعة جوده»[5] .

---

(١) انظر : شرح ديوان المتنبي للبرقوقي ١/ ٣٢٠ .

(٢) انظر : الفتح على أبي الفتح : ٨٦ .

(٣) الكنهور : القطع العظام من السحاب . الفتح الوهبي : ٨١ .

(٤) انظر : الفسر (المخطوط) ٣١٦ .

(٥) الفتح الوهبي : ٨١ .

وقال ابن فورجه في توجيه معنى البيت : « شبه طلعته لنورها بالشمس وجوده لكثرته بجود السحاب ... يقول : من عادة السحاب إذا اجتمع مع الشمس سترها ، وفيك هاتان الفضيلتان لا ترد إحداهما الأخرى ... فهذا المعنى من الحسن والبيان كما ترى وقد حرف أبو الفتح الرواية إذ لم يفهم البيت »[1] . يقصد أن صواب الرواية بفتح تاء « ترد » لا بضمها .

وكما انتقد ابن فورجه ابن جني هنا انتقده أيضًا الأزدي[2] .

ولقد كانا هما وغيرهما على حق حينما انتقدوه فيما ذهب إليه في إعراب البيت ، وما ترتب عليه من بعد عن فهم المعنى المراد . ويؤكد هذا قول تلميذ ابن جني عمر الثمانيني :

إن هذا البيت من الفارسيات التي لم يقرأها ابن جني على المتنبي . فضم « ترد » عند ابن جني الذي أداه إلى هذا الفهم من اجتهاده وليس رواية[3] .

جـ - قال المتنبي :

أحادٌ أم سداسٌ في أحادِ ... لُيَيْلَتُنا المنوطةُ بالتنادي

فسر ابن جني هذا البيت على أن « في » فيه للضرب الحسابي ، أي كأنه قال لما استطال الليلة : أهذه ليلة واحدة أم ست ، لأن ستًا في واحدة ست ، وأراد بـ « التنادي » : التنادي للرحيل وقود الخيل إلى الأعداء[4] .

والمشهور في هذا تفسير الواحدي ، وهو يرى أن « في » هنا ليست للضرب الحسابي ، وإنما هي بمعنى الظرفية . وعلى هذا تكون الست في الواحدة سبعًا ، فكأنه

---

(١) الفتح على أبي الفتح : ١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) انظر : المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب : ورقتي : ٣٥ ، ٣٦ .

(٣) انظر : الفتح الوهبي : التعليق المنشور معه لعمر الثمانيني : ٨١ .

(٤) انظر : الفسر (المخطوط) : ٢١٤ ، والفتح الوهبي ٥٤ ، ٥٥ .

أراد : أهذه ليلة واحدة أم سبع ، وخص السبع لأنها عدد أيام الأسبوع ، والمعنى العام : أهذه ليلة واحدة أم ليالي الدهر كلها جمعت في هذه الليلة الواحدة حتى طالت وامتدت إلى يوم التنادي ، أي يوم القيامة[1] .

وقد أخذ بهذا التفسير الأزدي وأنكر تفسير ابن جني[2] .

د – قال المتنبي :

فأكبروا فعلَه وأصغرَهُ أكبرُ من فعله الذي فَعَلَهْ

معنى هذا البيت عند ابن جني أنهم استكبروا فعله واستصغره هو ، فالكلام تم عند « أصغره » ، ثم استأنف بعد ذلك فقال : أكبر من فعله الإنسان الذي فعل هذا الفعل ، أي هو أكبر من فعله[3] .

وقد قبل الأزدي هذا الوجه وإن كان قد أجاز وجهًا آخر يفضل في رأيه توجيه ابن جني لخلوه مما فيه – أي توجيه ابن جني – من تقدير التقديم والتأخير ، وهذا الوجه هو أن يكون « أكبر من فعله » فاعلًا لـ « أصغره » والتقدير : وأصغره رجل أو فارس أكبر من فعله الذي فعله[4] .

وانتقد العروضي توجيه ابن جني لعدم اكتمال المعنى عليه ، إذ إنه من المعلوم أن كل فاعل أكبر من فعله ، فهذا كأنه تحصيل حاصل . لذا يرى أن المعنى المراد من البيت على الوجه الصحيح هو : « أن الناس استكبروا فعله ، واستصغره هو ، فكان

---

(١) انظر : شرح ديوان المتنبي للواحدي ١/ ١٣٧ ، والتبيان للعكبري : ١/ ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

(٢) انظر : المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب : ورقة ١٩ . وفي هذا البيت مآخذ كثيرة على المتنبي ، منها : أنه استعمل سداسا على وزن (فعال) ، مع أن المشهور في هذا البناء الاقتصار به على ما دون الخمسة ، ورأى ابن جني في هذا أنه قد حكى كثير من العلماء الثقات هذا الوزن من أحاد إلى عشار . انظر : الفسر (المخطوط) ٢١٤ . وقد قال بهذا الرأي أيضا أبو حيان وقوّاه . انظر : شرح الأشموني : ٣/ ٢٤٠ ، وانظر في المآخذ الأخرى في البيت : مغني اللبيب : ١ / ٤٨ ، والوساطة بين المتنبي وخصومه : ٤٥٧ – ٤٥٩ .

(٣) انظر : الفسر (المحقق) ١/ ١٢ والمخطوط : ٤٨٩ ، ٤٩٠ والفتح الوهبي ١٣٢ .

(٤) انظر : المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب : ورقة ٤ .

استصغاره لما فعل أحسن من فعله ، كما تقول : أعطاني فلان كذا وكذا واستقلّه ، فكان استقلاله لذلك أحسن من إعطائه »[1] .

وعلى هذا الوجه تكون « الذي » في البيت بمعنى (ما) . وهي في تفسير ابن جني بمعنى (مَنْ) ، وهذا هو الذي أدى إلى بعد توجيهه[2] .

ولاشك أن المعنى على توجيه العروضي أفضل منه على توجيهي ابن جني وابن معقل .

هـ) قال المتنبي :

شديدُ البعد من شرب الشَّمولِ   تُرُنْجُ الهند أو طَلْعُ النخيـلِ[3]

وجه ابن جني هذا البيت على أن تقديره : أنت شديد البعد من شرب الشمول ، ثم استأنف بعد ذلك فقال : بين يديك ترنج الهند أو طلع النخيل ، فحذف من الشطر الأول المبتدأ (أنت) وحذف من الثاني الخبر (بين يديك) ، وسوغ حذف هذا الخبر دلالة بالحال حيث إنه مشاهد ، كما تقول إذا رأيت رجلًا قد سدد سهمًا : سمعت صوت القرطاس والله ، أي والله أصاب القرطاس[4] .

وأنكر ابن فورجه توجيه ابن جني هذا وفنّده لأنه يرى فيه تكلفًا لا اضطرار إليه ، وإنما الصحيح في رأيه أن « شديد البعد » مبتدأ و « ترنج الهند » خبره أو العكس .

وهو يرى أن الذي أوقع ابن جني في توجيهه البعيد هذا أمران كلاهما يسير ، الأول : حذف الظرف المقدر بـ« عندك » بعد « ترنج الهند » . والذي سوغه دلالة الحال عليه – كما قال هو في مثله – ثم دلالة (أل) في ترنج الهند أيضًا ، ومعنى هذا الكلام أنه أراد : شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند عندك أو هذا الحاضر الذي يعرفه المخاطب .

---

(١) شرح ديوان المتنبي للواحدي : ١/ ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(٢) انظر المصدر السابق ، والتبيان : ٣/ ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٣) الشمول : من أسماء الخمر . والترنج : لغة في (الأترجّ) وهو ثمر من جنس الليمون . انظر : شرح ديوان المتنبي للبرقوقي : ٣/ ٢١٣ .

(٤) انظر : الفسر (المخطوط) ٤٢٨ ، والفتح على أبي الفتح : ٢٢٣ .

وأما الأمر الثاني فهو قوله « شرب الشمول » لأن الأترج لا يشرب وإنما يشرب الناس عليه الخمر ، وهنا بين ابن فورجه أن « شرب » مصدر مضاف إلى المفعول كما في نحو : أعجبني دق الثوب ، أي دقّ القصّار الثوبَ . وعلى هذا فكأنه قال : ترنج الهند بعيد من شرب الناس الخمر عليه[1] .

و) قال المتنبي :

وقَتلْن دَفرًا والدُّهَيْمَ فما تُرى ... أُمُّ الدهيم وأُمُّ دَفْرٍ هابـلُ[2]

يرى ابن جني في توجيهه للبيت أن الكلام تم عند الشطر الأول ، وأراد : فما تُريان ، فقال : « فما ترى » اكتفاء بضمير الواحد عن الاثنين ، نحو قول الآخر :

لِمَـن زُحْلوقـةٌ زُلُّ ... بها العينـان تنهلُّ

فقال : « تنهل » لا (تنهلان) للعلة السابقة .

أما الشطر الثاني ، فتوجيهه أن « أم الدهيم » مبتدأ خبره « هابل » و « أم دفر » مبتدأ آخر ، خبره محذوف والتقدير : أم الدهيم هابل وأم دفر كذلك[3] .

ولابن فورجه رأي في هذا يتفق فيه مع توجيه ابن جني في الشطر الأول . أما الشطر الثاني فهو عنده على تقدير زيادة « أُمّ » الثانية للتوكيد ، فكأنه أراد : أم الدهيم ودفرٍ هابل ، بعطف « دفر » على « الدهيم » . ويدل على هذا أنه قال : « هابل » ولم يقل : هابلتان .

ويرى الواحدي أن الأحسن من توجيه ابن فورجه هذا أن يكون الشطر الأول

---

(١) انظر : الفتح على أبي الفتح : ٢٢٢ - ٢٢٤ .

(٢) الدفر والدهيم : من أسماء الدواهي . وهابل : من (الهَبل) وهو الثكل . ومعنى البيت : قضت مكارم الممدوح على الدواهي وشدائد الأمور حتى فنيت وكأن لها أمهات صارت بذلك ثاكلة لها . انظر الفسر (المخطوط) : ٤٨٠ ، والتبيان : ٣/ ٢٥٦ .

(٣) انظر : الفسر (المخطوط) : ٤٨٠ ، والتبيان : ٣/ ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

متصلًا بالثاني فتكونَ « أم الدهيم » نائب فاعل لـ « ترى » ، ثم يبتدأ بعد ذلك بقوله « وأم دفر هابل » . وهذا يغني عن التكلف في الموضعين[1] .

ملاحظـــة :

إذا حاولنا أن نخرج بتصور من خلال هذه النماذج عن أسباب عدم إصابة نحوي كابن جني في فهم المعنى الصحيح في هذه الأبيات ، سواء كان فهمه خطأً واضحًا أو معنى مقبولًا ولكنه بعيد – نجد أن هذه المحاولة تأتي رغبة في الوصول إلى إدراك جانب من جوانب العلاقة بين النحو – وهو هنا يتمثل في النشاط الإعرابي الذي يقوم به ابن جني – والمعنى ، أو على وجه التحديد بين النحو بهذا المفهوم وفهم النص .

إننا من الممكن أن نرجع تفسير هذه المسألة عند النظر في الأبيات السابقة وما دار حولها إلى سببين رئيسين :

أحدهما : يعود إلى النحوي – وهو هنا ابن جني .

والآخر يعود إلى شيء في النص نفسه .

فأما ما يعود إلى ابن جني فهو ما يتمثل في الخطأ الصريح في فهم المعنى وذلك حينما يكون المعنى لا يحتمل إلا وجهًا واحدًا . ويتضح هذا في توجيه ابن جني للبيت (أ) . وقد يوجد هذا في مواضع أخرى في عدم القدرة على التصور الذهني للمعنى الصحيح الذي ينفي كل الوجوه الأخرى المحتملة . ونجد هذا فى توجيه ابن جني للأبيات (ب) ، و (جـ) ، و (د) ، و (و) .

وللعجلة والتعسف دور كبير في الوقوع في مثل هذين الأمرين ، كما أشار إلى هذا ابن فورجه في نقده لابن جني في البيت الأول من الأبيات السابقة (أ)[2] .

---

(١) انظر : شرح ديوان المتنبي للواحدي : ١/ ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(٢) انظر : الفتح على أبي الفتح : ٨٦ .

وأما ما يعود إلى شيء في النص فهو احتواء التركيب على قدر غير يسير من الغموض قدِ يكون سببه اختزال بعض العناصر بالحذف مما يظهر التركيب في صورة معقدة بعض الشيء ، كما هو الأمر في البيت (هـ) .

وقد ينشأُ هذا الغموض نتيجة إبهام بعض العناصر التركيبية كما في قول المتنبي :

فَأَكْبَـــروا فعلَـــه وأصغـــرَه أكبرُ من فعله الذي فعلَـــهْ

فاسم الموصول هنا مبهم لأنه يحتمل أن يكون بمعنى (من) أو (ما) . ويضاف إلى هذا تكرار مادة (فعل) وهي لا تحدد في ظاهرها ما يقصد بها ، هذا مع الإبهام الناتج عن كثرة الضمائر في البيت .

ومن الممكن أن يضاف إلى ما يرجع إلى شيء في النص هنا بصفة عامة خفاء كثير من معاني شعر المتنبي كما أشار إلى هذا الواحدي[1] .

والذي نخرج به من هذا أن أسباب عدم التوفيق في فهم المعنى الصحيح منها ما لا يد للنحوي أو الشارح – وهو هنا ابن جني – فيه ؛ فقد يكون في النص ما يؤدي إلى ذلك .

*** توجيهات مقبولة :**

أ) قال المتنبي :

لا أُقمنا على مكانٍ وإن طـ ـــابَ ولا يُمكنُ المكانَ الرحيلُ

قال ابن جـني : « أي لم نقم ، كقول الله سبحانه : « فلا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى » أي : لم يصدق و لم يصل . ويجوز أن يريد به المستقبل كأنه قال : والله لا أقمنا فجعله قسمًا ، ويجوز أن يكون دعاءً كما تقول : لا شفاه الله »[2] .

---

(١) انظر : شرح ديوان المتنبي للواحدي : ١/ ٣ .

(٢) الفتح الوهبي : ١٢٠ ، وانظر : الفسر (المخطوط) : ٤٤٦ .

فابن جني وضع احتمالات ثلاثة تفسر بها « لا » في البيت ، ومعظم شراح المتنبي لا يخرجون عن هذا ، فلابن جني في هذا فضل السبق .

وعلى الرغم من ذلك نجد نقدًا من ابن فورجه له في هذا الموضع يفهم منه أن ابن جني لم يجز غير أن تكون « لا » بمعنى « لم » وأن الصحيح عنده - أي ابن فورجه - أن تكون « لا » في البيت على أحد وجهين : إما أن تكون جوابًا لقسم محذوف وإما أن تكون للدعاء[1] .

وبيِّنٌ أن هذين الوجهين اللذين اختارهما ابن فورجه من الأوجه الثلاثة التي ذكرها ابن جني ، وكأن ابن فورجه لم يتنبه - لسبب ما - إلى هذا .

(ب) قال المتنبي :

أحيا وأيسرُ ما قاسيتُ ما قَتَلا والبينُ جارَ على ضعفي وما عَدَلا

لابن جني في توجيه قوله « أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا » رأيان :

الأول : أن يكون « أحيا » جملة فعلية خبرًا لمبتدأ محذوف ، وكأنه أراد الإخبار عن نفسه ، فقال : أنا أعيش وأيسر ما قاسيت ما قتل ، أي أقل ما قاسيته قاتل وأنا مع ذلك أحيا .

والثاني : أن يكون « أحيا » أفعل التي للتفضيل . وعلى هذا يكون الكلام على تقدير تقديم وتأخير ، أي : الشيء الذي يقتل هو أحيا وأيسر ما لاقيته . وإذا حمل على هذا يكون قد عطف المضاف (أفعل التفضيل - أيسرُ) على مثله قبل تمام الإضافة . لذا يقدر للمضاف الأول مضاف إليه محذوف والتقدير : أحيا ما لاقيت وأيسر ما لاقيت ، ومثل هذا لا يجوز إلا في الشعر[2] .

---

(١) انظر : الفتح على أبي الفتح : ٢٤٣ .

(٢) انظر : التبيان : ٣/ ١٦٢ .

وقد أخذ بالوجه الأول الواحدي[1] ، وأجازه ابن سيده هو والوجه الثاني[2] .

ولابن الشجري رأي آخر في ذلك ، فهو يرى أن « أحيا » ، فعل مضارع للمتكلم وجملة « أيسرُ ما قاسيت ما قتلا » في محل نصب حال من الضمير في « أحيا » ، والمعنى على هذا : أعيش وأقل ما قاسيته في الهوى الشيء الذي قتل المحبين[3] .

وأجاز ابن سيده بالإضافة إلى الوجهين اللذين ذكرناهما له وجهًا ثالثًا ، وهو أن يكون « أحيا » فعلًا مضارعًا أيضًا ، ولكن على تقدير حذف همزة الاستفهام منه ، أي : أأحيا وأيسر ما لاقيته قاتل . والاستفهام هنا للتعجب أو الإنكار[4] .

وعلى هذا الوجه مثل أو استشهد - على الاختلاف في هذا - ابن هشام بهذا البيت على جواز حذف همزة الاستفهام[5] .

وعلى ذلك تكون جملة الأوجه التي ذكرناها في الشطر الأول من البيت أربعة .

(جـ) مدح المتنبي أبا العشائر بأبيات لم يذكر فيها كنيته ، فقال له قوم : « ما كناك وإنما تعرف بكنيتك » فقال المتنبي :

قالوا : أَلَمْ تَكْنِهِ فقلتُ لَهُمْ ذلك عِـــيٌّ إذا وصفنـــاهُ

معناه : أنهم أنكروا عليه تركه ذكر كنيته التي يعرف بها ، فقال إن وصفه يغني عن ذكر كنيته حتى ليصبح ذكرها عيًا .

وقد أشكل قول المتنبي « ألم تكنه » لأن همزة الاستفهام في مقام التوبيخ والإنكار إذا دخلت على موجب نفته كما في قوله تعالى : « أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ »[6] ، وإذا

---

(١) انظر : شرح ديوان المتنبي للواحدي ١/ ٢٤ .

(٢) انظر : شرح المشكل من شعر المتنبي لابن سيده : ٣٥ .

(٣) انظر : الأمالي الشجرية : ١/ ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(٤) انظر : شرح المشكل : ٣٥ .

(٥) انظر : مغني اللبيب : ١/ ١٥ .

(٦) المائدة : ١١٦ .

دخلت على منفي ردته إلى الإيجاب ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾[1] ، وإذا كان الأمر كذلك كان قوله « ألم تكنه » معناه : كنيتَه . وليس هذا صحيحًا لأنهم ينكرون عليه تركه تكنية أبي العشائر لا أنه كناه . ففي هذا إذًا اختلال في التركيب ، لأنه نقض للأصل[2] .

وأجاب ابن جني عن هذا بأنه أراد الاستفهام المحض وكأنهم سألوه : لِمَ لَمْ تكنه . قال ابن جني : « إنما خاطبوه بذلك مخاطبة المستفهم له لا المنكر عليه تركه الكنية حتى إذا هو اعترف لهم ألزموه الذنب باعترافه على نفسه من لفظه ... »[3] .

ورأي ابن فورجه في هذا هو نفس رأي ابن جني ، وقد قال الواحدي معقبًا عليه : « والاستفهام الصريح لا يكون بالنفي ، لأنك إذا استفهمت أحدًا : هل فعل شيئًا ، قلت : هل فعلت كذا ؟ ولم تقل : ألم تفعله ؟ »[4] .

وذهب أبو العلاء المعري إلى أن الوجه الذي يصرف إليه قول المتنبي هذا هو ما أجازه الكوفيون من أن (لَمْ) إذا دخل عليها الاستفهام يظل النفي فيها كما هو ولا ينتقل معناه إلى الإثبات كما حمل على هذا قول الأعشى :

أَلَمْ تغتمضْ عيناك ليلةَ أرمدا وبِتَّ كما بات السليم مُسهَّدا

معناه على ذلك الوجه : لم تغتمض عيناك[5] . ورأي أبي العلاء هذا مقبول مرضي ولا تكلف فيه .

ويرى أبو العباس الأزدي أن ابن جني وهم في فهم المعنى لأن الكناية في البيت ليست من الكنية التي هي (أبو فلان) وإنما هي من (الكناية) بمعنى الإضمار ،

---

(١) الزمر : ٣٦ .

(٢) انظر : الفسر (المخطوط) : ٩٦٤ ، والتبيان : ٤/ ٢٦٦ .

(٣) الفتح الوهبي : ١٨٤ ، ١٨٥ ، وانظر : الفسر (المخطوط) : ٦٩٤ .

(٤) شرح ديوان المتنبي للواحدي : ١/ ٣٦٩ ، ٣٧٠ .

(٥) انظر : عبث الوليد للمعري : ٢٢٠ ، ٢٢١ .

ويقصد بهذا إضمار اسم الممدوح وترك ذكره . وعلى هذا فمعنى « ألم تكنه » التقرير والإيجاب ، أي كأنهم قالوا له مستنكرين : إنك كنيته أي أضمرت ذكر اسمه و لم تظهره ، فقال لهم : إننا إذا وصفناه وأظهرنا اسمه فذلك عِيّ[1] .

(د) قال المتنبي :

كفى ثُعَلا فخرًا بأنّك منهمُ ودهرٌ لأنْ أمسيتَ من أهله أهلُ

رواية ابن جني لـ « دهر » بالرفع . ووجهها عنده أنها فاعل لفعل محذوف تقديره : وليفخر دهر مستحق لأن كنت من أهله . وجاز إضمار هذا الفعل لدلالة ما قبله عليه ، لأن قوله « كفى ثعلا فخرا » معناه : لتفخر بكونك منهم ثعل[2] .

ورفض ابن فورجه رواية ابن جني وإعرابه ، وتمسك برواية أخرى هي « دهرًا » بالنصب عطفًا على « ثعلا » ، وتكون « أهل » خبرًا لمبتدأ محذوف ، كأنه قال : وكفى دهرًا هو لأن أمسيت من أهله أهل فخرًا[3] . وهذا رأي المعري أيضًا[4] .

ولكن ما رضيه ابن فورجه والمعري ضعّفه ابن هشام واستبعده لما فيه من تعسف بعطف « دهرًا » على « ثعلًا » ، وهو مفعول متقدم على الفاعل (أنك منهم) بما فيه من اسم أن وخبرها[5] .

وفي إعراب هذه الكلمة توجيهات أخرى على النحو التالي :

أجاز الربعي أن تكون مرفوعة على الابتداء ويكون الخبر محذوفًا والتقدير : ودهر أهل فاخر بك أو : ودهر أهل يفخر بك .

وأجاز أيضا أن تكون بالنصب عطفا على اسم (أن) ويكون « أهلُ » خبره .

---

(١) انظر : المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب : ورقتي ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) انظر : الفسر (المخطوط) ٤٥٧ ، ٤٥٨ والفتح الوهبي : ١٢٦ .

(٣) انظر : الفتح على أبي الفتح : ٢٥٠ ، ٢٥١ .

(٤) انظر : التبيان : ٣/ ١٩٠ .

(٥) انظر : مغني اللبيب : ١/ ١٠٧ .

وأجاز هو وابن الشجري أن تكون « دهر » بالرفع معطوفة على فاعل « كفى » ، وهو المصدر المقدر من (أن) مع اسمها وخبرها على اعتبار أن الباء زائدة ، والتقدير : كفى ثعلًا فخرًا كونك منهم ودهر مستحق لأن أمسيت من أهله ، أي وكفاهم فخرًا دهر أنت فيه[1] .

وهذه التوجيهات المختلفة في البيت تدلنا على شيئين :

– أن الوجه الذي ذهب إليه ابن جني مقبول حسن ، وذلك إذا قارناه بالأوجه الأخرى التي أجيزت على الرفع .

– أنه لا ينبغي أن نعتقد أن مثل هذه التوجيهات – إذا استثنينا منها ما استبعده ابن هشام – تمثل عبئًا في إعراب البيت وفهم معناه ؛ لأن هذا نتج عن شيئين اجتمعا في آن واحد :

الأول : الحاجة إلى تحديد المعنى الوظيفي لكلمة « دهر » وهي محتملة بنفسها لأكثر من وجه لوجودها في نمط تركيبي معين جعلها من الممكن أن تدخل فى علاقات مختلفة متشابكة مع بقية أجزاء التركيب الأخرى .

والثاني : كثرة المعربين للكلمة وهي بهذه الصفة ، فقد بلغ عدد من ذكرناهم في إعرابها من النحاة وغيرهم خمسة ، هذا بالإضافة إلى اجتماع روايتين فيها .

إذا كان الأمر كذلك لا نعجب من أن تبلغ الأوجه التي وجهت بها هذه الكلمة أكثر من أربعة ، وهذا شيء وارد في النصوص المشهورة ، التي يتكاثر عليها الشراح والمفسرون والمعربون كديوان المتنبي .

ويؤنس بقبول هذه الأوجه أنها مهما حملت في ثناياها فروقًا دقيقة في المعنى – تدور حول معنى واحد رئيس ، هو أن المكان والزمان يفخران بهذا الممدوح أو أن هذا الممدوح فخر وشرف للمكان والزمان .

وما قيل عن هذا البيت يقال عن كل بيت أو موضع لهما نفس ملابساته .

---

(١) انظر : التبيان ٣/ ١٩٠ . ولابن الشجري في البيت وجه آخر من رأيه وليس رواية . انظر : الأمالي الشجرية : ١/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

ثانيا : تحليل وتعليق

تقودنا آراء ابن جني إلى الحديث عن جانب مهم من جوانب النحو الإعرابي عنده ، وهو النقد الذي وجه له في شرحه لشعر المتنبي بصفة خاصة . وأهم ما أخذ عليه في هذا النقد شيئان :

أحدهما جانب تفسيري ، ويقصد به أن ابن جني لا يحسن فهم المعنى ولا تفسير الشعر .

والآخر أنه اهتم في شرحه باللغة والنحو على حساب الاهتمام بجوانب المعنى[(١)] .

قال الواحدي : « فأما ابن جني فإنه من الكباز في صنعة الإعراب والتصريف والمحسنين في كل واحد منهما بالتصنيف ، غير أنه إذا تكلم في المعاني تبلّد حماره ولج به عثاره ، ولقد استهدف في كتاب (الفسر) غرضًا للمطاعن ونهزة للغامز والطاعن »[(٢)] .

والسبب في هذا أنه – كما نقل صاحب (كشف الظنون) – اقتصر فيه « على تفسير الألفاظ واشتغل بإيراد الشواهد الكثيرة ، ومسائل النحو الغريبة حتى اشتمل كتابه على معظم نوادر أبي زيد وأبيات كتاب سيبويه وزهاء عشرين ألفًا من الأبيات الغريبة وحشاه بحكايات باردة لا يحتاج في تفسير هذا الديوان إلى شيء منها »[(٣)] .

ومثل قول الواحدي السابق قول الوحيد عن المتنبي وشرح ابن جني لديوانه « وننصفه من هذا المتولي لشرح شعره – يعني ابن جني – فقد ظلمه ظلمًا عبقريًا »[(٤)] .

---

(١) انظر : تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .
(٢) شرح ديوان المتنبي للواحدي ١/ ٤ .
(٣) كشف الظنون ١/ ٨١١ .
(٤) الفسر : (حاشية مطبوعة معه للوحيد) ١/ ٢٣ .

إننا نريد أن ننظر في حقيقة هذا النقد : أهو صواب من جميع جوانبه أم أن فيه تعسفًا وتجنيًا على ابن جني ؟، إذ إن هذا النقد أخذ شكلًا آخر ، فقد وجدنا ابن الأثير يهاجم ابن جني هجومًا عنيفا ويعرض بقدرته على الخوض في فن الفصاحة والبلاغة حينما أغرب ابن جني أو جانبه الصواب في تفسيره لقول المتنبي :

تبلُّ خديَّ كلما ابتسمتْ من مطر بَرْقُه ثناياها

فقد خطأ ابن الأثير ابن جني في تفسيره لهذا البيت بعبارة لاذعة بقوله : « لكن فن الفصاحة والبلاغة غير فن النحو والإعراب »[1] .

هذا النقد لابن الأثير يدور في فلك النقد السابق ، بالإضافة إلى أن فيه تعريضًا بمكانة ابن جني وإسهامه في مجال البلاغة والمعاني ؛ لأن معنى العبارة السابقة أن ابن جني – لأنه نحوي معرب – لا يحسن أن يفسر معاني الشعر لأن من يتكلم في هذه المعاني لابد أن يكون ملمّا بفن الفصاحة والبلاغة ، والنحاة ليسوا كذلك .

ويؤكد هذا قوله في موضع آخر عنهم : « والنحاة لا فتيا لهم في مواضع الفصاحة والبلاغة ولا عندهم معرفة بأسرارهما من حيث إنهم نحاة »[2] .

أين الحقيقة ؟

أين الحقيقة إذًا في هذا النقد ، وما قيمة اختلاف التوجيه بالنسبة للنحو وتفسير النص ؟

---

(١) انظر : المثل السائر : ٢/ ١٠٧ ، ١٠٨ . ومعنى البيت على تفسير ابن جني أنها كانت مكبة عليه معانقة له فحينما تضحك يبل ريقها خديه .

انظر : الفسر (المخطوط) ٦٩٦ والفتح الوهبي : ١٨٧ . والذي يراه ابن الأثير أن في البيت استعارة جميلة حيث عبر عن دموعه بالمطر ، والمعنى على هذا – كما ذكره صاحب (التبيان) –: « دموعي كالمطر تبل خديّ ، كلما ابتسمت بكيت ، فكأن دموعي مطر برقه بريق ثناياها ، أي كأن بكائي في حال ابتسامها » . التبيان : ٤/ ٢٧١ .

(٢) المثل السائر : ٣/ ١٣ .

أولا : قبل أي شيء نشير إلى أن الانتقاد الذي وجه لابن جني في شرحه لشعر المتنبي بصفة عامة لا يخلو من التعسف وعدم الاعتدال .

فأما فيما يتصل بما أخذ عليه في الجانب التفسيري فنحن لا ننكر أنه لم يوفق أحيانًا في تفسير بعض معاني أبيات من شعر المتنبي ، ولا ندفع أنه كان يميل ويلجأ إلى أوجه بعيدة متكلفة ، وقد تحدثنا عن هذا ، ولكن أيًا كان الأمر فإن اتهامه بالسخف وتبلد الحمار واللجاج في العثار يعد تجنيًا عليه[1] . وهو إن جانبه الصواب في تفسير بعض الأبيات ، فقد أصاب في مواضع كثيرة بحيث كانت توجيهاته أحيانًا لا تقل سدادا عن توجيهات غيره ممن نقدوه . وبهذا تكون هذه التوجيهات المتعددة معا معبرة عن تفسيرات مقبولة لموضع واحد ، وهذا أمر مشروع في تفسير النصوص ومحاولة فهمها . وما هو أخيرًا إلا شارح مثله مثل غيره يصيب ويخطىء .

وربما يعود ما رُمي به ابن جني هنا من قلة إحسانه في جانب تفسير المعنى إلى الفكرة العامة عن النحاة التي مؤداها أن النحوي لا يهتم إلا بالخطأ والصواب ، وأنه لا يفاضل عند تفسير النص بين عدة احتمالات مختلفة ولا يعنيه من ذلك الجيد والرديء لأنهما مسألتان تعنيان فقط الناقدَ والشاعر[2] .

وعلى افتراض صحة مثل هذا الكلام ؛ فإن ابن جني ينبغي أن يمَّيز عن غيره في ذلك ، وبالتالي يجب أن يفهم فهمًا صحيحا ذلك النقد في الجانب التفسيري الذي وجه له ، وخاصة نقد ابن الأثير ، فعدم توفيق ابن جني في تفسير بعض مواضع من شعر المتنبي لا يعني أولًا أنه لا يحسن التفسير أو فهم معاني الشعر وغيره ؛ فابن جني علم بارز في مجال البحث الدلالي له جهود نظرية وتطبيقية متميزة لا يمكن إنكارها[3] ، وكذلك هو معدود في النحاة الذين كان لهم أثر كبير في الدرس

---

(١) انظر : النقد المنهجي عند العرب : ١٩٦ .

(٢) انظر : نظرية المعنى في النقد العربي : ١٣ .

(٣) انظر في ذلك : الدرس الدلالي في خصائص ابن جني .

البلاغي على كثير من البلاغيين حتى ابن الأثير نفسه[1] . ولا يعني هذا ثانيًا التشكيك في قدرة النحو ودوره في تفسير النصوص إذا وظف توظيفًا جيدًا في إدراك مواضع البلاغة والبيان فيها . وهذه مسألة بيناها فيما سبق وضربنا لها أمثلة من تحليلات ابن جني نفسه .

ثانيا : أما ما أخذ على ابن جني من اهتمامه الكبير بالجوانب اللغوية إذا ما قورنت بالجوانب الأخرى ، فإن هذا لا يعد مأخذًا إذا وضعنا في الاعتبار ما بيناه من قبل من أن الشروح تختلف مادتها التحليلية بحسب اهتمام الشارح ، أي أن ابن جني بما أنه نحوي في المقام الأول ، فلا ينبغي أن ننكر عليه أن يكون النصيب الأوفى في هذه الشروح لمسائل النحو والتصريف . وهذا يبين لنا سبب كون كل شروح ابن جني لا شرحه لديوان المتنبي فقط بهذه الصفة غالبًا .

وهذا الذي عُدّ عيبًا مِنْ وجهة نظر نقاد ابن جني قد يكون مزية عند اللغويين والنحاة ، وخاصة بالنسبة لنا ؛ لأن الشروح إذا كانت بهذه الصفة تعد مجالًا خصبًا لتتبع دراسة النحاة القدماء لنصوص اللغة في العصور المختلفة .

وعلى الرغم من كل هذا النقد الذي وجه لابن جني ، فإن شرحه لشعر المتنبي تظل له أهمية من نواح متعددة وخاصة أنه الشرح الأول الذي قرب شعر المتنبي للفهم والذي مهد السبيل للشروح الأخرى التي أخذت عنه .

كما أن هذا النقد – على الرغم من أنه مس ابن جني بحق أو بغير بحق – كانت فيه فائدة من ناحية أخرى لأنه أنعش الحركة النقدية والتفسيرية حول شعر المتنبي ، وذلك لأن مثل هذه الاختلافات والردود مثلت « محاولات لقراءة شعر المتنبي من زوايا مختلفة على مر الزمن »[2] .

---

(١) انظر : أثر النحاة في البحث البلاغي : ٢٧٦ – ٣٣٨ .

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

وإذا أدركنا أن التوجيه النحوي كان قسمًا كبيرًا في مجال الأخذ والرد في هذه الحركة النقدية – تبين لنا أن أهم ما يعطيه لنا النحو الإعرابي عند ابن جني في شعر المتنبي من هذه الناحية هو :

– المثال المختلف الجوانب لتعدد أوجه الإعراب واختلاف الأقوال والتوجيهات بين شراح شعر المتنبي ومحلليه بمختلف اتجاهاتهم واهتماماتهم ، وأثر كل هذا وتوظيفه في تفسير الشعر ونقده .

– النموذج لدراسة انعكاس هذه الأوجه المتعددة وهذه الاختلافات وآثارها وقيمتها بالنسبة للنحو .

* * *

أهـم المراجـع

– أثر النحاة في البحث البلاغي ، د. عبد القادر حسين . القاهرة : دار نهضة مصر .

– الأمالي الشجرية ، لابن الشجري . حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٩ .

– تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، د. إحسان عباس .ط٣ . بيروت : دار الثقافة ، ١٩٨١ .

– التبيان في شرح الديوان للعكبري ، ضبطه وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي . ط٢ . القاهرة : مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م .

– الخصائص ، صنعة أبي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق محمد علي النجار . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

– الدرس الدلالي في خصائص ابن جني ، د. أحمد ياقوت . الإسكندرية : دار المعرفة الجامعية .

– شرح ديوان المتنبي (الفسر) ، لابن جني . (مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية ، برقم ٥٨٦٥ أدب . ومنها مصورة في المعهد ، برقم ٥٢٦ أدب) .

– شرح ديوان المتنبي (الفسر) لابن جني ، تحقيق د. صفاء خلوصي . بغداد : دار الشئون الثقافية ، ١٩٨٨ .

– شرح ديوان المتنبي ، لعبد الرحمن البرقوقي . بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٩٨٠ .

– شرح ديوان المتنبي ، للواحدي . برلين ، ١٩٨١ .

– شرح المشكل من شعر المتنبي ، لابن سيده ، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .

– عبث الوليد ، لأبي العلاء المعري ، تعليق محمد عبد الله المدني . دمشق : مطبعة الترقي ، ١٩٣٦ .

– الفتح على أبي الفتح ، لابن فورجه ، تحقيق عبد الكريم الدجيلي . بغداد ، ١٩٨٧ .

– الفتح الوهبي على مشكلات المتنبي ، لابن جني ، تحقيق د. محسن غياض . بغداد : دار الشئون الثقافية ، ١٩٩٠ .

– كشف الظنون ، لحاجي خليفة . الآستانة ، ١٣٦٠هـ .

– المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي . مصورة محفوظة في المعهد .

– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، لابن الأثير ، تحقيق د. أحمد الحوفي ، ود. بدوي طبانة . القاهرة : دار نهضة مصر .

– نظرية المعنى في النقد العربي ، د. مصطفى ناصف . ط٢ . بيروت : دار الأندلس .

– النقد المنهجي عند العرب ، د. محمد مندور . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨ .

تعليقات على المواضع في شعر الأحوص الأنصاري (٣)

الشيخ حمد الجاسر*

صدر « شعر الأحوص الأنصاري » في عام ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، في طبعة مزيدة ومنقحة ؛ بتحقيق د. عادل سليمان جمال .

وقد قام الشيخ حمد الجاسر - أطال الله عمره - بتحرير تعليقات قيمة على المواضع المذكورة في شعر الأحوص ، والواقعة في الجزيرة ، متتبعًا مانَدَّ عن د. عادل .

نشرت المجلة هذه التعليقات في المجلدين ٣٤ و ٣٥ ، وتنشر في هذا المجلد الجزء الثالث والأخير منها .

« المجلة »

* علم من أعلام الدراسات الجغرافية التراثية ، وبخاصة في ميدان تحديد المواضع الواقعة في الجزيرة العربية . ألف الكثير ، وحقق نصوصًا عديدة من التراث الجغرافي العربي .

٦١ - قُبَاء : (٨٩)

وَلَهَا مَرْبَعٌ بِبُرْقَةِ خَاخٍ وَمَصِيْفٌ بِالْقَصْرِ قَصْرِ قُبَاءِ

(.. قُباءُ : قرية على ميلين من المدينة ، على يسار القاصد إلى مكة) .

يصح هذا التعريف في عهد ياقوت الحموي - القرن السادس الهجري . أما الآن فقد اتسع عمران المدينة ، حتى شمل تلك القرية ، فأصبحت إحدى مَحلاتها الداخلة في مسماها ، وكان موقعها قبل امتداد العمران يبعد عن موقع المسجد النبوي نحو ميلين - ستة أكيال تقريبا - .

٦٢ - قُدَيْد : (١٤٢)

أَلَا طَرَقَتْنَا بِالْمُوَقَّرِ شَعْفَرُ وَمِنْ دُوْنِ مَسْرَاهَا قُدَيْدٌ وعَزْوَرُ

(قُدَيْد : مَوْضِعٌ قُرْبَ مَكَّةَ) - والمصدر « معجم البلدان » لم يذكره الدكتور كمال ، وإنما ذكره الدكتور السَّامَرَّائي .

١ - شهرة قُدَيْدٍ وبقاء اسم موضعه معروفا لكونه المنزلة الثالثة للمتجه من مكة إلى المدينة ، فالأولى مرُّ الظهران (وادي فاطمة) والثانية عُسفَان ، والثالثة قُدَيْد ، والمسافة لهذه المراحل حين كانت تقطع بسير الإبل : ١٣ + ٢٣ + ٢٣ = ٥٩ ميلا إلى قُدَيْد .

وَعُرفت قديد إلى عهد قريب بأنها ضعيفة في متسع من وادٍ ، ولهذا كان من أمثال الجمَّالين الذين ينقلون المسافرين في هذا الطريق : (ما أخسَّ من قُدَيد إلا عسفان) ولا شك أن الخساسة هنا يقصد بها الضعف لا الحقارة ، فالموضعان أكرمهما الله بكونهما ممن شرف بتردد المصطفى - عليه الصلاة والسلام - بينهما . وبقرب قديد مكان خيمتي أُمِّ مَعْبَدٍ الوارد خبرها في حديث الهجرة . وقديد يقع بعد عسفان فَخُلَيْص إلى الجحفة . وفي قديد حدثت الوقعة المشهورة سنة ١٣٠ بين أهل المدينة وبين المختار الخارجي .

٢ - يشمل اسم قُدَيْد وَادِيًا تقع تلك القرية في حوضه (قرب خط الطول ٣٤/ ٥٣٩ وخط العرض : ٢٠/ ٥٢٢) . ويمتد أعلاه حيث يتصل بوادي ستَارة . وهذا

تنحدر أعالي فروعه من السلسلة الجبلية وما يتصل بها من طرف الحرَّة المعروف باسم ذَرَةَ (بقرب خط الطول : ٥٥/ ٣٩° وخط العرض : ٤٥/ ٢٢°) فأعلى الوادي يُدعى ستارة وأسفله قُدَيْد ، وهو ينحدر من الشرق نحو الجنوب الغربي حتى ينتهي إلى سهل الخَبْت بقرب البحر بين ميناءَي القضيمة شمالا وتُوَلِ جنوبًا (بقرب خط الطول: ٥/ ٣٩° وخط العرض : ١٥/ ٢٢°) .

٣ - كان الطريق من مكة إلى المدينة يَمُرُّ بمنزلة قُديد القديمة التي تبعد عن مكة نحو (١٣٠) كيلًا - بعد اتساع العمران - أمَّا الآن فيمر الطريق العام بجدة ويجزع أسفل مفيض وادي قُدَيْد .

٦٣ - قراضم (١٠٥/ ٢٠٢)

دَعِ الْقَوْمَ مَاحَلُّوْا بِبَطْنِ قُرَاضِمٍ وَحَيْثُ تَقَشَّى بَيْضُهُ الْمُتَفَلِّقُ

(.. قُرَاضِمُ : موضع بِالْمَدِيْنَةِ) .

الملاحظ هنا :

١ - القول بأن قُراضِم بالمدينة لصاحب « معجم البلدان » وأورد شعر الأحوص .

٢ - اسم قُرَاضِم مصحّف وصوابه (فُرَاضِمُ) بالفاء كما أوضح هذا البكري في « معجم ما استعجم » نقلًا عن الهجريِّ وحسبك به معرفة وإتقانًا - قال البكريُّ : فُرَاضِم : موضع بين المُشَلَّل والْخَيْمَتَيْنِ ، قاله الهجريُّ ، قال : وكُنَّا نرويها قراضم - بالقاف حتى سألت أعرابيًّا عن تلك الناحية فقال : فراضم عندنا ، ووصف الموضع . قال غيره : قال عبد العزيز بن وهْبٍ مَوْلَى خُزَاعة :

دَعِ الْقَوْمَ مَا احْتَلُّوا جَنُوْبَ فُرَاضمٍ بِحَيْثُ تَفَشَّى بَيْضُهُ الْمُتَفَلِّقُ

انتهى كلام البكري .

٣ - الشاعر الأحوص يشير بهذا البيت إلى موطن استقرار خُزَاعَةَ حين انتقلوا من اليمن ، فاستقروا شمال مكة في مرِّ الظهران ، وفي نواحي المُشَلَّلِ وما حوله ،

وهناك فُراضم بينه وبين قُدَيد حيث موقع الخيمتين . إذَنْ فَلَا صِلَةَ لَهُ بِالْمَدِيْنَةِ .

٤ – المُشَلَّل والْخَيْمَتَانِ يقعان – على ما يفهم من كلام المتقدمين – شَمَالَ قُدَيْدٍ بِقُرْبِهِ ، قال في « معجم ما استعجم » – ٩٥٦ –: ومن المشلل إلى قُدَيدٍ ثلاثةُ أمْيَالٍ ، وبَيْنَهُمَا خَيْمَتَا أُمِّ مَعْبَدٍ . وفي « معجم البلدان » : المُشَلَّل : جَبَلٌ يُهْبَطُ منه إلى قُدَيْدٍ . انتهى ، وهذا بالنسبة للقادم من الشمال ، بطريق المدينة ، حيث يَلُبُّ بوادي قُدَيْدٍ حَرَّةٌ ممتدةٌ من الشرق نحو الغرب (البحر) ، هذه الحَرَّةُ هي المشلل ، وكان فيها عقبةٌ شاقَّة يُنْفَذُ منها إلى قُدَيْد ، ويظهر أن مَوْقِعَ خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ المرأة الخزاعية التي نزل بها الرسول ﷺ أثناء هجرته – في منبسط وادي قُدَيْدٍ بمقربة من الثَّنِيَّةِ قبل منزلة الحجاج ، منحرفة يمينًا صوب البحر عن الطريق العامِّ ، كما في وَصْفِ طريق الهجرة .

٦٤ – قُرح : (١٤١)

تقدم شاهدهُ في الغمر ، مع الإشارة إلى الشَّكِّ في نسبته للأحوص .

(قُرح : سوق وادي القرى) وعلى هذا اتفق المحققان ، نقلًا عن « معجم البلدان » .

١ – وجه الإشكال هنا أن موقع ذلك السوق لا يزال محلَّ اختلاف بين الباحثين ، وإن كان اختلافًا لا يُؤْبَهُ به ، فقد أعَدَّ أَحَدُهُمْ رسالة قدمها إلى إحدى الجامعات الغربية ونال بها إجازة (الدكتوراه) حاول فيها إثبات أن موقع قُرْحٍ هو ما يعرف الآن باسم (المابيَّات) غرب مدينة العُلَا بنحو ٣٥ كيلًا ، وهو الموقع الذي اتَّضَحَ لي أنه موقع بلدة الرَّحَبَة ، البلدة التي درستْ في القرن الرابع وعرفت باسم مدينة صالح – مدائن صالح – باسم أحدِ أمرائها المتأخرين ، ومن ثمَّ نَشَأَ الخلطُ بينها وبين آثار قوم صالح في الحِجْرِ ، حيث عُرِفَتِ الْحِجْرُ باسم (مداين صالح) – انظر « العرب » س ١٣ و ١٤ ص ٣ و ٦١٩ .

٢ – قُرح : ليس هذا الاسم معروفا الآن فيما يعرف قديمًا باسم وادي القرى ، وليس واديًا بالمعنى المفهوم ، ولكنه مجموعة من الأودية ، أعلاها من الشمال وادي

الْحِجْرِ الذي في أسفله مدينة الْعُلَا ، وترفده فروع كثيرة ، ويتجه صوب الجنوب حيث يلتقي بعدد من الأودية في بَرَاح واسع من الأرض حيث تقع آثار عمران قديم من بناء وقنوات ومعالم بلدة . ويعرف هذا الموقع باسم (الْمَابِيَّات) ولعله من الْوَبَاء (الموبيات) . وأبناء البادية يبدلون الواو أَلِفًا فيقولون (ثار) و (غال) في (ثور) و (غول) اسم الموضع المعروف ، وكان موضع المابيات يعرف في القرن الثامن باسم (مدينة صالح) ثم (مدائن صالح) . وهو على ماتضح لي بلدة (الرَّحَبَة) التي ورد ذكرها في بعض كُتُب السيرة ؛ في وادي القرى . وفي موقعها تجتمع مع وادي العُلَا أودية تأتي من الشرق من غرب حِرَار خَيْبَر وما حولها ، ثم يتجه الوادي نحو الغرب بعد أن تلتقي به سيول أودية المدينة وأودية الجِزْل وعَمُودَان والْعِيص وغيرها ، فتكون هذه الأودية واديًا واحدًا يتجه صوب الغرب حتى ساحل البحر جنوب ميناء الوجه ، حيث يفيض في موضع يعرف قديما باسم (أَكْرَه) ، له ذكر كثير في رحلات الحج .

والموقع يعرف الآن باسم (رأس كركمة) (بقرب خط الطول : ٤٥/ ٣٦° وخط العرض : ٤٥/ ٢٥°) . وكركمة : رأس في البحر يعرف الآن بهذا الاسم ، فكأن مسمى وادي القرى يشمل مساحة واسعة من الأرض تقع فيما بين خطي العرض : ٢٥°و٢٧° وخطي الطول : ٤٥/ ٣٦° و ٣٠/ ٣٨°) .

٣ - وعُرِفَ في وادي القرى مُدُنٌ ، منها الْحِجْرُ ولا يزال معروفًا موقعه باسمه (بقرب خط العرض : ٤٥/ ٢٦° وخط الطول : ٥٠/ ٣٧°) . والعُلَا (بقرب خط العرض : ٤٠/ ٢٦° وعلى طول الحجر) . والرَّحَبَةُ ولعلها تقع في المكان الأثري الواقع جنوب العُلَا بنحو ثلاثين كيلًا . وذُو المروة المعروف موقعها الآن باسم (أُمّ زَرْب) (بقرب خط الطول : ٣٠/ ٣٨° وخط العرض : ٤٠/ ٢٥°) .

٤ - ولا يتسع المجال لإيراد نصوص المتقدمين لتحديد موقع قُرْحٍ ، وقد

استنتجت منها أنه القسم الشمالي من مدينة العُلَا الذي يعرف الآن باسم الْخُرَيْبَة – وهي آثار بلدة قديمة – وتقع بقرب (خط الطول : ٣٧° /٥٠ وخط العرض : ٢٦° /٤٠) ، وتبعد عن آثار الحجر بنحو خمسة وعشرين كيلًا .

٦٥ – *القَرْيَتَيْن* : (١٧١)

وهَاجَ لِيَ الشَّوْقَ الْقَدِيْمَ حَمَامَةٌ   عَلَى الْأَيْكِ بَيْنَ الْقَرْيَتَيْنِ تَفَجَّعُ

(القريتان : مكة والطائف ، ذكرهما سبحانه في كتابه العزيز) .

وهل كل اسم قريتين ورد في شعر شاعر ينطبق على القريتين اللتين ذكرهما الله في كتابه العزيز ؟!

معلوم أن علماء التفسير قالوا في تفسير الآية الكريمة ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيم ﴾ – سورة الزخرف الآية (٣١) – أن المراد مكة والطائف .

١ – ولكن لماذا حمل المحقق القريتين الواردتين في شعر الأحوص على تلك القريتين ؟!

هنا إشكال لا سيما مع ملاحظة بُعْدهما عن مواطن الشاعر .

٢ – يراد بالقريتين مواضع متعددة ، وردت في كثير من الشعر القديم أشهرها القريتان الواردتان في القرآن الكريم ، وقريتا النَّبَاجِ وثَيْتَلٍ في شرق الجزيرة ، والقريتان الواقعتان بقرب عُنَيزة في منطقة القَصيم ، والقريتان في اليمامة وهما قُرَّانُ ومَلْهَمُ . والقريتان اسم بلدة في حمص . وكل هذه وردت في الشعر القديم . ففي القريتين اللتين هما النَّبَاجُ وثَيْتَل يقول جرير :

تَغْشَى النَّبَاجَ بَنُو قَيسِ بْنِ ثَعْلَبَةٍ   وَالْقَرْيَتَيْـــنِ بِسُرَّاقٍ ونُـــزَّالِ

ويقول الفرزدق :

إِذَا نَهْشَلٌ بِالْقَرْيَتَيْنِ تَرَوَّحَتْ   مِلَاءً مِنَ الزَّادِ الْخَبِيْثِ بُطُونُهَا

ويقول ابن مُقَرَّبٍ الأحسائي :

أَقُولُ لِرَكْبٍ مِنْ عُقَيْلٍ لَقِيتُهُ وَأَعْنَاقُـهُ لِلْقَرْيَتَيْـنِ تُمَـالُ

وفي القريتين في الشام يقول ابن قَيْس الرُّقَيَّاتِ :

وَسَرَتْ بَغْلَتِي إِلَيْكَ مِنَ الشَّامِ وَحَـوْرَانُ دُونَهَـا وَالْعَوِيْـرُ

وَسَوَاءٌ وقَرْيَتَانِ وَعَيْنُ التَّـ ـمْرِ خَرْقٌ يَكِلُّ فِيهِ الْبَعِيرُ

وقال القُطَامِيُّ :

كَعَنَاءِ لَيْلَتِنَا الَّتِي جَعَلَتْ لَنَا بِالْقَرْيَتَيْـنِ وَلَيْلَـةٍ بِالْخَنْـدَقِ

وفي القريتين بقرب عُنَيْزَة على طريق الحاج القديم قال مالك بن نُوَيْرة :

فَمُجْتَمَعَ الأَسْدَامِ مِنْ حَوْلِ شَارِعٍ فَرَوَّى جِبَالَ الْقَرْيَتَيْنِ فَضَلْفَعَا

وورد في شعر مَعْن بن أَوْسٍ المزني ذكرُ القريتين :

لَهَا مَوْرِدٌ بِالْقَرْيَتَيْنِ وَمَصْدَرٌ لِفَوْتٍ فَلَاةٍ لَا تَزَالُ تُنَازِلُـهْ

ومع أن ياقوتًا الحمويَّ قال : إنه أراد مكة والمدينة ، إلا أَنَّ قبل هذا البيت :

أَبَتْ إِبِلِي مَاءَ الْحِيَاضِ بِأَرْضِهَا وَمَا شَنُّهَا مِنْ جَارِ سُوْءٍ تُزَايِلُهْ

وبلاد معن بن أوس هو وقومه بقرب المدينة ، كان ينزل الأَكْحَلَ الواديَ المعروف في الْفُرَع ، ومفهوم شعره أنه يقصد موضعًا في بلاده .

٣ – مما تقدم يتضح أنه لا يصح قَسْر مراد الشاعر على موضع بعينه ما لم تكن هناك قرينة توضح ذلك ، فقد يكون أراد موضعا آخر . وقد يكون الاسم غير صحيح .

٤ – يلاحظ أن شارح « القاموس » قال : القريتين – مثنى القرية – أكثر مايتلفظ به بالياء هكذا . انتهى .

٦٦ – قِنَّسرين : (١٠٠)

هَيْهَاتَ مِنكَ بَنُو عَمْرٍو وَمَسْكَنُهُمْ إِذَا تَشَتَّيْتَ قِنَّسْرِينَ أَوْ حَلَبَا

(قِنَّسْرِيْنُ : من قرى الشام ، فتحها أبو عبيدة بنُ الجراح رضي الله عنه) .

ما أكثر قرى الشام !! لهذا يحسن أن يوضح موقعها وأن يؤتى بشيء من وصفها كما هي الآن .

ذكر ياقوت في « معجم البلدان » أنها تبعد مرحلة نحو حمص ، ونقل الأستاذ علي بهجت في « قاموس الأمكنة والبقاع الوارد ذكرها في كتب الفتوح » - ١٦٩ - عن ابن حوقل أن الروم اكتسحتها ، قال : وهي الآن خراب ، وبقربها قرية يقال لها (حاضر قِنِّسْرِينْ) . وابن حوقل من أهل القرن الرابع الهجري وكتابه « المسالك والممالك » مطبوع . وإذن فخرابها متقدم ، وقد تَحَرَّى موقعها الدكتور حسين مؤنس في « أطلس تاريخ الإسلام » ، فرسم الموقع جنوب مدينة حلب فيما بينها وبين معرة النعمان بقرب خط الطول : ٣٧° وقرب خط العرض : ٥٩/ ٣٥° .

٦٧ - كَبْكَبُ : (٩٢)

أَمِنِ آلِ سَلْمَى الطَّارِقُ الْمُتَأَوِّبُ إِلَيَّ وَبَيْشٌ دُونَ سَلْمَى وَكَبْكَبُ

(.. وكبكب جبل خلف عرفات ، مشرف عليها ، وقيل : هو الجبل الأحمر الذي تجعله في ظهرك إذا وقفت بعَرفة ، وهما كبكبان فكبكب من ناحية الصفراء ، وهو نقب يطلعك على بدر وكبكب آخر يطلعك على العَرْج ، وهو نَقْبٌ لِهُذَيْل ، وقال الأخفَش : هو الجبل الأبيض عند الموقف ، ورواه البكري في معجمه (بيش) .

١ - الأقوال تنطبق على جبل واحد ، سوى النَّقْب الذي ذكر ياقوت أنه يطلع على بَدْرٍ في ناحية الصفراء ، فهذا ليس معروفًا الآن على ما أعلم .

٢ - الجبل الذي خلف عرفات ليس عند الموقف ، ولا بالموقف كما قال السكريُّ في « شرح أشعار الهذليين » - ١١٣١ - فهو بعيد عن عرفة وعن الموقف يفصل بينهما جبل سَعْدٍ ، إلَّا إذا كان هذا الجبل يومًا مًّا معدودًا من جبل كبكب ، فهو متصل به ولا يفصل بينهما إلَّا مجرى مَسيل شعابٍ تنحدر من يَعْرُجَ ومن جبل كبكب وما حولهما من الجبال . وهذا المجرى من فروع وادي عرفة .

٣ - أما القول بأن كبكب جبل آخر يطلعك على العرج وهو نَقْبٌ لهذيل ، فهذه الجملة فيها تحريف ، فَالْعَرْجُ صوابه (يَعْرُج) إذْ في كتاب « بلاد العرب » - ٢١ - و « معجم البلدان » مانصه :

يَعْرُجُ وهو جبل فيه طريق يظهر إلى الطائف أسفله لبني الملجَّم من هُذَيْل ، وأعلاه لِزُلَيْفَةَ مِنْ هُذَيل .

ويعرج هذا هو الذي فيه نقب لهذيل ، ولا يزال معروفًا بهذا الاسم ، في لصق جبل كبكب . ومنه وادٍ يدعى وادي يَعْرُج .

٤ – يقع جبل يَعْرُجَ المستطيل من الشمال الشرقي حتى الجنوب الغربي بين خطي العرض : ٢٠/ ٢١° ، ٣٠/ ٢١° ، ويخترقه خط الطول : ٥/ ٤٠° .

٦٨ – كَدَاء : (٨٨)

إِنَّنِي وَالَّذِي تَحِجُّ قُرَيْشٌ بَيْتَهُ سَالِكِيْنَ نَقْبَ كَدَاءِ

(.. كَدَاءُ ممدود غير مصروف بأَعْلَى مكة) .

هذا التحديد صحيح في عهد القائلين به من متقدمي العلماء ، حين كان الموقع خارج مكة ، أمَّا الآن فقد تجاوزه عمران مكة مسافات بَعِيدة ، وأوضح تحديد له أنه الثنية الواقعة في معلاة مكة أسفل أبطحها ، وطريق تلك الثنية يفصل مقبرة مكة إلى قسمين ، وقد وُسِّعَتْ تلك الثنية التي كانت تصل بين وَادِيَيْ ذِي طوَى والأبطح مخترقة جَبَلًا ممتدًّا بامتداد وادي الأبطح إلى قُرْب الحرم .

٦٩ – كُوثَى : (٩٩)

تُقِرُّ بِكُمْ كُوْثَى إِذَا مَا نُسِبْتُمُ وتُنْكِرُكُمْ عَمْرُو بْنُ عَوْفِ بْنِ جَحْجَبَا

(.. كُوْثَى : مَنْزِل لبني عبد الدار خاصَّةً ثم غَلَبَ الجميع) .

١ – اتفق المحققان على هذا مُعَوِّلَيْنِ على ما في « معجم البلدان » عن كُوْثَى لا عن انطباق البيت عليها .

٢ – قد تكون كُوْثَى منزلًا لبني عبد الدار ، ولكن الشاعر قال البيت في مقام الهجو ، ونَفْي نسبة المهجوين إلى من انتسبوا إليه من جَحْجَبَا من الأوس .

والنسبة إلى كُوثَى يُرَاد بها تَوْهِين النسب إلى العرب . وقال الأزهري في « تهذيب

اللغة » - ١٠/ ٣٤٠ - في قول علي : فإنَّا نَبطٌ من كُوْثَى : لو أَرادَ كُوْثَى مكَّةَ لما قال : نَبطٌ . وكُوْثَى العِرَاقِ هي سُرَّةُ السَّوَادِ . وأرادَ عَلِيٌّ أَنَّ أَبَانَا إبراهيمَ كانَ من نَبَطِ كُوْثَى وأَنَّ نَسَبَنَا إليه .

ونحو ذلك قال ابن عباس : نَحْنُ مَعَاشِرَ قُرَيْش حَيٌّ من النَّبَطِ من أَهْل كُوْثَى . انتهى كلام الأزهري .

قلت : وهذا من عليٍّ وابن عباس - رحمهما الله - تَبرُّؤٌ مِنَ الْفَخْرِ بالأَنْسَابِ ورَدْعٌ عن الطَّعْنِ فيها وتَحْقِيقٌ لقول الله عزَّ وجل : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ .

٣ - كُوْثَى : مدينة قديمة ورد ذكرها في التوراة في ناحية بابل ، لم يبق سوى أطلالها في منتصف الطريق بين قريتي المحاويل والصويرة على نحو ستة وثلاثين كيلًا من المحاويل ، ويعرف موقعها بتلِّ إبراهيم . « بلدان الخلافة الشرقية » - ص ٩٥ هامش -.

٧٠ - لصق : (١٦٥)

عَفَـا مُـزْجٌ إِلَـى لَصَقٍ إِلَى الْهَضَبَاتِ مِنْ هَكِـرِ

(..لصق : لم أجده ،وقال محقق« الأغاني » :لعله محرف عن لصف ،ولصف بركة غربي طريق مكة بين المغيثة والعقبة على ثلاثة أميال من صبيب ، غربي واقصة . وهكر موضع على نحو أربعين ميلاً من المدينة .

وأورد أبو الفرج « الأغاني » : ٥/ ١٩٤ :

إلى قَـاعِ النَّقِيْـرِ إلى قَـرَارِ حِلَالِ ذِيْ حَـدَرِ

(.. النقير : موضع بين هجر والبصرة . حلال : من نواحي اليمن . والحدر ما انحدر من الأرض) .

١ - هذا من أَسْوَإِ الخلط في تحديد المواضع ، فالشاعر يتحدث عن أمكنة في

بلاد متقاربة ، كلها في نواحي المدينة ، فَأَيَّةٌ صلة لها بمواضع في شرق الجزيرة مثل (لصف) الواقع على طريق الحج العراقي القديم ، على مقربة من الحدود العراقية ، ومن النُّقَيْرِ الواقع بين هَجَر والبصرة ، وبين حلال المعدود من نواحي اليمن .

٢ - لاشكَّ أن اسم لصق - إذَا صح - فإنَّ الشاعر أراد موضعا بقرب مُزْجٍ ، الذي في أسفل النَّقيعِ ، وسيأتي تحديده . وهذا في ضواحي المدينة .

أما النُّقَير فلا شك أنَّ الصواب النقيع ، فهو ذُوْ القاع المشهور الواسع الذي يفضي سيله إلى العقيق ثم إلى المدينة ، وهو وما حوله من المواضع من مرابع الشاعر ، ومغاني لهوه وصباه .

٣ - أما كلمة حِلالِ فلا أراها اسم موضع ، وإنما هي صفة للقوم يحلون بعد أن كانوا مرتحلين ، كما في كتب اللغة - وتقدم إيضاحه . وَإِنِ اسْتُشْكِلَ إفرادُ الضمير في كلمة (ذِي حدر) فلعل الشاعر استعمل هذا للضرورة .

٧١ - لوى الأرطى : (١٤٦)

تقدم شاهده في (الفتح) .

وأورد المحققان عن ياقوت مايفهم منه أنه اسم موضع في شعر الأحوص ، ولم يحدده . ومأأراه أراد موضعا بعينه ؛ وإنما قصد مكانًا ينبت هذا النوع من النبات وهو يَكثر في ألوية الرمل ، وهي منقطع حبالها .

وقد ذكر الأحوص (لوى الأرطى) بعد ذكره لـ (الفتح) الذي لست مطمئنًا من صحة اسمه .

٧٢ - الْمَأْزِمَانِ : (٢١٦)

أَقُولُ وَأَبْصَرْتُ ابْنَ حَزْمِ بْنِ فَرْتَنَا ... وُقُوفا لَهُ بِالْمَأْزِمَيْنِ الْقَبَائِـلُ

(.. المأزمان هما جبلا مكة ، وقيل : اسم موضع بين المشعر الحرام وعرفة) .

١ - وَصْفُ الْمَأْزِمَيْنِ بأنهما جبلَا مكة غريب ، وإن ورد في « معجم البلدان »

فجبال مكة كثيرة ، وليس المأْزِمَانِ مَعْدُوْدَيْنِ منْها ، وأصحُّ منه القول بأنه : شعب. ضيق بين جبلين يفضي إلى مزدلفة من عرفة .

٢ - الْمَأْزِم في اللغة : الْمَضِيْق . فكل طريق ضيِّق بين جبلين يسمى مَأْزِمًا ، ومنه سمي الموضع الذي بين مزدلفة وعرفة مأزمين .

وورد في الحديث : « إنِّي حَرَّمْتُ المدينة مابين مَأْزِمَيْهَا » .

ومن المعنى اللغوي سُمِّي المأْزِمَانِ الَّلذَانِ في مشاعر الحج ، أحدهما مَأْزِمَا عرفة ، وهو مضيق بين جبلين يُفضَى منهما إلى مُزْدَلِفَةَ وهما على حدِّ الْحِلِّ مِنَ الْحَرَم ، ولهذا كان الحُمْسُ لا يتجاوزونهما ، فلا يقفون بعرفة ، وإنما موقفهم من نَمِرَةَ بمفضى المأزِمَيْنِ ، يقفون به عشية عرفة ، ويُفِيضون منه إلى المزدلفة (انظر « أخبار مكة » للأزرقي - ١/ ١٨٠ -) .

٣ - والمَأْزِمَانِ الآخران هما مَأْزِمَا مِنَى . وقد ورد ذكرهما في كتاب الأزرقي - ١/ ١٠٦ -: في الحرب بين قُضاعة وخزاعة قال : فاقتتلوا بمَفْضَى مَأْزِمَيْ مِنَى ، قال : فَسُمِّي ذلك المكانُ الْمَفْجَرَ لما فُجِر فيه، وسُفِكَ من الدماء، وانْتُهِكَ من حرمة .

٤ - ويظهر أن المقصود بالمأزمين في شعر الأحوص مأزما عرفة حيث يتجمع الحجاج للإفاضة منها إلى مزدلفة ، يتقدمهم من يتولَّى إمارة الحاج ، وقد وليها سنة ست وتسعين أبو بكر محمد بن عمر بن حزم وكان أمير المدينة في تلك السنة على ماذكر ابن جرير وغيره ، كما حج بالناس سنة تسع وتسعين ، وهو أمير المدينة الذي هجاه الأحوص .

٧٣ - الكَدِيدُ : (١٠٣)

وَلَوَ انَّها إذْ مَرَّ مَوْكِبُهَا ... يَوْمَ الْكَدِيْدِ أَطَاعَنِي صَحْبِي

(الكَدِيد : موضع على اثنين وأربعين ميلاً من مكة) .

١ - هذا نص ما في « معجم البلدان » وهو بحاجة إلى زيادة إيضاح ، فاسم الكديد

يطلق على موضعين معروفين : أحدهما بقرب المدينة والثاني بقرب مكة . ولا شك أن الشاعر أَراد الأخير إذْ قبل هذا البيت :

وَبِبَطْنِ مَكَّـةَ لَا أُبُـوْحُ بِـهِ قُرَشِيَّةٌ غَلَبَتْ عَلَـى قَلْبِـي

٢ – ويحسن إطالةُ النَّفَسِ في تحديد هذا الموقع لذكره في السيرة النبوية في موضعين :

أحدهما مارواه البخاري في « صحيحه » أن الرسول ﷺ خرج إلى مكة في رمضان حتى بلغ الكَدِيْدَ فأفطر ، فأفطر الناس . « فتح الباري » ٤/ ١٨١ .

والموضع الثاني في خبر سرية غالب بن عبد الله الليثي إلى بني المُلَوَّحِ من بني ليث من كنانة وهم في الكديد . « السيرة النبوية » ٢/ ٦٠٩ .

وقد حدد المتقدمون المسافة بين الكديد هذا وبين مكة باثنين وأربعين ميلًا كما في « معجم البكري » أو ثلاثة وأربعين ميلًا كما في كتاب « المناسك » – ٤٦٣ –. فهو يقع قبل عسفان للقادم بطريق المدينة إلى مكة بسبعة أميال ، ومن عسفان إلى مكة ستة وثلاثون ميلًا حسب تقدير المتقدمين .

وفي الكديد هذا قتل ربيعةُ بنُ مُكَدَّمٍ الكنانيُّ الفارس المشهور ، قتلته بنو سُلَيْمٍ ، قبل الإسلام .

ويظهر أنَّ الكديد هذا كان معمورًا ، فقد ذكر البكري وغيره أن فيه عينًا جارية ونخلًا كثيرًا .

٣ – والكديد من الناحية اللغوية هو البطن الواسع من الأرض كهيئة الأودية ، أو أوسع منها . واسم الكديد الآن غير معروف في تلك الجهة ، ولكن أوصاف المتقدمين تنطبق على مُتَّسَعٍ من الأرض يقع فيما بين خُلَيْصٍ (أَمَج قديما) ومفيض وادي غُرَان الواقع شمال عُسْفان غير بعيد . وهذا الموضع يدعى الآن الحَمْض ، لكثرة نبات العَصَلِ فيه ، والْعَصَلُ نوع من الْحَمْضِ تأكله الإبل ، شبيهٌ بالدِّفْلَا .

ويبعد هذا الموضع عن مكة بما يقارب ثمانين كيلًا ، وهي تقرب من المسافة التي قدرها المتقدمون لأن عمران مكة امتدَّ نحو تلك الجهة بما يزيد على عشرة أكيال ، ويقع هذا الموضع بين خطي العرض : ٢٠° و ١٠/ ٢٠° وبين خطي الطول : ٢٠/ ٣٩° و ٣٠/ ٣٩° .

٤ - وهناك كديد آخر ورد ذكره في كتاب « المناسك » المنسوب إلى الحربي ، وفي كتاب « معجم ما استعجم » لأبي عُبيد البكري الذي قال - ٦٣٤ -: أقرب المياه من رَحْرَحَان الكديدُ، فيه حفائر عاديَّةٌ عذبة، وبه قتل ربيعة بن مُكَدَّمٍ . انتهى .

والقول بأن ربيعة قتل في الكديد هذا خطأ ، فهذه البلاد لبني قيس بن ثعلبة من غطفان ، بعيدة عن بلاد كنانة قوم ربيعة ، وتقدم ذكره ، ولكن البكريَّ عاد في كلامه على الْكَدِيد المتقدم ذكره فذكر أنَّ ربيعة قتل فيه ، فكأنه لم يميز بين الموضعين .

والكديد هذا يقع على طريق المدينة المتجه من شمال نجد على الطريق القديم ، وبينه وبين المدينة ستة وسبعون ميلًا ، وهو يقع شرق وادي النُّخَيْل الذي لا يزال معروفًا ، وفيه مسجد لرسول الله ﷺ على ماذكر السمهودي إذ نقل عن ابن زبالة أنه ﷺ نزل بنخل ، ثم صعد في بطن نخل حتى جاوز الكديد بميل فنزل تحت سَرْحة وصلى تحتها ، فموضع مسجده اليوم معروف « وفاءالوفاء » -١٠٣٢- ونخل هو مايعرف الآن باسم (الحِناكِيَّة) .

وعدَّهُ نصر في كتابه - مخطوط - من مياه رحرحان .

ووهم ياقوت حين قال عن هذا الكديد في « معجم البلدان » في الكلام على سعد : والكديد على ثلاثة أميال من المدينة . ولعل الصواب : على ثلاث ليال من المدينة ، فكلمة (ليال) كثيرًا ماتتصحف إلى (أميال) .

٧٤ - المَاطِرُون : (٢٧٥)

ولَهَـــا بِالْمَاطِـــــرُونَ إِذَا أَكَلَ النَّمْلُ الَّـذِي جَمَعَــا

قال أستاذنا السامرائي : الماطرون : موضع بالشام . وهذا ما قاله ياقوت ، ولكنه أضاف : قرب دمشق . وإيراد نص ياقوت كاملًا مما يقرب الاهتداء إلى الموضع .

٧٥ - مَثْعَر : (٩٧)

عَفَا مَثْعَرٌ مِنْ أَهْلِهِ فَثَقِيْبُ فَسَفْحُ اللِّوَى مِنْ سَائِرٍ فَجَرِيْبُ

قال ابن الأعرابي : مَثْعَر واد بالْفُرُع ، وثَقيبُ واد بالْفُرُع أيضًا ، وسائر جبل في هذا الموضع . « معجم ما استعجم » : عفا منقل ... فنقيب ..) .

يلاحظ على هذا :

١ - البكري أورد بيت الأحوص بالنص الوارد هنا في الديوان في رسم مثعر ، وإنما ورد ذكر (منقل) في رسم حورة حيث نسب البيت لنصيب ، مع تغيير (مثعر) بـ (منقل) و (ثقيب) بـ (نقيب) و (سائر) بـ (ساهر) و (فجريب) بـ (فمريب) . وما أرى هذا التغيير إلا من أثر التصحيف . ونسبة الشعر لنصيب من قبيل الوهم ، فبلاد نصيب بعيدة عن هذه المواضع وهي إلى مكة أقرب ، في المنتصف بينها وبين المدينة ، حيث وَدَّان وكلية وتلك الناحية .

٢ - مع أن صاحب « معجم ما استعجم » أورد هذا القول ، إلا أنه ذكر في رسم (ملل) من كتابه ما يفهم منه بُعْدَ مَثْعَرٍ عن الْفُرُع ، حيث ذكر - ١٢٥٩ - في مَلَل الْفَرْشُ والْفُرَيْش :.. أنَّ في الفرش الْجَريبُ وهو بَطْنُ وادٍ يقال له مَثْعَر وهو ماء لجهينة ، تقدم ذكره . وأورد قول الأحوص ، وأضاف : وإلى جانب مثعر مَشْجَر ، ماء آخر لجهينة أيضًا .

وذكر ياقوت في « معجم البلدان » أن مَثْعَرًا واد من أودية الْقَبَلِيَّة . ومثله ورد في « وفاء الوفاء » - ١٢٩٩ - وأضاف بين الثاجة وحورة ، ويدفع في الفرش والفريش . وقال عن الثاجة - ١٢٦٤ -: إنها بحراض وحراض من أودية الأشعر في شاميّ حَوْرة . وهما حورتان من أودية الأشعر .

٣ - والْفُرُعُ المشهور يفصله عن الأشعر الذي ينحدر منه وادي مثعر أرضٌ واسعة ذاتِ أودية وجبال كثيرة ، ولكن يظهر أن البكري أضاف مَثْعَرًا إلى الْفُرُع من حيث الارتباط في الإدارة ، إذْ وَصَفَ منطقة الفرع بأنها ذات أعمال واسعة ، فَعَدَّ من أعمالها : الصفْراء وقال : إن صاحب الْفُرُعِ يَجْبِي اثْني عشر مِنْبَرًا ، بالْفُرع وبِمَضيقها ، وبالسُّوارِقيَّة وسايَةَ ورُهَاطٍ وعَمْقِ الزَّرْعِ والجُحْفَةِ والْعَرْج والسُّقْيَا ، والأَبْوَاءِ وقُدَيْدٍ وعُسْفَانَ وإسْتَارَة ، كلها من عمل الفرع - « وفاء الوفاء » ١٠٢١ - بل عدَّ الْقَبَلِيَّةَ من ناحية الْفُرُع - ١٠٤٧ - ووادي مَثْعَرٍ من أودية الْقَبَلِيَّةِ ، وهي الأودية التي تسيل مُقْبِلةً نحو المدينة من جبال السراة الأشعر وما حوله .

وذكر ياقوت أنَّ الفُرُع كالْكُوْرَةِ ، فيها عِدَّةُ قُرًى ومَنابِر ، ونقل عن ابن الفَقِيه : أن أضخم أعراض المدينة الفُرُع .

إذَنْ إضافةُ مَثْعَرٍ إلى الْفُرع في كلام ابن الأعرابي الذي نقله البكري هو لكونه من توابعها في عهد متقدم ، لا أنَّهُ متصل بها من الناحية الجغرافية ، إلا إذَا أُريد بالْفُرعِ الْمِسْوَرِ ، الواقع في جبل الأَشْعَر ، فثعر بقربه ويعرف الفرع هذا بفرع الردَّادَة باسم سكانه الآن ، والفرع المشهور لا يزال معروفا .

ويحسن لمعرفة بعض أقوال المتقدمين عنه الرجوع إلى رسالة عرام بن الأصبغ السلمي « أسماء جبال تهامة وسكانها » وكتاب « معجم ما استعجم » ففيهما تفصيل وافٍ حوله . وكثير من المواضع التي وردت في كُتُب المتقدمين لا تزال معروفة مثل : الرَّبَض وأُمِّ العِيال والرَّيَّان وغيرها .

ويقع الفرع فيما بين خطي الطول : ٥/ ٣٩° و ٤٥/ ٣٩° وخطي العرض : ٥/ ٢٣° و ٤٥/ ٣٩° .

٤ - وتدلُّ نصوصُ المؤرخين القدماء على أنَّ وادي مَثْعَرٍ كان معمورًا في العهود القديمة ، فقد تحدث الفاسي في « شفاء الغرام » فكان فيما نقل - عن الفاكهي مما رواه ابن حبيب عن ابن الكلبي - خبرًا مطولاً -منه أنَّ عجوزًا من جُرْهُمَ نقلها جُهَنِيَّان

من مكة إلى جبل جهينة ، فأرشدَتْهما إلى الماء في مَشْجَرٍ بناحية فَرْشِ مَلَلٍ إلى جانب مَثْعَرٍ ، فهما من مياه جهينة إلى عهد متأخر .

كما ذكر الفاسي وغيره أن جُرْهُمَ استوطنوا في آخر أمرهم وادي إضَم حتى أغرقهم سيله . وجبل جهينة الأشعر ووادي مَثْعَرٍ وفَرْشُ مَلَلٍ كلها مواضع متقاربة منه ، فسيول الأشعر المتجهة إلى القبلة (القَبَلية) منها مثعر تفضي إلى إضم حيث تجتمع سيول أودية المدينة فيما يعرف الآن باسم (وادي الحمض) وفيما بين سفوح الأشعر الشرقية وبين فَرْشِ مَلَلٍ الواقع على طريق المدينة إلى مكة (عن المدينة ٤٥ كيلًا) منخفض من الأرض يشمل وادِيَ مَثْعَرٍ وفَرْشَ مَلَلٍ ، كان موطن استقرار قديم إلى القرن الرابع الهجري ، وسيول تلك الجهة تتجه شمالًا حتى تصب في إضم .

وَالأَشْعَرُ يعرف الآن باسم (الفِقرة) و (الفقارة) وقد تبدل القاف بلهجة بادية تلك الجهة جيما (الفجرة) . ويقع حوض وادي مَثْعر غربَ فرش ملل ، منحرفًا عن طريق المدينة إلى مكة ذات اليمين حين يبلغ الطريق قرب جبل عَبُّود على مسافة نحو ٤٠ كيلًا من المدينة ، ومَثْعَر بقرب خط الطول : ٣٠/ ٣٩° وخط العرض : ١٥/ ٢٤° .

٧٦ : المداخن : (٢٧٥)

أَهَاجَكَ أَمْ لَا بِالْمَدَاخِنِ مَرْبَعُ ... وَدَارٌ بِأَجْزَاعِ الْغَدِيرَيْنِ بَلْقَعُ

نقل أستاذنا الدكتور إبراهيم السامرائي قول صاحب « معجم ما استعجم » : المداخن : بلد بالحجاز . وأضاف : ولم يرد في « معجم البلدان » .

وإيراد صاحب « معجم ما استعجم » للبيت ثم قوله بعد إيراده : هكذا نقلت من خط أبي عبد الله بن الأعرابي يؤيد صحة الكلمة ، أو على أقلّ تقدير كونها ليس مما وقع في « معجم البكري » من تصحيف في كثير من أسماء المواضع في زمن متأخر .

أمَّا عدم ورودها في « معجم البلدان » وفي كثير من المؤلفات التي بين أيدينا فما أكثر أسماء المواضع التي من هذا النوع ، وتبقى من الأمكنة المجهولة .

٧٧ - مُزْج : (١٠٦)

فَأَنَّى لَهُ سَلْمَى إِذَا حَلَّ وَانْتَوَى بِحُلْوَانَ وَاحْتَلَّتْ بِمُزْجٍ وَجُبْجُبِ

(مُزْجُ : غدير يفضي إليه سيل النقيع ، ويَمُرُّ به أيضًا وادي العقيق ، فهو أَبَدًا ذُوْ ماءٍ ، بينه وبين المدينة ثلاثون فرسخًا أو نَحْوَهَا . وجبجب ماء بنواحي اليمامة وقال البكري : هو اسم ماء بيثرب) .

١ - القول بأن بين مُزْج وبين المدينة ثلاثين فرسخًا لياقوت ، وهو لا ينطبق على الواقع - إذْ مُزْجُ بين النقيع وبين المدينة ، والمسافة بينهما على ماذكر ياقوت نفسه عشرون فرسخًا ، فكيف تزيد المسافة بين مُزْجٍ وبين المدينة عشرة فراسخ . والمفروض أن تنقص ؟

٢ - اختلف المتقدمون في تحديد المسافة بين النَّقِيع - وهو الموضع الذي حماه الرسول ﷺ وبين المدينة - فذكر بعضهم أنها ثلاثون فرسخًا ، وقال آخرون : إنها عشرون فرسخًا ، وقال غيرهم : أربعة برد (البريد أربعة فراسخ) ١٦ فرسخًا ، ونقل ياقوت عن بعضهم أنها عشرون ميلاً .

وقد حاول السمهودي في « وفاء الوفا » - ١٠٨٣ - التقريب بين بعض هذه الأقوال ، فبعد أن ذكر أن حِمَى النَّقيع على عشرين فرسخًا من المدينة قال : وهو موافق في ذكر المسافة لأبي علي الهجري ، وقد تقدم عنه أنه ينتهي إلى حَضِير ، وأن العقيق يبتدئ من حَضِير . ولعل المراد من رواية ابن شَبَّةَ في أن النقيع على أربعة برد من المدينة طرفه الأقرب إليها ومراد الهجري طرفه الأقصى . انتهى .

مما تقدم يتضح خطأ القول بأن بين مُزْجٍ وبين المدينة ثلاثين فرسخًا ، والنقيع لايزال معروفًا ، والمسافة بين أدناه إلى المدينة لا تتجاوز ثمانين كيلًا (نحو ٣٥,٥٥ ميلًا ، أقل من ١٣ فرسخًا) .

٣ - أوضح البكريُّ في « معجم ما استعجم » - ١٣٣٦ - أنَّ سيل النَّقيع يفضي إلى حصير (حضير) . وعلى حضير هذا تدفع الأئمة ، أَئمَّةُ ابنِ الزبير ، ثم يفضي السيل من حَضِيرٍ إلى غدير يقال له المُزْج في شَقٍّ جبلين يمرُّ به وادي العقيق فيحفره ، وهذا الجبل المنفلق الذي يمر منه السيل يقال له سقف - الصواب : أسقف .

ثم استمر البكريُّ في وصف مجرى سيل العقيق نحو المدينة حتى يجتمع بأوديتها في أسفلها .

٤ -أكثر المسميات الواردة في كلام المتقدمين نُسِيت فجهلت مدلولاتها ، ولكن الاسترشاد بالأوصاف قد يهدي إلى تحديد مواقع تلك المسميات ، ووادي العقيق لايزال معروفًا ، وكذا أعلاه النَّقيع . ومفهوم كلام المتقدمين أن موضع مُزْجٍ الذي يفيض فيه سيل حَضِيرٍ من النَّقيع هو أعلى وادي العقيق عند المتقدمين وما قبله يدعى النَّقيع .

وتنطبق أوصاف حَضِيرٍ على موضع يعرف الآن ببئر الماشي أو بقرب هذا الموضع ، الواقع في أدنى النَّقيع على مسافة تقارب أربعين كيلًا جنوب المدينة ، ويقع هذا الموضع بقرب خط العرض ٥/ ٢٤° ، وخط الطول ٣١/ ٣٩° ، ويلاحظ أن الطريق أصبحَ مُعَبَّدًا بخلاف ما كان عليه قديمًا حيث تكثر منعرجاته . ومُزْجٌ دون حَضِير هذا .

وذكر بعضهم أن مُزْجًا لايزال يطلق على غَدِيْرَيْنِ في وادي النَّقِيع ، يبعدان عن المدينة جنوبًا نحو ثمانين كيلًا ، ولكنني لم أتثبت من صحة هذا المقول ، وأستبعد تقدير المسافة . فحضير - وهو فوق مزج - تدفع إليه أئمة ابن الزبير ، والمسافة بين هذه وبين المدينة نحو خمسين كيلًا - كما حدثني بذالك العالم الجليل الشيخ عبد القادر شيبة الحمد الذي سار المسافة ، وقَدَّرَها بين المدينة وأدنى النقيع بأقل من مئة كيل . (بل نحو ثمانين) .

٧٨ - المُسَهَّر : (١٦٩)

أَمِنْ عِرْفَانِ آيَـاتٍ وَدُوْرِ   تَلُوْحُ بِذِيْ الْمُسَهَّرِ كَالسُّطُوْرِ

(.. ذو المُسَهَّر : موضع بالحجاز تلقاء خاخ . « معجم البلدان » : ذُوْ المُكَسَّرِ ، وهو من أعمال المدينة) .

القول الأول للبكري في « معجم ما استعجم » وهو فيما يورده من شعر الأحوص - يرجع إلى رواية ابن الأعرابي ، وفي تحديد مواضعه . والقولان يَتَّفِقان في كون الموضع من أعمال المدينة ، والقول بأنه تلقاء خاخ يفهم منه أنه بضاحية المدينة الجنوبية ، وخاخ تقدم ذكره ، وقد يكون البكريُّ استنتج تحديده من البيت الذي ورد بعد ذكره :

لِغَانِيَةٍ تَحُلُّ هِضَابَ خَـاخٍ   فَأُسْقُفَ فَالدَّوافِعَ مِنْ حَضِيْرِ

وعلى هذا فذو الْمُسَهَّر وذُو المُكَسَّر - على رواية ياقوت كما سيأتي ذكره - قريبان من خاخ في أعلى عقيق المدينة ، بقربها .

٧٩ - مَعَان : (١٨٤)

وَمِنْ دُوْنِ ماأَسْمُو بِطَرْفِي لأَرْضِهِمْ   مَعَانٌ وَمُغْرٌ مِنَ الْبِيْدِ وَاسِعُ

(معان : مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء - ياقوت - المغر : جمع أمغر وهو ما في لونه شقرة تعلوها كدرة . وقوله واسع : مفرد وصف به الجمع وهو نادر . والأكثر وصف المفرد بالجمع كَذَارٍ قفار ، وحَبْلٍ أرمام . مفاوز مغبر « الزهرة » وهي أجود من رواية « منتهى الطلب ») .

١ - إيراد قول ياقوت عن بلدة مَعَانٍ يُوْهِمُ - أو يُفْهِمُ - أنَّها لَيْسَتِ الْمَدِينَةَ المعروفة التي تغني شُهْرَتُها عن تحديد موقعها ، فهي من أُمَّهات مُدُنِ المملكة الأردنية الهاشمية ، ومَنْ هو المثقف الذي يحتاج إلى الرجوع إلى قول ياقوت ليعرف موقعها ؟!

٢ - مع أنَّ الشاعر قال ذلك البيت وهو في عَمَّان ومَعَان بقُرْبِهِ إلَّا أنني أرى

أن صواب الكلمة (مَغَانٍ) جمع مَغْنَى . وأنَّ ماورد في « منتهى الطلب » تصحيف أو أن الصواب كما أثبت الدكتور السامرائيُّ عن كتاب « الزهرة » : (مَفاوز مُغْبرٌّ) .

٣ – كلمة (ومُغْرٌ) لا يستقيم بها وزن البيت ، ولا شكَّ أن الصواب (ومُغْبرٌّ) كما في كتاب « الزهرة » .

٨٠ – مَقَد : (١٣٧)

كَـأَنَّ مُدَامَـةً مِمَّـا حَوَى الْحَانُوتُ مِنْ مَقَـدِ

(.. مَقَدُ : قرية بالشام تنسب إليها الخمر ، وحول الاسم خلافٌ في تشديد دَالِهِ وتخفيفها . انظر « معجم البلدان » و « اللسان » و « التاج » – مقد –) .

أليس من المناسب إيراد ماذكر البكري في « معجم ما استعجم » – ١/ ١٢٥ – مقد : قرية من قرى الْبَثَنِيَّة ، إذْ القول بأنها قرية بالشام واسع كاتِّساع بلاد الشام . والبَثَنِية من كُوَر دِمَشْق . وقال البكري في موضع آخر : إن مَقَد قرية بدمشق في الجبل المشرف على الغور .

٨١ – ذُو الـمُكَسَّر : (١٦٩)

أَمِنْ عِرْفَـانِ آيَـاتٍ وَدُوْرِ تَلُوْحُ بِذِي الْمُكَسَّرِ كَالْبُدُوْرِ

برواية ياقوت في « معجم البلدان » – أشار إليها المحققان الكريمان – مع إيراد قوله : ذُو الـمُكَسَّر من أَعْمَال الْمَدِينة . ومِمَّا يؤيِّدُ هذا ما جاء في « وفاء الوفاء » : الـمُكَسَّرُ اسم مفعول من كسَّره تكسيرًا ، وذُوْ الـمُكَسَّر مِنْ أودية العقيق ، ونقل في كلامه عما يدفع في العقيق من الأودية عن الزُّبَيْر بن بكَّارٍ وغيره : أَعْلَى أودية الْعَقِيق النقيعُ ثُمَّ ذُوْ الْعُشِّ ، ثم ذُو الصرورة ، ثم ذو القرى ، ثم ذو الْمِيْث ، ثم ذو الـمُكَسَّرِ ، ثم ذات القطب – إلى آخر ماذكر ص ١٠٦٨ – وإذَنْ فالموضع كان معروفًا ، وهو في الجهات التي كان يألفها الشاعر في نواحي عقيق المدينة ، مما يؤيد صحة رواية ياقوت وإن جُهِلَ الموضع الآن . ويؤيِّدُها أيضا قولُ صاحب « معجم

ما استعجم » : الْمَمْرُوْخُ : موضع ببلاد مُزَيْنَة ، قَالَ مَعْنُ بن أَوْسٍ :

وأَصْبَحَ سَعْدٌ حَيْثُ أَمْسَتْ كَأَنَّهُ ... بِرَائِغَةِ الْمَمْرُوْخِ زِقٌّ مُقَيَّـرُ

فَمَا نَوَّمَتْ حَتَّى ارْتَمَى بِنِقَالِهَا ... مِنَ اللَّيلِ قُصْوَى لَابَةٍ والـمُكَسَّرُ

والـمُكَسَّرُ أيضا : موضعٌ في بلادِ مُزَيْنَةَ أَيْضًا . انتهى .

ومعروف أَنَّ عَقيق المدينة وأَعَالِيَه النَّقِيْعَ وَمَا حَوْلَهُ كَانَ من بلادِ مُزَيْنَةَ ، وتِلْكَ الفُرُوْعُ التي منها المكَسَّرُ تَنْحَدِرُ مِنْ (لَابَةٍ) أي حَرَّةٍ .

وتقدم البيت برسم (ذِي الـمُسَهَّرِ) .

٨٢ – الـمَلَا : (١٤٦)

تُخَبِّرُ– وَالرَّحْمـٰنِ– أَنْ لَسْتَ زَائِرًا ... دِيَارَ الْمَلَا مَا لَايَمَ الْعَظْمَ جَابِرُ

(الملا : موضع من أرض كَلْب ، والملا أيضا لبني أسدٍ) .

واكتفى الدكتور السامرائيُّ بإيراد ما هذا نصه : (الـمَلَا ما بين نَقْعَاء وهي قرية لبني مالك بن عمرو بن ثمامة بن عمرو بن جندب ، من ضواحي الرمل) .

١ – الأبيات الثلاثة التي ورد فيها أسماء (الـمَلَا ، والفتح ، ولِوَى الأَرْطَى) ، عَوَّل المحققان في إيرادها على مصدر واحد هو « معجم البلدان » – رسم لِوَى الأَرْطَى .

وبصرف النظر عن انفراد ياقوت بنسبتها للأحوص ، فالمواضع الثلاثة المذكورة ليست مما ورد في شعر الأحوص ، وبعضها مثل (الـمَلَا) بعيدٌ عن مواطنه مما يحمل على الشك في أن تكون من شعره .

٢ – ما أورده أستاذنا الدكتور السامرائيُّ هو من « معجم البلدان » ولكنه ناقص ، تكملته مما في « المعجم » : (مُتَّصِلَة هي والجلد ، إلى طرف أجإٍ) أي إن الـمَلَا باختصار ما بين بَقْعَاء إلى طرف أجإٍ) . وهذا التعريف يتفق مع القول بأن (الـمَلَا) من أرض كلب ولبني أسد ، فتلك الأرض الواقعة بين بقعاء – بالباء لا

بالنون كما ورد في « المعجم » – وهي بلدة لاتزال معروفة إلى طرف جبل أَجَإٍ ، وإن كانت هذه الأرض من بلاد طَيِّئٍ ، إلّا أنها تتصل ببلاد كلب من ناحية الشمال ، وببلاد بني أسد من ناحية الجنوب ، ومن هنا كانت إضافتها إلى القبيلتين المذكورتين .

٣ – للمتقدمين كلام طويل في تعريف الملا وتحديد موقعه ، أوردته في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » (قسم شمال المملكة) – ص ١٢٦٣ – واستخلصت منه بأنه يفهم من تلك الأقوال أن الـمَلَا هو الأَرْضُ المنخفضة ، الواقعة شرق الْجَبَلَينِ جبلي طَيِّئٍ أجإٍ وسلمَى ، إلى النفود شرقًا ، ومن الشمال من بَقْعَا إلى ما يقارب منهل شَرْج (شَرْي) بحيث تدخل فيه قرية الكهفة وما بقربها حيث قتل مالك بن نُوَيْرة (بين درجتي الطول : ٠٠/ ٤٢° ، ٣٠/ ٤٣° ودرجتي العرض : ٠٠/ ٢٧° و ٠٠/ ٢٨° تقريبًا) .

٨٣ – مُنْشِد : (١١٧)

نَظَرْتُ رَجاءً بِالْمُوَقَّرِ أَنْ أَرَى أُكارِيْسَ يَحْتَلُّوْنَ خَاخًا وَمُنْشِدَا

(... مُنْشِدُ جبل من حمراء المدينة على ثمانية أميال من طريق الفرع) .

١ – هذا من كلام ياقوت في « معجم البلدان » وجملة : (على ثمانية أميال من طريق الفرع) إنْ كان المقصود من تحديد المسافة البعد عن المدينة فهذا له وجه من الصواب .

٢ – يلاحظ أن الشاعر قرن اسم منشد باسم الأصافر في قوله :

ولَمْ أَرَ ضَوْءَ النَّارَ حَتَّى رَأَيْتُها بَدَا مُنْشِدٌ في ضَوْئِهَا والأَصَافِرُ

وتقدم عند الحديث عن الأصافر قول الهجري : في شقِّ الحمراء الأيسر مُنْشِدٌ وفي شقها الأيمن أيضا شرقيا خاخ ، وأن السمهودي علق على هذا بقوله : وعلى يسار المصعد من ذِي الْحُلَيْفَة جبل يعرف بحمراء نملة ، والظاهر أنه منشد . انتهى .

٣ – مع أنَّ البكري أورد نص الكلام المنسوب إلى الهجري : وفي شق حمراء

الأسد مُنْشِد .. إلخ ، في كلامه عن النَّقِيع الذي لاشك أن أصله من كلام الهجري غير منسوب إليه ، إلا أنه قال في رسم – مُنْشِد – قال ابن حَبيب : هو جبل بالمدينة عنده عين ، وأنشد لكثيرٍ بيتًا أورد بعده : والأصافر جبل مجاور له ، ثم أورد بيت الأحوص .

٤ – اسم مُنْشِدٍ يطلق على مواضع متعددة ، ولا شك أن ماينطبق عليه قول الأحوص منها هو الذي ذكر الهجري أنه في الشق الأيسر لحمراء الأسد القريب من خاخ الذي تكرر ذكره في شعره ، ومنشد بقربه . أما الأصافر التي قرن ذِكْرَ منشد بها في البيت الثاني ، فكما تقدم الحديث عنها ينبغي أن تكون قريبة من منشد ، ومن خاخ التي تقع كلها بقرب المدينة .

٨٤ – الْمُوَقَّر : (٩٨)

وَشاقَكَ بِالْمُوَقَّر أَهْلُ خَاخٍ ... فَلَا أَمَمٌ هُنَاكَ وَلَا قَرِيْبُ

(الـمُوَقَّرُ : مَوْضِعٌ بِنَوَاحِي الْبَلْقَاءِ مِنْ نَوَاحي دِمَشْق) .

وكَرَّر الشاعر ذكر الموقَّر في ثلاثة أبياتٍ غير هذا .

١ – تعريف الموقَّر الذي اتفق عليه المحققان الكريمان من كلام ياقوت في « معجم البلدان » وغير بعيد منه ما في « معجم ما استعجم » : الموقَّرُ والْقَسْطَلُ مُتَجَاوِرَان من عمل الْبَلْقَاء بدمشق ، إلَّا أن البكريَّ – رحمه الله – أغرب حين أضافَ : وفي شعر الأحوص ما يُنْبِئُك أن الموقَّر في شِقِّ اليمن :

أَلَا طرقَتْنَا بِالْمُوَقَّرِ شَعْفَرُ ... وَمِنْ دُوْنِ مَسْرَاهَا قُدَيْدٌ وعَزْوَرُ

بِوَادٍ يَمَانٍ نَازِح جُلُّ نَبْتِـهِ ... غَضًا وأَرَاكٌ يَنْضَحُ الْمَاءَ أَخْضَرُ

كذا قال : ولم يلاحظ أنَّ الشاعر أراد بكلمة (يمان) المعنى اللغوي بالنسبة لموقعة هو ، لا بلاد اليمن المعروفة .

٢ – كما أورد البكريُّ – ٢٧٥ –: الْبَلْقَاءُ أرضٌ بالشام ، قال كُثَيِّر :

سَقَى اللهُ قَوْمًا بِالْمُوَقَّرِ دَارُهُمْ إِلَى قَسْطَلِ الْبَلْقَاءِ ذَاتِ الْمَحَارِبِ

ويفهم من هذا أن الموضعين في منطقة البلقاء ، وأنهما متقاربان .

٣ – وعَرَّفَ ياقوت في « معجم البلدان » البلقاء بأنها كُورة من أعمال دمَشْق ، بَيْنَ الشام ووادي الْقُرَى ، قَصَبَتُهَا عَمَّان . وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة – إلى آخر ماذكر –.

٤ – إذَنْ فالذي من نواحي دمشق البلقاء ، لكونها من أعمال دمشق في العهد القديم ، وقاعدة البلقاء عَمَّانُ التي أصبحت قاعدة مملكة منفصلة عن أعمال دمشق التي تتولاها حكومة أخرى . وتعريف البكري وياقوت وغيرهما من المتقدمين للمواضع لا يستفاد من كثير منه في العهد الحاضر ، إلّا من حيث التقريب لا التحديد ، ولهذا كان من المناسب القول بأن الموقر من البلقاء المنطقة الواسعة التي قاعدتها عَمَّان ، قاعدة المملكة الأردنية الهاشمية ، إذْ لا ارتباط للموقر الآن بدمشق جغرافيًا ولا إداريًا .

٥ – الْمُوَقَّرُ من الأمكنة الأثرية المعروفة في المملكة الأردنية الهاشمية ، وقصر الموقَّرِ الأثريُّ يقع جنوب عمان بما يقارب عشرين كيلًا ، وشمال شرق قصر المشْتَى الأثري ، وقصر القسطل يقع غرب قصر المشتى بنحو ثمانية أكيال ، (يقع قصر الموقر بقرب خط الطول : ٣٦° وخط العرض ٣٠/ ٣١°) . ولعلماء الآثار دراسات عن تلك القصور – انظر كتاب « الحائر ، بحث في القصور الأموية في البادية » للدكتور فواز أحمد طوقان .

٨٥ – ميثب : (٩١)

وتقدم شاهده في عكوة .

١ – أورد المحققان ما جاء في « معجم البلدان » عن مِيثب من أنه ماء بنجد لبني عُقَيْل ، أو ماءٌ لِعُبَادَةَ بالحجاز ، أو وادٍ من الأعراض التي تسيل من الحجاز إلى نجد ، مع أن الشاعر قال : (أتى دونها من بطن عَكْوَة مِيْثَبُ) .

وأوردا تعريفًا لعكوة - ما جاء في « معجم البلدان » : مُثَنًّاهَا عكْوَتَان اسم جبلَيْن مَنِيْعَيْنِ مُشْرِفَيْنِ على زَبِيد باليمن .

ومعروف أن زَبِيْدَ في تِهامة على ساحل البحر الأحمر ، وما دام مِيثَبُ من بطن عكوة المشرف على زَبِيد غرب سلسلة جبال الحجاز كلها ، فَأَيَّةُ صلة بمواضع كلها شرق هذه السلسلة في نجد ؟!

٢ - أرى أن رواية البكري - وقد أشار إليها المحققان الكريمان - أصَحُّ - ونصها :

أَتَى دُونَها بَطْنُ الشَّظَاةِ فَمِيثَبُ

إذ الموضعانِ يقعان في البلاد التي منها الشاعر ، فالشظَاة اسم أحد أودية المدينة - وتقدم ذكره - ومِيْثَبُ قد يكون المِيْثَبَ ، ولم يُعَرِّفْهُ الشاعر ليستقيم وزن البيت ، وهو من المواضع المعروفة قديمًا في المدينة ، لا سيما والبكري قال : الْمِيثَبُ : موضع صدقات رسول الله ﷺ ، واستشهد بقول الأحوص . ولو صَحَّ الاستشهاد بالبيت الذي نقله عن ابن إسحاق وهو :

سلكن على ركن الشظاة فَمِيْثَبَا

لأمكن الجزم بتقارب الموضعين ، ولكن البيت - وهو من قصيدة للعباس بن مرداس السلمي - ورد في « السيرة النبوية » لابن هشام - ٢/ ٢٠١ -:

فإنَّكَ عَمْرِيْ هَلْ أُرِيْكَ ظَعَائِنًا سَلَكْنَ عَلَى رُكْنِ الشَّظَاةِ فَتَيْأَبَا

وتَيْأَبُ حدد السمهودي موقعه ، وهو جبل يعرف الآن باسم (تَيِّب) و (تَيْم) شرق وادي الشظاة أعلى وادي قناة ، يشاهد من (مطار المدينة) .

ويظهر أن الكلمة كتبت في الأصل (فَتَيْئَبَا) ثم صحفت (فميثبا) . ومهما يكن فاسم (ميثب) يطلق على مواضع غير تلك التي في نجد البعيدة عن قول الشاعر ، فقد ورد الاسم في شعر كُثَيِّر وهو حجازي ، وفي شعر غيره .

٣ – وما دام اسم الموضع يطلق على مكان في المدينة فلماذا الذهاب إلى أَمْكنة لا صلة لها ببلاد الشاعر ؟

فالميثب ، كما قال السمهودي وغيره من أسماء الأموال التي صارت من صدقات النبي ﷺ ، وهي في عالية المدينة ، كما أوضح السمهودي ذلك (« وفاء الوفاء » – ٩٩٢ –) فقد يكون الأحوص أراد ذالك الموضع ، وترك التعريف للضرورة ، أو أنه أراد موضعًا يسمى بهذا الاسم بقرب المدينة .

٨٦ – النَّقِيْرُ : (١٦٥)

أضاف المحقق الدكتور عادل في الحاشية بيتًا جاء في « الأغاني » – ٥/ ١٩٤ – وهو :

إِلَى قَاعِ النَّقِيْرِ إِلَى قَرارِ حِلَالٍ ذِيْ خَدَرِ

١ – لم يداخلني الشك في أن النَّقير هنا هو تصحيف (النقيع) ، إِذْ ذكر في البيت قبله (مُزْج) ، وهو غدير يفضي سيلُ قاع النقيع إليه ، كما أشار إلى (هَكِر) ، وهو في جهات المدينة ليس بعيدًا عن النَّقيع .

أما النَّقِير الذي نقل المحقق الفاضل تعريفه بأنه موضع بين هجر والبصرة فهذا التعريف صحيح ولا يزال النَّقِيرُ والنَّقِيرةُ والنَّقَارُ كلها معروفة ، حددت مواقعها في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » (قسم المنطقة الشرقية) مما لا يتسع المقام لإيراده هنا .

٢ – النقيع : موضع لا يزال مَعْرُوفًا وهو الذي حماه الرسول ﷺ لإبل الصدقة ، وأوسع العلماء الحديث عنه . وَمِنْ أوفى ذالك ما أورده السمهودي في « وفاء الوفاء » نقلًا عن الهجري ، كما أنَّ أبا عُبَيْدٍ البكري في « معجم ما استعجم » نقل ذلك الكلام المنسوب إلى الهجري غير منسوب إلى أحد .

وسيول النَّقيع تفضي إلى عقيق المدينة . وشهرة النقيع تغني عن الإفاضة في الحديث عنه .

٨٧ - النُّمَيْرة : (١٨٦)

فَيَالَيْتَ أَنَّا قَدْ تَعَسَّفَتِ الْمَلَا بِنَاقُلُصٍ يَلْحَبْنَ ، وَالْفَجْرُ سَاطِعُ
مَوَارِقُ مِنْ أَعْنَاقِ لَيْلٍ كَأَنَّهَا قَطًا قَارِبٌ مَاءِ النُّمَيْرَةِ سَاطِعُ

(الملا : الفلاةُ وكل ما اتسع من الأرض ... ماء النميرة : من مياه بني عمرو بن كلاب (ياقوت) الساطع : كل شيء انتشر أو ارتفع من برق أو غبار أو نور أو ريح ، استعاره هاهنا - فيما أظن - لانتشار القطا) .

١ - يلاحظ على هذا أن تعريف النُّمَيْرَةِ بأنها من مياه بني عَمْرِو بن كلاب لا يُجْدِي نَفْعًا ، فمن بنو عَمْرِو بن كلاب الآن ؟ وأَيْنَ بلادهم ؟

هذا هو ماذكره ياقوت وغيره من المتقدمين ، ولكن القبائل العربية تغيرت أحوالها فَجُهِلَتْ أَكْثَرُ فروعها وانتقلت الفروعُ الأخرى من منازلها القديمة فَحَلَّتْ بها فروعٌ غير سكانها القدماء .

والنُّميرة : هذا الاسم قد اعتراه التصحيف ، فقد ورد بالنون وبالتاء (التُّمَيْرة) كما يتضح من مخطوطات كتاب « بلاد العرب » للأصفهاني - ١٠٩/ ١٤٦/ ٣٨٢ - وموقع هذا الموضع بصرف النظر عن صحة اسمه كما يفهم من كلام المتقدمين في عالية نجد في الجنوب الغربي منها ، وقد عَدَّهُ صاحب كتاب « بلاد العرب » من معادن اليمامة . انظر كتاب « الجوهرتين » - ص ٣٤٤ ، ٤١٨ -.

ويلاحظ أَنَّ النُّمَيْرة يطلق على مواضع متعددة .

٢ - في البيتين إيطاء في كلمة (ساطع) وكذا ورد في « منتهى الطلب » الذي هو مصدر المحقق ، ولكن المناسب أن تكون الكلمة في البيت الثاني (شارع) وهو وصف لِلْقطَا .

٨٨ - النَّهْد : (١٣٠)

عَفَتْ عَرَفَاتٌ فالْمَصَايِفُ مِنْ هِنْدِ فَأَوْحَشَ ما بَيْنَ الجَرِيبَيْنِ فالنَّهْدِ

(والنَّهْد : موضع يقال له : عين النَّهْد ، وهو بالْفُرْع ، وروى الزُّبَيْر عن رجاله أن أسماء بِنْتَ أبي بكر قالت لابنها عبد الله : يابُنَيَّ أَعْمِرَ الْفُرْعُ . قال : نَعَمْ ياأُمَّهْ ، قد عُمِرَتْ واتَّخَذْتُ به أموالًا . قالت : والله لكأني أنظر إليه حين فررنا من مكة مهاجِرِيْنَ وفيه نخلاتٌ ، وأسمع به نباحَ كَلْبٍ . فعمل عبد الله بن الزُّبَيْر بالْفُرْعِ عَيْنَ الفارِعة والسِّنام ، وعمل أخوه عروةُ عَيْنَ النَّهْدِ وعَيْنَ عَسْكَرٍ . انظر « معجم ما استعجم » . وقال الزبير بن بكار : إنَّ اسمه عَيْنُ الْمُهْدِ . انظر « جمهرة نسب قريش » - ٥٤ ، ٣٤١ -) .

١ - الفرع لا يزال معروفًا وتقدم الحديث عنه في الكلام على مَثْعَر ، وكان في تلك الناحية عيون كثيرة . وعين الرَّبَض وعين أم العيال ، مِمَّا لا يزال معروفا منها . وقد ذكرهما البكري في « معجم ما استعجم » - ١٩٦/ ١٠٢٠ - ومصدره في أكثر ما نقل عن الفُرُعِ الزبير بن بكار صاحب « جمهرة نسب قريش » . وقد ورد في « معجم البكري » (عين النهد) بالنون ، ولكن الذي في كتاب الزبير (عين الْمُهْد) بالميم المضمومة .

٢ - اسم الْمهد - وتفتح ميمه - يطلق الآن على أرض ذات آبار تُزْرع ، تقع في الشمال من عين الرَّبَض بنحو خمسة أكيال ، وجنوب غرب عين أبي ضِبَاع بما يقرب من تلك المسافة . وقد يكون في تلك الأرض عينٌ دَرَسَتْ إذِ الآثار الزراعية القديمة منتشرة في تلك الناحية .

تقع أرض المهد على خط الطول : ٣٩/٣٠° وعلى خط العرض ٢٣/١٠° تقريبًا .

٣ - الْجَزْمُ بِأَنَّ الشَّاعِرَ أرادَ عَيْنَ النَّهْدِ تِلْكَ - وإن تلقاه المحققان عن محققي كتاب « الأغاني » - ٥/ ٦٨ دار الكتب - ووهم أستاذنا الدكتور السَّامري بنسبته لـ « معجم البلدان » - هذا الجزم لا يقوم على أساس ، فقد يكون أراد موضعًا آخَرَ يُسَمَّى النَّهد . وتسمية عَيْن الْفُرْع بهذا الاسم عند البكريِّ وحده لا يكفي دَلِيلًا على صحته ، لا سيَّما بعد أن اتضح أن ما في أصل الكتاب الذي عَوَّل عليه خلاف ماذكر .

٨٩ - وَجٌّ : (٢٤٥)

فإنّي إذَا حَلَّتْ بِبَيْشٍ مُقِيمةً　　　وَحَلَّ بِوَجٍّ سَالِمًا أَوْ تَتَهَّمَا

(..وج : الطائف . بِوَحّ « نهاية الأرب » ، وهو موضع بناحية عمان ، جالسًا مكان سالما « الأغاني » « نهاية الأرب ») .

١ - الاختلاف بين (وَجٌّ) بالجيم ، و (وَحٌّ) بالحاء المهملة يحمل على الرجوع إلى القصيدة التي ورد فيها هذا البيت ، وهي على ماذكر المحقق اعتمادًا على ما في كتاب « الأغاني » قيلت في مدح الوليد بن عبد الملك . ومعروف أن سليمان كان يقيم في دِمشق ، وأن الشاعر قد وفد عليه كما ذكر المحقق في المقدمة - ٥١ -.

وإذن فأية صلة للشاعر بـ (وَجٍّ) - بالجيم - الموضع الذي لا يقع على طريقه إلى الشام ولا على طريق الموضع الذي تقيم فيه حبيبته وهو بَيْش .

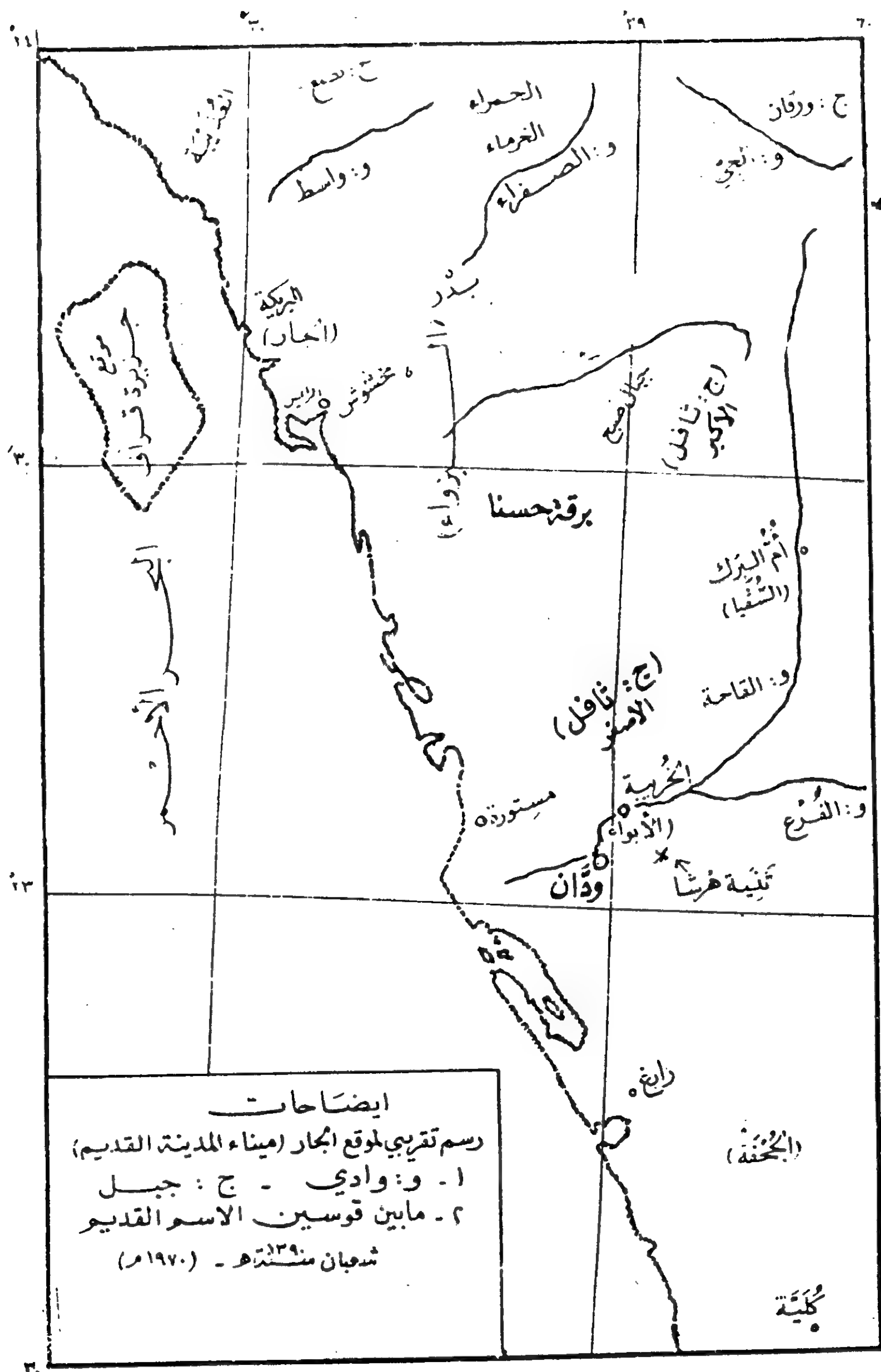
٢ - ورد البيت في كتاب « نهاية الأرب » - ٤/ ٢٥٢ - ولكن كلمة (وج) أوردها محققو الكتاب اعتمادًا على مطبوع كتاب « الأغاني » - ١/ ٢٩٨ - طبعة دار الكتب ، وقالوا في الحاشية : (وفي الأصول بـ (وح) بالحاء المهملة . و (وح) قيل إنها ناحية بعمان . انتهى)

والقول لياقوت ناقلًا عن الحازمي (وح) ناحية بعمان . انتهى

والواقع أن أصل القول لنصر بن عبد الرحمن الإسكندري ، حيث قال في كتابه (باب وَجٌّ وَوَحٌّ : بالجيم : اسم جامع لحصون الطائف . وقيل لواحد ، وبالحاء ناحية من عُمَان . انتهى

وجاء الحازمي في كتابه « الأماكن » فنقل الكلام بنصه بدون زيادة ، وعنه نقل ياقوت ، وأتى صاحب « القاموس » وشارحه ، فسارا على نهج ياقوت .

وإذا صح أن كلمة (وح) بالحاء المهملة اسم لـ (ناحية) في عُمَان ، فإنها بقول الشاعر ألصَقُ من كلمة (وج) التي وإنْ وردتْ في شعره في مقام وصف الحمام المغرد ، كما ورد اسم (النُّمَيْرة) التي عُرِفَ صَدَّاحُها منذ القدم ، إذْ لا مناسبة لذكر (وج) في ذالك البيت .


ج : ورقان
و : العجي
الحمراء
الغرماء
و : الصفراء
و : واسط
بدر
البريكة
(الجار)
مستورة
الخريبة
(الأبواء)
ودان
ثنية هرشا
و : الفرع
و : القاحة
أم البرك
(السقيا)
ج : ثافل الأصغر
(ج : ثافل الأكبر)
برقة حسنا
رابغ
(الجحفة)
كلية
ايضاحات
رسم تقريبي لموقع الجار (ميناء المدينة القديم)
١ - و : وادي - ج : جبل
٢ - مابين قوسين الاسم القديم
شعبان سنة ١٣٩٠هـ - (١٩٧٠م)

٩٠ - وَدَّانُ : (٢٣٥)

أَيَا صَاحِبَ النَّخْلَاتِ مِنْ بَطْنِ أَرْثَدٍ ... إِلَى النَّخْلِ مِنْ وَدَّانَ مَا فَعَلَتْ نُعْمُ ؟

(ووَدَّانُ : قرية جامعة بين مكة والمدينة من نواحي الْفُرْع ، بينها وبين هَرْشَى ستة أميال ، وبينها وبين الأبواءِ نحو من ثمانية أميال) .

١ - كانت ودَّانُ - كما وصفها ياقوت وغيره من المتقدمين - قريةً جامعةً ، ويظهر أنها كانت تابعة من حيث إدارة شئونها لوالي الفُرْع الذي تشمل ولايته أمكنة واسعة بعيدة عن الْفُرْعِ . ووادي الفرع هو وادي الأبواءِ ووادِي ودَّان ، كُلُّ جزء من أجزاءه يختص باسم ، وقد درست قرية ودَّانَ ، وقام بقربها عندما يفضي سيل الوادي إلى الخبت الذي هو ساحل البحر قامت قريةُ مستورة بقرب مايظن أنه موقع ودان .

ومن هنا توهمت فيما سبق أن ألفته أن مستورة امتدادٌ لقرية ودَّان ، وهذا ليس ببعيد ، إذ المسافة بين مستورة وبين آثارٍ قيل بأنها موقع الأبواء تُقارب عشرة أكيال ، وهذا الموضع يبعد عن ثنية هَرْشَا بنحو هذه المسافة .

والمتقدمون يختلفون في تحديد المسافة بين هَرْشَا وودَّان ، ففي « المناسك » المنسوب للحربي أنها خمسة أميال . وعند البكري في « معجم ما استعجم » أنها تقرب من ميلين ، والمسافة بينها وبين الأبواء التي تعرف الآن باسم الخُرَيْبة تقارب خمسة عشر كيلًا ، والمتقدمون حَدَّدُوْها فيما بين ستة أميال إلى ثمانية ، والتحديد تقريبي .

٢ - مع هذا مصور جغرافي للمواضع الثلاثة المذكورة . ومنه يتَّضح أنَّ الأبواء وودَّان وهَرْشَا في منطقة تقع فيما بين خطي الطول : ٥٠ً / ٣٨° و ٠٢ً / ٣٩° وبين خطي العرض : ٠٠ً / ٢٣° و ٠٥ً / ٢٣° .

٩١ - وَرِقَان : (١٦٠)

وكَيْفَ تُرَجِّي الْوَصْلَ مِنْهَا وَأَصْبَحَتْ ... ذُرَى وَرِقَانٍ دُوْنَهَا وَحَفِيـرُ

(.. ورقان من جبال تهامة ، ومن صدر مصعدًا من مكة فأول جبل يلقاه ورقان وهو كأعظم ما يكون من الجبال ينقاد من سَيالة إلى المتعشى بين العرج والرويثَّة (؟) فيه أوشال وعيون عذاب ، سكانه بنو أوس من مزينة « معجم ما استعجم ») .

١ - يحسن تصحيح ما نقله المحقق الكريم عن البكري وهو أن جبل وَرقان أول جبل يلقاه المصعد من مكة . فكلمة (مكة) صوابها (المدينة) ، وجاء في « معجم البلدان » : ولمن صدر من المدينة مصعدًا أول جبل يلقاه من عن يساره ، مع أن أستاذنا الدكتور السامرائي نَسَبَ إلى « معجم البلدان » الْقَوْلَ بأنه بين العرج والرُّوشية على يمين المصعد من المدينة . فيه مأخذان : كما في « معجم البلدان » (من عن يساره) لا (على يمين المصعد) والروشية صوابها (الروَيْثَة) ، وما نقل ياقوت في معجمه هو من رسالة عَرَّام بن الأَصْبَغ « أسماء جبال تهامة » كما ذكر .

وقول البكري بأن ورقان من جبال تهامة فيه تَجَوُّزٌ ، فَورِقَان من سلسلة جبال الحجاز . والمتقدمون يُفَرِّقُون بين الحجاز وبين تهامة ، وكلمة (الروثية) صوابها (الرُّوَيْثَة) ولَعَلَّ ما ورد تطبيع .

٢ - جبل ورِقان لا يزال معروفًا يَدَعُهُ المتَّجه من المدينة بعد أن يصل إلى الْفُرَيْش على يساره وفي سفحه الرَّوْحَاء ، وينقاد الجبل حتى ينحرف الطريقُ ذاتَ اليسار من الْمُنْصَرَفِ (الـمُسَيْجِيد) فيستمر الجبل ممتدًّا إلى قرب ثنية العرج ، وكان فيه مياه أوشال وعيون ، وكان سكانه من مُزَيْنَة . أَمَّا الآن فحلته بطون من حرب ، ولاشك أن بعض فروع مزينة انضوت داخل فروع قبيلة حرب الواسعة ، وإنْ بقي من مزينة فروع محافظةً على اسم القبيلة القديم .

٣ – وَرِقَانُ جبل لايزال معروفًا وينطق سكانه الاسمَ بإبدال القاف جيمًا (وِرْجَان) . وورد في إحدى المصورات الجغرافية – الخريطة رقم ٢١٠ – الاسم محرفًا (ورهقان) . ويقع جبل ورقان بقرب خط الطول : ١٥/ ٣٩° وخط العرض : ٥٩/ ٢٣° .

٩٢ – هَرْشَا : (١٤٣)

فَقُلْتُ لِعَبْدِ اللهِ : وَيْبَكَ هَلْ تَرَى مَدَافِعَ هَرْشَا أو بَدَا لَكَ هَصْوَرُ ؟

(.. المدافع : مجاري المياه واحدها مدفع كمقعد – وهَرْشَا ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة ، يُرى منها البحر ، ولها طريقان فكل من سلك واحدًا أفضى به إلى موضع واحد ، وقال عرَّام : هي هضبة ململمة لا تنبت شيئًا ، وهي على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة ، وهي أرض مستوية ، وأسفل منها وَدَّان على ميلين مما يلي مغيب الشمس ، يقطعها المصعدون من حجاج المدينة ، ينصبُّونَ منها منصرفين إلى مكة) .

١ – مدلول القَولَيْنِ واحدٌ – سوى كلمة (وهي أرض مستوية) فالثنية لا تقع في أرض مستوية ، بل في أرض خشنة مرتفعة تفضي إلى أرض مستوية ، وأصل قول عَرَّام في رسالته « أسماء جبال تهامة وسكانها » – ٤١١ نوادر المخطوطات – ونَصُّه بعد ذِكْرِ الأَبْوَاءِ –: ثم هَرْشَى وهي في أرض مُسْتَوِيَة ، وهي هَضْبَةٌ مُلَمْلَمَةٌ ، لَا تُنْبِتُ شَيْئًا ، أسفل منها ودَّان على مِيلَيْنِ مما يلي مغيب الشمس ، يقطعها المصعدون من حجاج المدينة ، وينصبُّون منها منصرفين إلى مكة) .

والقول بأنها على ملتقى طريق الشام وطريق المدينة إلى مكة لم يرد في الرسالة المطبوعة ، وليس واضح المعنى ، فحجاج الشام من المدينة يسلكون طريقها إلى مكة . وليست هَرْشَى هضبة مُلَمْلَمَة ، بل ألسِنَةٌ من الحرَّة ممتدة من الشرق إلى الغَرْب ، أبرَزُها كراع مُمْتَدٌّ بامتداد وادي الأبواء جنوبه ، يستدق عند اقترابه من بلدة الأبواء (الخريبة) فيخترقه الطريق من جانبين في شرقه وفي غربه ، والمسافة بينهما

قصيرة ، وملتقاهما واحِدٌ - وتقع حَرَّة هَرْشى بين خطي الطول ٨/ ٣٩° و ١٥/ ٣٩° - وخطي العرض : ٠٠/ ٢٣° و ١٦/ ٢٣° .

٩٣ - هَصْوَرُ : (١٤٣)

شاهده تقدم في هَرْشَى ، ورجع المحققان في تحديد موقعه إلى قول صاحب « معجم ما استعجم » : هَصْوَرُ جبلٌ من جبال هَرْشَى - وأورد قول الأحوص -.

١ - انفراد البكريّ - رحمه الله - بذكره مما يبعث على الشكِّ في عدم صحة الاسم ، ولا أستبعد أن يكون تصحيف (عَزْوَر) وأن هذا التصحيف نشأ عن طريقة إملاء الكلام بنطق الزاي من مخرج الصاد ، فكتبها السامع صادًا . أما العين فيسهل تصحيفها هاء . وما أكثر الأسماء المصحفة في « معجم ما استعجم » !!

٢ - عَزْوَرُ - وتقدم ذكره - من الأسماء الواردة في شعر الأحوص .

٣ - لذكر عَزْوَرَ مع هَرْشَى مُنَاسَبَةٌ ، فالموضعان يقعان في الطريق بين مكة والمدينة ، وفيهما عقبتان إحداهما هَرْشَى تفضي من الأبواء إلى البراح الواسع (الخبت) المتصل بساحل البحر حيث رابغ والْجُحفَة قديمًا ، والعقبة الثانية تُنزِلُ إلى الجُحْفَةِ ، وتُعْرف الآن بـ (الْعَزْوَرِيَّة) . وكلْتا الثنيَّتَيْنِ تقعان في طرفي حَرَّةٍ متشابِهَيْنِ - وتقدم إيضاح هذا في الكلام على هرشى - أَمَّا ثَنِيَّةُ عَزْوَر ، فتقع في طرف لسان دقيق ممتد من حَرَّة من الشرق إلى الغرب جنوب وادي الْجُحْفَةِ ، وعندما يستدق بمحاذاة قربه من حصن الجحفة الواقع غرب موقع الجحفة القديم يهبط منه إلى هذا الموقع (ويقع ذلك اللسان بين خطي الطول ٣٩/٤° و ٣٩/١٥° وبقرب خط العرض: ٢٢/٤٥°).

٩٤ - هَكِر : (١٦٥)

تقدم شاهده في (لصق) .

(.. وهَكِرُ : موضع على نحو أربعين ميلًا من المدينة) .

هذا الكلام في كتاب نصر في حرف الهاء باب هَكِر وهكُر . وقال : (أَمَّا الأول - بكسر الكاف -: على نحو أربعين ميلًا من المدينة ..) . وجاء الحازمي فنقله بنصه

في كتابه ، وعنه نقل ياقوت ناسبًا الكلام إلى الحازمي ، والأصل لنصر ، ثم تتابع من جاء بعد ياقوت على نسبة القول للحازمي .

وزاد على هذا صاحب كتاب « وفاء الوفاء » إذ قال : هَكْر بالفتح ثم السكون ثم راء : موضع معروف ، وبه ماء على أربعين ميلًا من المدينة ، ينزله أُمراؤها أحيانًا ، له ذكر في شعر امرئ القيس . كذا قال ، ولكنه خالف المتقدمين في حركة الكاف ، ولعله عبر عما يُنْطَق في عهده . أما القول بأنه ورد في شعر امرئ القيس فهذا ينطبق على موضع آخر لعله في اليمن .

ولكن السمهودي لم يوضح أين موقعه من المدينة . وهذا ما أوضحه الْهَجَرِيُّ إذ قال : وهَكِرُ غديرٌ عن المدينة بثمانية أميال يدفع في قناة ، وهو حَبْسٌ ، وحِبْسٌ بجر الحاء وفتحها – « أبو علي الهجري » –.

وهُنَا اختلاف في تَحديد المسافة بينه وبين المدينة ، فنصر ومن جاء بعده حددوها بأربعين ميلًا ، والهجريُّ بثمانية أميال ، وهو اختلاف كبير .

وقول الهجري هو حَبْس وحِبْس ، قد يكون المراد به الموضع المعروف بالحِبْس الذي قال ياقوت عنه في « معجم البلدان » : الْحَبْس : بين حرة بني سُلَيم والسوارقية .

وأضافَ إلى هذا السمهودي في « وفاء الوفاء » – ١٢٣٢ –: يؤخذ من كلام ياقوت أنَّ الموضع المعروف بالحِبْس في زماننا بأعلى قناة يُسَمَّى السَّد . وقال عن سَدِّ معاوية : بين المدينة والرحضية (الأرحضية) على عشرين ميلًا من المدينة . قال : أخبرني بعض أمراء المدينة أنه معروف دُونَ هكر .

إذَنْ هَكِرُ وراء سَدِّ معاوية الواقع بين المدينة والأَرْحَضِية (الرَّحَضِية) وسد معاوية هذا حدد صاحب كتاب « المناسك » – ٣٣٠ – المسافة بينه وبين المدينة بعشرين ميلًا ، وبينه وبين الأرحضية باثنين وثلاثين ميلًا . وفي كلام السمهودي أن هَكِرَ وراءَ السدِّ إلى الأرحضية ، فينبغي أن تكون المسافة بينه وبين المدينة مقاربة لما ذكر نصر فمن بعده .

أما تحديد الهجري فلا يطابق الواقع لأن الأرحضية لاتزال معروفة ولعله اشتبه عليه الحبس وهو السدُّ الذي أمر الرسول ﷺ بسدّه من الوادي . ومن هذا السد قَنَاةٌ إلى قُبَاء« رسالة عرام » -٤٢٥« نوادر المخطوطات » -اشتبه عليه بسد معاوية الواقع في جهة الأرحضية .

ووادي قناة حدث فيه ثلاثة سدود : سدٌّ أمر به الرسول ﷺ ، وسدٌّ أمر معاوية بعمله بقرب الأرحضية (الرحضية) ، وسدٌّ أحدثته النار (البركان) ، وهذا السدُّ يقع قريبًا مما يعرف الآن باسم سَدّ الْعَاقول ، ويسمى اليوم الْحِبس . قال السمهودي في « وفاء الوفاء » - ١٠٧٤ - : انحبس السدّ حتى صار بَحْرًا ، يعني سَدَّ النار (البركان الذي ثار بقرب المدينة سنة ٦٥٤) - انظر التفصيل في الفصل السادس عشر من (الباب الثاني) من كتاب « وفاء الوفاء » - ١٣٩ إلى ١٥٦ -.

وينبغي أن يكون سدُّ معاوية هو الذي سبب اجتماع سيل وادي قناة في قاع حَضَوْضَا ، وانْحَبَسَ هناك ، وهذا القاع يقع دون قرية الأرحضية بقرب خط الطول : ٥/ ٤٠° وخط العرض : ١٥/ ٢٤° .

وينبغي أيضًا أن يكون هَكِرُ بقرب ذلك الموضع ، حيث تجتمع سيول وادي العقيق ، فتبقى مدة طويلة ، وهذا المكان ليس بعيدًا عن المدينة ، ولكن الطريق إليه ليس مستقيمًا ، والمسافة بين المدينة وبين مهد الذهب ١٨٤ كيلًا بطريق يختلف عن الطريق القديم الذي قدره صاحب كتاب « المناسك » - ٣٣٠ - بمئة واثنين من الأميال ، لأن الطريق الحديث أقصر ، وهكر في منتصف المسافة بين المدينة ومَهْدِ الذهب (معدن بني سُلَيْمٍ قديمًا) . وقد ورد اسم (هكر) في مطبوعة الدكتور السامرائي مُحَرَّفًا (أكر) .

(انتهى)

قواعد النشر

* تنشر المجلة المواد المتعلقة بالتعريف بالمخطوطات العربية ، والنصوص المحققة ، والدراسات المباشرة حولها ، والمتابعات النقدية الموضوعية لها .
* أن لا تكون المادة منشورة في كتاب أو مجلة أو غيرهما من صور النشر .
* أن تكون أصيلة فكرة وموضوعا ، وتناولا وعرضا ، تضيف جديدا إلى مجال المعرفة التي تنتمي إليها .
* تستهل المادة بمقدمة في سطور تبين قيمتها العلمية وهدفها . وتقسم إلى فقرات ، يلتزم فيها بعلامات الترقيم التزاما دقيقا ، وتضبط الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأشعار والأمثال المأثورة والنصوص المنقولة ضبطا كاملا ، وكذلك مايشكل من الكلمات .
* يلتزم في تحرير الهوامش التركيز الدقيق ، حتى لايكون هناك فضول كلام ، وترقم هوامش كل صفحة على حدة ، ويراعى توحيد منهج الصياغة .
* تذيل المادة بخاتمة تبين النتائج ، وفهارس عند الحاجة .
* في ثبت المصادر والمراجع يكتب اسم المصدر أو المرجع أولا ، فاسم المؤلف ، يليه اسم المحقق أو المراجع أو المترجم في حال وجوده ، ثم اسم البلد التي نشر فيها ، فدار النشر ، وأخيرا تاريخ الصدور .
* أن لاتزيد المادة عن ٣٥ صفحة كبيرة (١٠ آلاف كلمة). وتدخل في ذلك الهوامش والملاحق والفهارس والمصادر والمراجع والرسوم والأشكال وصور المخطوطات .
* أن تكون مكتوبة بخط واضح ، أو مرقونة على الآلة الكاتبة ، على أن تكون الكتابة أو الرقن على وجه واحد من الورقة ، وترسل النسخة الأصلية إلى المجلة .

* يرفق المحقق أو الباحث كتابا مفاده أن مادته غير منشورة في كتاب أو مجلة أخرى ، وأنه لم يرسلها للنشر في مكان آخر .
* تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات ، هي : تاريخ التسلم وصلاحية المادة للنشر دون إجراء تعديلات ، وتنوع مادة العدد ، وأسماء الباحثين ما أمكن .
* يبلّغ أصحاب المواد الواردة خلال شهر من تاريخ تسلمها ، ويفادون بالقرار النهائي بالنشر أو عدمه خلال فترة أقصاها ستة أشهر .
* تعرض المواد على محكم أو أكثر على نحو سري ، وللمجلة أن تأخذ بالتقرير الوارد إليها ، أو تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر ، أو تتبنى قرارا بالنشر إذا رأت خلاف ماراه المحكم ، وليس عليها أن تبدي أسباب عدم النشر .
* إذا رأت المجلة أو المحكم إجراء تعديلات أساسية أو تحتاج إلى جهد ووقت على المادة فإنها تقوم بإرسالها إلى صاحبها ، وتنتظر وصولها فإن تأخرت تأجل نشرها .
* تمنح المجلة مكافأة مادية بعد النشر .